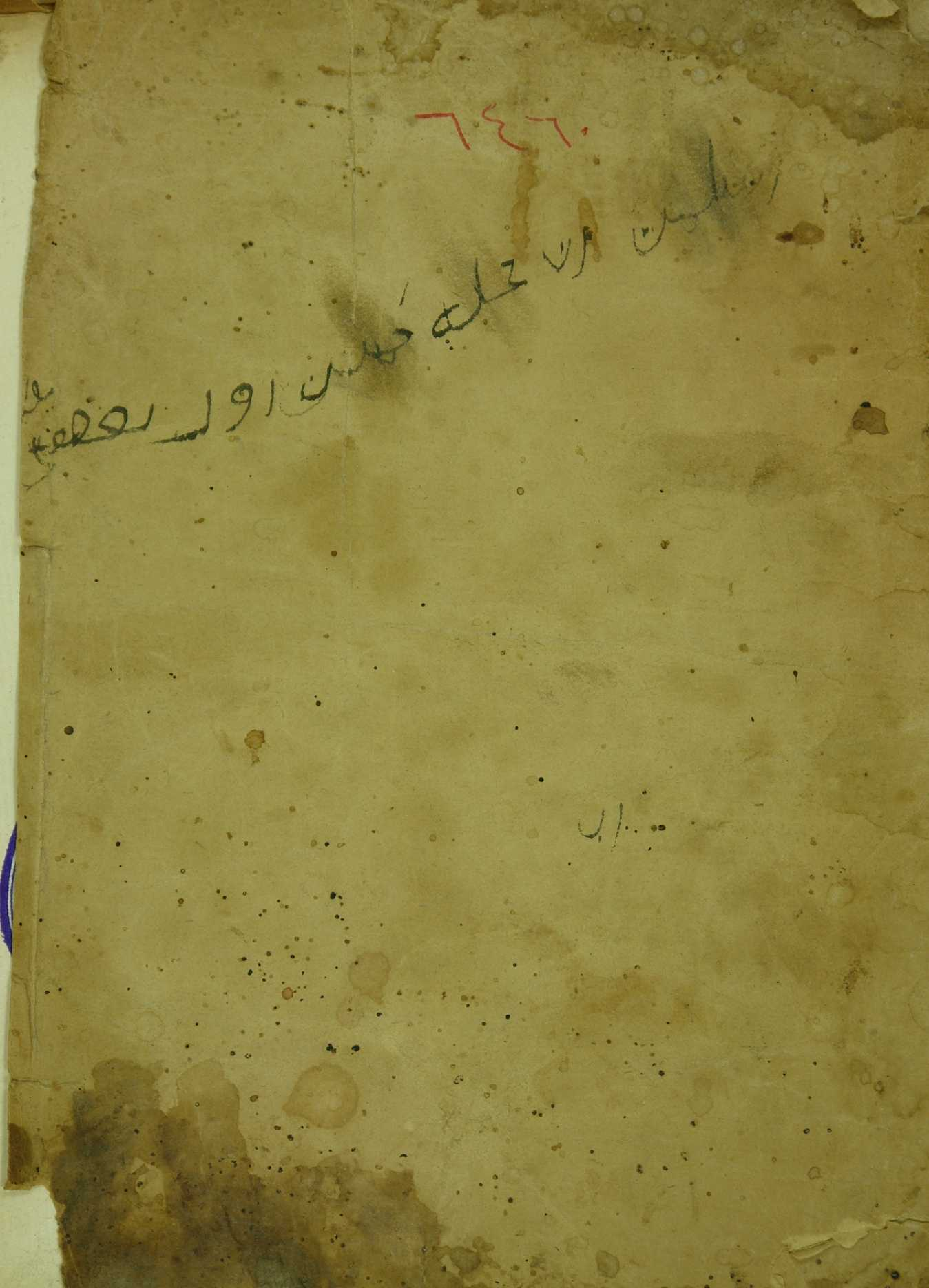


٢١٢
ت

(تفسير القرآن الكريم) ،كتب في القرن الثاني عشر الهجري تقديرا ،

١٠٤ ق ٢٥ س ٢٢×١٧ سـم

٦٤٦٠ نسخة حسنة ، بأولها وأثنائها وآخرها نقص ، خطها نسخ معتاد .

١ـ التفسير ، القرآن الكريم وعلومه أ ـ تاريخ النسخ .

سمعهم واكد النفي بتكرير النافي بقوله تعالى ولا ابصارهم وكذا في قوله
تعالى ولا افيدتهم لما اردنا اهلاكهم واكد نا باثبات الجار بقوله
من شيء اي من الاشيا وان قل وقال الجلال المحلي ان من زايدة
وقوله تعالى اذ معمولة معمولة لاغنى واشربت معنى التعليل اي لانهم
كانوا اي طبعا وخلقا يجحدون اي يكررون على مر الزمان الجحد
بايات الله اي الانكار لما يعرب من دلايل الملك الاعظم وحاق اي
بهم ما كانوا به يستهزون لانهم كانوا يطلبون العذاب على سبيل
الاستهزا ولما تم الامر من الاخبار بهلاكهم على ما لهم من المكنة
العظيمة ليتيقظ بهم من سمع امرهم اتبعهم من كان مشاركا لهم
في التكذيب فشاركهم في الهلاك فقال تعالى ولقد اهلكنا اي بما
لنا من العظمة ما حولكم يا اهل مكة من القرى كحجر ثمود وعاد
وارض سدوم وسبا ومدين والايكة وقوم لوط وفرعون واصحاب
الرس وغيرهم ممن فيهم معتبر وصرفنا اي بينا الايات اي الحجج
البينات لعلهم اي الكفار يرجعون اي ليكونوا عند من يعرف
حالهم في روية الايات حال من يرجع عن الغي الذي كان يركبه
التقليد او شبهه كشفتها الايات ووضحتها الدلالات فلم يرجعوا فكان
عدم رجوعهم سبب هلاكهم فلولا اي فهلا ولم لا نصرهم الذين
اي نصرهم هولا المهلكين الذين اتخذوا اي اجتهدوا في صرف
انفسهم عن دواعي العقل حتى اخذوا من دون الله اي الملك
الذي هو اعظم من كل عظيم قربانا اي يتقربا بهم الى الله تعالى الهة
معه وهم الاصنام ومفعول اتخذ والاول ضمير محذوف يعود على
الموصول اي هم وقربانا المفعول الثاني والهة بدلا منه بل ضلوا
اي غابوا عنهم وقت نزول النقمة وقرا الكسائي بادغام اللام في
الضاد والباقون بالاظهار وذلك اي اتخاذهم الاصنام الهة قربانا
افكهم اي كذبهم وما كانوا اي على وجه الدوام لكونه

نهم

د

نا

في طباعهم يفترون اي يتعمدون كذبه لان اصرارهم عليه بجبي الايات
لايكون الا كذلك لان تجربه من بطرفيها يجرد نفسه عن الهوى اهتدي
وإذ اي واذكر اذ صرفنا اي املنا اليك نفرا وهو اسم يطلق على مادون
العشرة وسياتي في ذلك خلاف من الجن اي جن نصيبين اليمن او جن
نينوي يستمعون القران اي يطلبون سماع الذكر الجامع لكل خير
الفارق بين كل ملبس وانت في صلاة الفجر في نخلة تصلي باصحابك
فلما حضروه اي صاروا بحيث يسمعونه قالوا اي قال بعضهم ورضي
الاخرون انصتوا اي اسكتوا وميلوا بكلياتكم واستمعوا احفظا للا
دب على بساط الخدمة وفيه تادب مع العلم في تعلمه قال القشيري
فاهل الخصوص صفتهم الذبول والسكون والهيبة والوقار تنبيه
ذكر في كيفية هذه الواقعة قولين احدهما قال سعيد بن جبير رضه
كان الجن تستمع فلما رجموا قالوا هذا الذي حدث في السما انما حدث
لشي في الارض فذهبوا يطلبون السبب وكانوا قد اتفقوا ان هو
النبي صلى الله عليه وسلم لما ايس من اهل مكة ان يجيبوه خرج
الى الطايف ليدعوهم الى الاسلام فلما انصرف الى مكة وكان ببطن
نخلة قام يقرا القران فمر به نفر من اشراف جن نصيبين كان ه
ابليس بعثهم ليعرف السبب الذي اوجب حراسة السما بالرجم ه
فسمعوا القران فعرفوا ان ذلك هو السبب والقول الثاني
ان الله تعالى امر رسوله صلى الله عليه وسلم ان ينذر الجن
ويدعوهم الى الله تعالى ويقرا عليهم القران فصرف الله اليه نفرا
من الجن يستمعون منه القران وينذرون قومهم روي ان
الجن كانوا يهود لان في الجن مللا كما في الانس من اليهود والنصارى
وعبدة الاوثان والمجوس واطبق المحققون على ان الجن مكلفون
سيل ابن عباس هل للجن ثواب قال نعم لهم ثواب وعليهم عقاب
يلبثون في ابواب الجنة ويزدحمون على ابوابها وروى الطبراني

عن ابن

عن ابن عباس ان اوليك الجن كانوا سبعة نفر من اهل نصيبين
فجعلهم رسول الله صلى الله عليه وسلم رسلا الى قومهم وعن زر ابن
حبيش كانوا تسعة احدهم زوبعة وعن قتادة ذكر لنا انهم صرفوا اليه
من نينوي وروى في الحديث ان الجن ثلاثة اصناف صنف لهم اجنحة
يطيرون في الهوى وصنف حيات وكلاب وصنف يحلون ويظعنون
واختلفت الروايات هل كان عبد الله بن مسعود مع رسول الله
صلى الله عليه وسلم ليلة الجن وروي قال كنت عند النبي صلى الله
عليه وسلم وهو بظاهر المدينة اذا اقبل شيخ يتوكا على عكازة فقال
النبي صلى الله عليه وسلم انها لمشية جني ثم اتى فسلم على النبي صلى الله
عليه وسلم فقال صلى الله عليه وسلم انها لنغمة جني فقال الشيخ اجل
يا رسول الله فقال له النبي صلى الله عليه وسلم من اي الجن انت
قال انا هام بن هيم بن لاقيس بن ابليس فقال له النبي صلى الله ه
عليه وسلم لا ارى بينك وبين ابليس الا ابوين فقال اجل يا ر
سول الله قال كم اتى عليك من العمر قال اكلت عمر الدنيا الا القليل
كنت حين قتل هابيل غلاما ابن اعوام فكنت انفنشزن على
الاكام واصطاد الهام واورش بين الانام فقال النبي صلى الله
عليه وسلم بيس العمل فقال يا رسول الله دعني من العتب فاني ممن
امن مع نوح عليه السلام وعاتبته في دعوته فبكا وابكاني وقال والله اني
لمن النادمين واعوذ بالله ان اكون من الجاهلين ولقيت ابرهم وامنت
وكنت بينه وبين الارض اذ رمي به في المنجنيق وكنت معه في النار اذ القي
فيها وكنت مع يوسف اذ القي في الجب فسبقته الى قعره ولقيت مو
ابن عمران بالمكان الاثير وكنت مع عيسى بن مريم عليهما السلام
فقال لي ان لقيت محمدا فاقرا عليه السلام قال انس فقال النبي محمد
صلى الله عليه وسلم وعليه السلام وعليك السلام يا هام ما حا
قال ان موسى علمني التورية وان عيسى علمني الانجيل فعلمني القران

٧ عن انس ح

سى

جتك

قال انس فعلمه النبي صلى الله عليه وسلم سورة الواقعة وعم يتساءلون
واذا الشمس كورت وقل يا ايها الكافرون وسورة الاخلاص والمعوذتين
فلما قضي اي فرغ من قراته ولوا اي رجعوا الى قومهم الذين فيهم قوة
القيام بما يحاولونه منذرين اي مخوفين لهم ومحذرين عواقب
الضلال بامر من رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ابن عباس
جعلهم رسول الله صلى الله عليه وسلم رسلا الى قومهم ولما كان كانه
قيل له ما قالوا لهم في انذارهم قيل قالوا يا قومنا متر فقين لهم وم
تفقين بهم بذكر ما يدل على انهم منهم يهمهم ما اهمهم انا سمعنا اي ما
بيننا وبين القاري واسطة واشاروا الى انه لم ينزل بعد التوراة كتاب
جامع لجميع ما يراد منه مغن عن جميع الكتب غير هذا وبذلك عرفوا
انه ناسخ لجميع الشرايع بقولهم كتابا اي ذكرا جامعا الا كما نزل بعد
التوراة على بني اسرايل انزل اي ممن لا منزل غيره وهو ملك الملوك
لان عليه من رونق الكتب الالهية ما يوجب القطع لسامعه با
نه منها فكيف اذا انضم الى ذلك الاعجاز وعلموا ايضا قطعوا بعربيته
انه عربي وبانهم كانوا يضربون مشارق الارض ومغاربها ويسمعون
قراة الناس لما يجدونه من الحكم والخطب والكهانه والرسايل والا
شعار وانه مباين لجميع ذلك من بعد موسى فلم يقيسوا بما
انزل بين هذا الكتاب وبين التوراة من الانجيل وما قبله لانه لا يسا
وي التوراة في الجميع وروي عن عطا والحسن انما قالوا ذلك لا
نهم كانوا يهودا وعن ابن عباس ان الجن ما سمعوا امر عيسى فلذلك
قالوا من بعد موسى ولما اخبروا بانه منزل اتبعوه ما يشهد له بالصحة
بقولهم مصدقا لما بين يديه اي من جميع كتب بني اسرايل الانجيل
وما قبله ثم بينوا تصديقه بقولهم يهدي الى الحق الامر الثابت
الذي يطابق الواقع فلا يقدر احد على ازالة شي مما يخبر به
الكامل في جميع ذلك والى طريق موصل الى المقصود مستقيم

لاعو

٣

لاعوجاج فيه يا قومنا الذين لهم قوة العلم والعمل اجيبوا داعي الله
اي الملك الاعظم المحيط بصفات الكمال فان دعوة هذا الداعي عامة
لجميع الخلق فالاجابة واجبة على كل من بلغه امره وفي هذه الاية دليل
على انه صلى الله عليه وسلم كان مبعوثا الى الجن كما كان مبعوثا الى الانس وا
منوا
به اي اوقعوا التصديق بسبب الداعي وهو النبي صلى الله عليه وسلم
لا بسبب اخر فان المفعول معه مفعول مع الله تعالى فان قيل
قوله تعالى اجيبوا داعي الله امر باجابته في كل ما امر به فيدخل فيه الا
مر بالايمان فكيف قال وامنوا به اجيب بانه انما ذكر الايمان
على التعيين لانه اهم الاقسام واشرفها وقد جرت العادة في القران
العظيم بان يذكر اللفظ العام ثم يعطف عليه اشرف انواعه
كقوله تعالى وملايكته ورسله وجبريل وميكال وقوله تعالى واذ اخذنا
من النبيين ميثاقهم ومنك ومن نوح ولما امر تعالى بالايمان ذكر
فايدته بقوله تعالى يغفر لكم اي الله تعالى من ذنوبكم اي بعضها
من الشرك وما شابهه مما هو حق لله تعالى وكذا ما يجازي به
صاحبه في الدنيا بالعقوبات والنكبات والهموم ونحوها مما
اشار اليه قوله تعالى وما اصابكم من مصيبة فبما كسبت ايديكم
ويعفوا عن كثير واما المظالم فلا تغفر الا برضى اربابها وقيل
من زايدة والتقدير يغفر لكم ذنوبكم وقيل بل فايدتها ان
كلمة من هنا لابتدا الغاية والمعنى انه يقع ابتدا الغفران بالذنو
ب
ثم ينتهي الى غفران ما صدر عنكم من ترك الاولى والاكمل ويجركم
اي يمنعكم منع الجار لجاره لكونكم بالتجير الى داعيه صرتم من حزبه
من عذاب اليم قال ابن عباس فاستجاب الله تعالى لهم من قومهم
نحو سبعين رجلا من الجن فرجعوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم
فوافوه بالبطحا فقرا عليهم القران وامرهم ونهاهم تنبيه
اختلفوا في ان الجن لهم ثواب ام لا فقيل لا ثواب لهم الا النجاة من
النار

ويقال لهم كونوا ترابا مثل البهايم واحتجوا على ذلك بقوله تعالى ويجركم من
عذاب اليم وهو قول ابي حنيفة والصحيح ان حكمهم حكم بني ادم يستحقون
الثواب على الطاعة والعقاب على المعصية وهو قول ابن ابي ليلى ومالك وتقدم
تحت ابن عباس ايضا نحو ذلك قال الضحاك يدخلون الجنة وياكلون
ويشربون لان كل دليل دل على ان البشر يستحقون الثواب فهو بعينه قايم في
حق الجن والفرق بينهما بعيد جدا وذكر النقاش في تفسيره حديثا انهم
يدخلون الجنة فقيل هل يصيبون من نعيمها قال يلهمهم الله تسبيحه وتذكيره
فيصيبهم من لذة ما تصيبه بنو ادم من نعيم الجنة وقال ارطاة ابن المنذر
سالت ضمرة بن حبيب هل للجن ثواب قال نعم وقرا لم يطمثهن انس قبلهم ولا
جان وقال عمر بن عبد العزيز ان مومني الجن حول الجنة في ربض ورحاب
وليسوا فيها ولما افهم كلامهم انهم ان لم يجيبوا ينتقم منهم بالعذاب الا
ليم اتبعوه ما هو اغلظ اتزامنه فقالوا ومن لا يجب اي يتجرد منه
ان يجيب داعي الله اي الملك الذي لا كفو له فليس بمعجز اي لا يعجز
الله بالهرب منه في الارض فيفوته فانه اي مكان سلك فيها فهو في ملكه
وملكه وقدرته محيطة به وليس له من دونه اي الله تعالى الذي لا
يجير عليه اوليا يفعلون لاجله ما يفعل القريب مع قريبه من الذب عنه
والاستشفاع بهو الافتدا اولئك البعيدون من كل خير في ضلال
مبين ظاهر في نفسه انه ضلال مظهر لكل احد قبح احاطته بهم تنبيه
ها هنا همزتان مضمومتان من كلمتين ولا نظير لهما في القران العظيم
قرا قالون والبزي بتسهيل الاولى كالواو مع المد والقصر وسهل الثانية
ورش وقنبل بعد تحقيق الاولى ولهما ايضا ابدال الثانية الفا وا
سقط الاولى ابو عمرو مع المد والقصر والباقون بتحقيقهما وهم على مرا
تبهم في المد اولم يروا اي يعلموا علما هو في الوضوح كالروية ان
الله ودل ما دل عليه هذا الاسم الاعظم بقوله تعالى الذي خلق
السموات على ما احتوت عليه بما يعجز الوصف من العبر والارض

على

على ما اشتملت عليه من الايات المدركة بالعيان والخبر ولم يعي اي ولم يتعب
ولم يعجز بخلقهن اي بسبب من الاسباب فانه لو حصل له شي من ذلك ادى
الى نقصان فيهما او في احدهما واكد الانكار المتضمن للنفي بزيادة الجار في خبر
ان فقال بقادر اي قدرة عظيمة على ان يحيي اي على سبيل التجديد مستمرا
الموتى والامر فيهم كونه اعادة جزء يسير اما ذكر اختراعه اصغر شانا واسهل
صنعا واجاب بقوله تعالى بلى لان هذا الاستفهام الانكاري في معنى النفي
اي قد علموا انه قادر على ذلك علما هو في اتقانه كالبصر لانهم يعلمون انه
المخترع لذلك وان العادة اهون من الابتدا في مجاري عاداتهم و
لكنهم عن ذلك غافلون لانهم عنه معرضون وقوله تعالى انه على كل شي
قدير تقرير للقدرة على وجه عام يكون كالبرهان على المقصود كانه لما
صدر السورة بتحقيق المبدا اراد ختمها باثبات المعاد ولما اثبت
البعث بما اقام من الدلايل ذكر بعض ما يحصل في يومه من الاهوال بقوله
تعالى ويوم اي واذكر يوم يعرض اي بايسر امر من اوامرنا الذين
كفروا اي ستروا بعقلهم ونعاديهم الادلة الظاهرة على النار عرض الجند
على الملك فيسمعون من تغيظها وزفيرها ما لو قدرت احدا يموت في ذلك
اليوم لمات من معاينته وهايل رويته ثم يقال لهم اليس هذا اي
الامر الذي كنتم به توعدون لرسلنا في اخبارهم تكذبون بالحق اي الا
الثابت الذي يطابقه الواقع ام هو خيال وسحر قالوا اي مصدقين
حيث لا ينفعهم التصديق بلى وما كفاهم اليد الى تكذيب انفسهم
حتى اقسموا عليه بقولهم وربنا اي انه الحق هو اثبت الاشيا و
ليس فيه شي مما يقارب السحر تنبيه المقصود من هذا الا
ستفهام التهكم والتوبيخ على استهزائهم بوعد الله تعالى ووعيده
قال فذوقوا العذاب اي باشروه مباشرة الذايق باللسان ومعنى
الامر هنا الاهانة بهم والتوبيخ لهم ثم صرح بالسبب فقال تعالى بما
كنتم اي خلقا مستمرا تكفرون في دار العمل ولما قرر تعالى المطالب

الثلاثة وهي التوحيد والنبوة والمعاد واجاب عن الشبهات اردفه بما
يجري مجرى الوعظ والنصيحة لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم وذلك لان الكفار
كانوا يؤذونه ويوحشون صدره فقال تعالى فاصبر اي على مشاق ما ترى في تبليغ
الرسالة وعلى اذى قومك قال القشيري الصبر هو الوقوف بحكم الله والثبات
من غير بث ولا اكراه كما صبر اولوا العزم اي الثبات والجد في الامور وقال ابن
عباس اولو الحزم وقوله تعالى من الرسل يجوز فيه ان تكون من تبعيضية
وعلى هذا فالرسل اولو العزم وغير اولو العزم ويجوز ان تكون للبيان وعليه
وعليه جرى الجلال المحلي فكلهم على هذا اولو العزم ويجوز ان يكون للبيان
قال ابن زيد كل الرسل كانوا اولي عزم وحزم وراي وكمال عقل وانما ادخل
من للتجنيس لا التبعيض كما يقال اشتريت اكسية من الخز واردية
من البز وقال بعضهم الانبيا كلهم اولو العزم الا يونس لعجلة كانت فيه
الا ترى انه قيل للنبي صلى الله عليه وسلم ولا تكن كصاحب الحوت
وقال قوم هم نجبا الرسل وهم المذكورون في سورة الانعام وهم ثمانية
عشرة لقوله تعالى بعد ذكرهم اوليك الذين هدى الله فبهداهم
اقتده وقال الكلبي هم الذين امروا بالجهاد واظهروا المكاشفة مع ا
عدا الله تعالى وقيل هم ستة نوح وهود وصالح ولوط وشعيب
وموسى وهم المذكورون على النسق في سورة الاعراف والشعرا وقال
مقاتل ستة نوح صبر على اذى قومه وابراهيم صبر على النار واسحاق
صبر على الذبح ويعقوب صبر على فقد ولده وذهاب بصره ويوسف
صبر في الجب والسجن وايوب صبر على الضر وقال ابن عباس وقتادة
هم نوح وابراهيم وموسى وعيسى اصحاب الشرايع فهم مع محمد
صلى الله عليه وسلم ونظمهم بعضهم في بيت فقال

محمد ابراهيم موسى كليمه ۞ فعيسى فنوح هم اولو العزم فاعلم

قال البغوي ذكرهم الله على التخصيص في قوله تعالى واذ اخذنا
من النبيين ميثاقهم ومنك ومن نوح وموسى وعيسى بن مريم

وفي قوله

وفي قوله تعالى شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا الاية وعن مسروق
قال قالت عايشة قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم يا عايشة ان
الدنيا لا تنبغي لمحمد ولا لال محمد يا عايشة ان الله لم يرض من اولي العزم
الا الصبر على مكروهها والصبر عن محبوبها ولم يرض الا ان كلفني ما كلفهم
فقال تعالى فاصبر كما صبر اولوا العزم من الرسل واني والله لا بد لي من طاعته و
الله لاصبرن كما صبروا ولاجهدن ولا قوة الا بالله ولما امره تعالى
بالصبر الذي هو من اعلا الفضايل نهاه عن العجلة التي هي من امهات الر
زايل
فقال تعالى عز من قايل ولا تستعجل لهم اي تطلب العجلة وتوجدها
بان تفعل شيا مما يسوءهم في غير حينه اللايق به فانه نازل بهم في وقته
لا محالة قيل ان النبي صلى الله عليه وسلم ضجر من قومه
واحب ان ينزل الله تعالى العذاب بمن ابا من قومه فامر بالصبر وتر
ك
الاستعجال ثم اخبر ان ذلك العذاب اذا نزل بهم يستقصرون
مدة لبثهم حتى يحسبونها ساعة من نهار فقال تعالى كانهم يوم ير
ون ما يوعدون اي من العذاب في الاخرة لم يلبثوا في الدنيا
ايام
الا ساعة من نهار استقصروا مدة لبثهم في الدنيا والبرزخ حتى
كانه ساعة من نهار او كانه لم يكن لهول ما عاينوا الان ما مضى وان
كان طويلا صار كانه لم يكن قال الشاعر

كان شيا لم يكن اذا مضى ۞ كان شيا لم يزل اذا اتى

تنبيه قد تم الكلام هاهنا وقوله تعالى بلاغ خبر مبتدا
محذوف قدره بعضهم تلك الساعة بلاغ لدلالة قوله تعالى الا سا
عة
من نهار وبعضهم هذا اي القران بلاغ اي تبليغ من الله تعالى اليكم
وجرى عليه الجلال المحلي فهل اي لا يهلك اي بالعذاب اذا نزل
الا القوم اي الذين هم اهل القيام بما يعلمونه من اللذات الفاسقون
اي الغريقون في ادامة الخروج عن الانقياد والطاعة وهم الكافرون وقال
الزجاج تاويله لا يهلك مع فضل الله ورحمته الا القوم الفاسقون

ولهذا قال قوم ما في الرجا الرحمة الله اقوى من هذه الاية
وما قاله البيضاوي تبعا للزمخشري من انه صلى الله عليه وسلم
قال من قرا سورة الاحقاف كتب الله له عشر حسنات بعدد كل رملة
في الدنيا حديث موضوع

سورة محمد صلى الله عليه وسلم

مكية وتسمى سورة القتال والذين كفروا وهي ثلاثون اية
وخمسماية وثلاثون كلمة والفان وثلثماية وتسعة
واربعون حرفا بسم الله الملك الاعظم الذي اقام جنده للذب
عن حماه الرحمن الذي عمت رحمته تارة بالبرهان وتارة
بالسيف واللسان الرحيم الذي خص حزبه بالحفظ
في طريق الجنات واختلف في قوله تعالى الذين كفروا
منهم فقيل هم الذين كانوا يطعمون الجيش يوم بدر منهم ابو جهل
والحارث ابنا هشام وعقبة وشيبة بن ربيعة وغيرهم
وقيل هم كفار قريش وقيل اهل الكتاب وقيل
كل كافر لانهم ستروا انوار الادلة فضلوا على علم وصدوا
اي امتنعوا بانفسهم ومنعوا غيرهم لفراقهم في الكفر عن
سبيل الله اي الطريق الرحب المستقيم الذي شرعه الملك الاعظم
اضل اي ابطل ابطالا عظيما يزيل العين والاثر اعمالهم كاطعام
الطعام وصلة الارحام وفك الاسارى وحفظ الجوار و
غير ذلك فلا يرون لها في الاخرة ثوابا ويجزى عليها في الدنيا
من فضله تعالى تنبيه او لهذه السورة مناسب
لاخر السورة المتقدمة ولما ذكر تعالى اهل الكفر معبرا عنهم
بادنى طبقاتهم ليشمل من فوقهم ذكر اضدادهم كذلك ليعم من
كان منهم من جميع الفرق بقوله تعالى والذين امنوا اي اقروا
بالايمان باللسان وعملوا تصديقا لدعواهم الصالحات اي

الاعمال

الاعمال الكاملة في الصلاح بتناسبها على الايمان ولما كان هذا الوصف
لا يخص اتباع النبي صلى الله عليه وسلم منهم بقوله تعالى وامنوا
اي مع ذلك بما نزل اي ممن لا منزل الا هو منجما مفرقا ليجددوا بعد الا
يمان اجمالا الايمان بكل نجم منه على محمد النبي الامي العربي القرشي المكي المد
ني الذي يجدونه مكتوبا عندهم في التوراة والانجيل صلى الله عليه وسلم
وقوله تعالى وهو اي هذا الذي نزل عليه صلى الله عليه وسلم موصوف
بانه الحق اي الكامل في الحقيقة ينسخ ولا ينسخ كاينا من ربهم
المحسن اليهم بارساله اما احسانه الى امته فواضح واما سائر الامم
فيكون هو الشافع فيهم الشفاعة العظمى يوم القيمة وامته هي
الشاهدة لهم جملة معترضة وقرا قالون وابو عمرو والكسائي وهو
بسكون الها والباقون بضمها كفر عنهم سياتهم اي ستروا اعمالهم
السيئة بالحسنة لايمان وعملهم الصالح واصلح بالهم اي حالهم في الد
والدنيا بالتوفيق والتاييد ذلك اي الامر العظيم الذي ذكرنا من
جزاء الطايفتين بان اي بسبب ان الذين كفروا اي ستروا مراي
عقولهم اتبعوا اي بغاية جهدهم وسعايتهم الباطل من العمل
الذي لا حقيقة له في الخارج تطابقه وذلك هو الابتداع والميل مع
الهوى فضلوا وان الذين امنوا اي ولو كانوا في اقل دركات الايمان
اتبعوا اي بغاية جهدهم الحق اي الذي له واقع يطابقه وذلك هو
الحكمة وهو العلم بموافقة العمل وهو معرفة المعلوم على ما هو عليه
من ربهم اي الذي احسن اليهم بايجادهم وما سببهم من حسن اعتقادهم
فاهتدوا كذلك اي مثل هذا الضرب العظيم الشان يضرب الله اي
الذي له الاحاطة بجميع صفات الكمال للناس اي كل من فيه قوة الاضطراب
والحركة امثالهم اي امثال انفسهم وامثال الفريقين المتقدمين او
امثال جميع الاشيا التي يحتاجون الى بيان امثالها مبينا لها مثل هذا
البيان لياخذ كل احد من ذلك جزاء حاله فقد علم من هذا المثل ان من اتبع

يمان

بين

بيان
طل

الباطل اضل الله تعالى عمله ووفر سيا ته وافسد باله ومن اتبع الحق
عمل به ضد ذلك كايناما كان وهو غاية الحث على طلب العلم في كتاب الله
وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم والعمل بها ولما بين تعالى ان الذين كفروا
اضل اعمالهم وان اعتبار الانسان بالعمل ومن لا عمل له فهو هج اعدامه
خير من وجوده سبب عنه قوله تعالى **فاذا لقيتم الذين كفروا** ايها
المومنون في المحاربة وقوله تعالى **فضرب الرقاب** اصله فاضربوا الرقاب
ضربا فحذف الفعل وقدم المصدر فانيب منابه مضافا الى المفعول ضما
الى التاكيد والاختصار والحكمة في اختيار ضرب الرقبة دون غيرها من
الاعضاء ان المومن هنا ليس بدافع انما هو رافع وذلك لان من يدفع
الصايل لا ينبغي ان يقصد اولا مقتله بل يتدرج ويضرب غير المقتل فان اند
فع فذاك ولا يرقى الى درجة الاهلاك فاخبر تعالى انه ليس المقصود دفعهم
عنكم بل المقصود رفعهم من وجه الارض فاذا ينبغي ان يكون قصدكم اولا الى
قتلهم بخلاف دفع الصايل فالرقبة اظهر المقاتل لان قطع الحلقوم والاودا
ج مستلزم للموت بخلاف ساير المواضع ولا سيما في الحرب وفي قوله تعالى
لقيتم ما ينبي عن مخالفتهم الصايل لان قوله تعالى لقيتم يدل على ان
القصد من جانبهم بخلاف قولنا لقيكم وكذلك قال تعالى في غير هذا
الموضع فاقتلوهم حيث ثقفتموهم **حتى اذا اثخنتموهم** اي اكثرتم
فيهم القتال وهذه غاية الامر بضرب الرقاب لا لبيان غاية القتل
فشدوا اي فامسكوا عن القتل واسروهم وشدوا **الوثاق** اي ما
يوثق به الاسرى وقوله تعالى **فاما منا بعد** اي في جميع ازمان
ما بعد الاسر **واما فدا** فيه وجهان اشهرهما انهما منصوبان
على المصدر بفعل لا يجوز اظهاره لان المصدر متى سيق تفصيلا لعا
قبة جملة وجب نصبه باضمار فعل لا يجوز اظهاره والتقدير فاما
ان تمنوا منا اي باطلاقهم من غير شي واما ان تفدوا بمال او اسرى
مسلمين ومثل هذا قول القايل

مل

لا احدث فاما دلاء واقعة ۞ تخشى واما بلوغ السول والامل
والثاني قاله ابو البقا انهما مفعولين مفعولا بهما العامل مقدر تقد
يره اولوهم منا واقبلوا منهم فدا قال ابو حيان وليس باعراب نحوي
وقوله تعالى **حتى تضع الحرب اوزارها** اي اثقالها من السلاح
وغيره بان يسلم الكافر او يدخل في العهد مجاز وقيل هو من
مجاز الحذف اي اهل الحرب وهو غاية للقتل والاسر حتى تدخل الملل
كلها في الاسلام ويكون الدين كله لله فلا يكون بعده جهاد ولا قتال
وذلك عند نزول عيسى عليه السلام وجا في الحديث الجهاد ماض منذ
بعثني الله الى ان يقاتل اخر امتي الدجال وقال الفرا حتى لا يبقى مسلم
او مسالم تنبيه اختلف العلما في حكم هذه الاية فقال قوم
هي منسوخة بقوله تعالى فاما تثقفنهم في الحرب فشرد بهم من خلفهم
وبقوله فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم واليه ذهب قتادة واهل
الضحاك والسدي وابن جريج وهو قول الاوزاعي واصحاب الراي
فقالوا لا يجوز المن على من وقع في الاسر من الكفار ولا الفدا
وذهب اخرون الى ان الاية محكمة والامام بالخيار في الرجال العاقلين
من الكفار اذا وقعوا في الاسر بين ان يقتلهم او يسترقهم او يمن
عليهم فيطلقهم بغير عوض او يفاديهم بالمال او باسرى المسلمين
واليه ذهب ابن عمر وبه قال الحسن وعطا واكثر الصحابة والعلما
وهو قول الثوري والشافعي واحمد واسحاق قال ابن عباس لما
كثر المسلمون واشتد سلطانهم انزل الله تعالى في الاسارى فاما
منا واما فدا وهذا هو الاصح والاختيار لانه عمل به صلى الله عليه
وسلم والخلفا بعده روى البخاري عن ابي هريرة قال بعث النبي
صلى الله عليه وسلم خيلا قبل نجد فجاءت برجل من بني حنيفة يقال
له ثمامة بن اثال فربطوه في سارية من سواري المسجد
فخرج اليه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ما عندك يا ثمامة

فقال عندي خير يا محمد ان تقتلني تقتل ذا دم وان تنعم
تنعم تنعم على شاكر وان كنت تريد المال فسل ما شيت حتى كان
من الغد فقال له صلى الله عليه وسلم ما عندك يا ثمامة قال عندي
ما قلت لك ان تنعم تنعم على شاكر فتركه حتى كان بعد الغد قال ما
عندك يا ثمامة قال عندي ما قلت لك قال اطلقوا ثمامة فانطلق
الى نخل قريب من المسجد فاغتسل ثم دخل المسجد فقال
اشهد ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله والله ما كان على وجه
الارض وجه ابغض الي من وجهك فقد اصبح وجهك احب الو
جوه الي وما كان من دين ابغض الي من دينك فاصبح دينك احب
الدين الي والله ما كان من بلد ابغض الي من بلدك فاصبح بلدك
احب البلاد الي وان خيلك اخذتني وانا اريد العمرة فماذا ترى
فبشره رسول الله صلى الله عليه وسلم وامره ان يعتمر فلما قدم مكة
قال له قايل صبوت قال لا ولكن اسلمت مع محمد صلى الله عليه وسلم
وعن عمران بن حصين قال اسر اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم رجلا
من عقيل فاوثقوه وكانت ثقيف قد اسرت رجلين من اصحاب
النبي صلى الله عليه وسلم ففداه رسول الله صلى الله عليه وسلم
بالرجلين اللذين اسرتهما ثقيف وقوله تعالى ذلك يجوز ا
ان يكون خبر مبتدا امضمر اي الامر ذلك وان ينتصب باضمار افعلوا
قال الرازي ويحتمل ان يقال ذلك واجب او مقدم كما يقول
القايل ان فعلت فذاك اي فذاك مقصود ومطلوب قال
المفسرون ومعناه ذلك الذي ذكرت وبينت من احكم الكفار
ولو يشا الله اي الملك الاعظم الذي له جميع الكمال لانتصر
منهم اي بنفسه من غير احد انتصارا عظيما فيهلكهم بان لا يبقي
منهم احد وكفاهم امرهم بغير قتال ولكن امركم بذلك ليبلو
اي يختبر بعضكم ببعض اي يفعل في ذلك فعل المختبر ليرتب

عليه الجزا فيصير من قتل من المومنين الى الجنة ومن قتل من الكافرين الى
النار فان قيل ما فايدة الابتلا مع حصول العلم عند المبتلي
فاذا كان الله عالما بجميع الاشيا فاي فايدة فيه اجيب بان
هذا السوال كقول القايل • لم عاقب الكافر وهو مستغن ولم خلق
النار تحرقه وهو قادر على ان يخلقها بحيث تنفع ولا تضر وجوابه
لا يسال عما يفعل ونزل يوم احد لما فشى في المسلمين القتل والجراحات
والذين قتلوا في سبيل الله اي لاجل تسهيل طريق الملك
الاعظم المتصف بجميع صفات الكمال فلن يضل اعمالهم اي لا يضيع
ولا يبطل اعمالهم وقرا ابو عمرو وحفص بضم القاف وكسر التا
مبنيا للمفعول على معنى انه اصاب القتل بعضهم لقوله تعالى قتل
معه ربيون والباقون بفتح القاف والتا والف بينهما اي جاهدوا
سيهديهم اي ايام حياتهم في الدنيا الى ارشد الامور وفي الاخرة
الى الدرجات بوعد لا خلف فيه ويصلح بالهم اي يرضي خصماهم ويقبل
اعمالهم ويدخلهم الجنة اي الكاملة في النعيم عرفها اي اعلمها وبينها
لهم اي بما يعلم به كل احد منزلته ودرجته من الجنة قال مجاهد يهتدي
اهل الجنة الى مساكنهم منها لا يخطيون كانهم كانوا سكانها منذ خلقوا
يستدلون عليها وعن مقاتل ان الملك الذي وكل بحفظ عمله في الدنيا
يمشي بين يديه فيعرفه كل شي اعطاه الله تعالى وعن ابن عباس عرفها
لهم طيبها مشتق من العرف وهو الريح الطيبة يقال طعام معرف اي
مطيب يا ايها الذين امنوا اي اقروا بذلك ان تنصروا الله اي
دينه ورسوله صلى الله عليه وسلم ينصركم اي على عدوكم فانه الناصر
لا غيره من عدد او عدد ويثبت اقدامكم اي في القيام بحقوق
الاسلام والمجاهدة مع الكفار ولما بين تعالى ما لاهل الايمان بين
ما لاهل الكفران بقوله تعالى والذين كفروا وهو مبتدا اي ستر ما د
له عليه العقل وزادت اليه الفطر الاولى تعسا يدل عليه قوله تعالى

ل

فتعسا لهم اي هلاكا لهم وخيبة من الله تعالى وقال ابن عباس اي
بعدا لهم وقيل التعس الجر على الوجه والنكس الجر على الراس وقوله
تعالى واضل اعمالهم عطفا على تعسوا اي ابطلها وان كانت ظاهرة الا
تقان لاجل تضييع الاساس وهو الايمان وقوله تعالى ذلك يجوز
ان يكون مبتدا والخبر الجار بعده او خبر مبتدا مضمر اي الامر ذلك
بانهم اي بسبب انهم كرهوا ما انزل الله اي الملك الاعظم الذي
لا نعمة الا منه من القران وما انزل تعالى فيه من التكاليف والاحكام
لانهم قد الفوا الاهمال واطلاق العنان في الشهوات والملاذ فشق
عليهم ذلك وتعاظمهم والذي انزله من القران وغيره هو روح الو
جود الذي لا بقا بدونه فلما كرهوا الروح الاعظم بطلت ارواحهم فتبعتها
اشباحهم وهو مبني قوله تعالى مسببا بيانا للمعنى اضلال اعمالهم
فاحبط اي ابطل ابطالا لا صلاح معه اعمالهم بسبب انهم افسدو
ها بنياتهم وضارت وان كانت صورها صالحة ليس لها ارواح لكونها وا
قفة على غير ما امر به الله الذي لا امر لاله ولا يقبل الا ما حده ورسمه ثم خوف الكفار
بقوله تعالى افلم يسيروا في الارض اي التي فيها اثار الوقايع فينظروا كيف
كان عاقبة اي اخر امر الذين من قبلهم دمر الله اي اوقع الملك الاع
ظم الهلاك عليهم بما عم اهاليهم واموالهم وكل من فعالهم او مقالهم وعد
ل عن ان يقول ولهم الى قوله تعالى وللكافرين تعميما او تعليقا
للحكم بالوصف وهو العراقة في الكفر امثالها اي امثال عاقبة الذ
ين من قبلهم ذلك اي الامر العظيم وهو نصر المومنين وقهر الكافرين
بان الله اي بسبب ان الملك الاعظم المحيط بصفات الكمال مولى اي ولي
وناصر الذين امنوا فهو يفعل معهم بما له من الجلال والجمال ما يفعل
القريب بقريبه الحبيب له قال القشيري ويصح ان يقال ارجى اية في القران
هذه الاية لان الله تعالى لم يقل انه مولى العباد واصحاب الاوراد والاجتهاد
بل علق ذلك بالايمان وان الكافرين اي العريقين في هذا الوصف لا مولى

اصل العمل

لهم

لهم فيدفع العذاب عنهم وهذه الاية تخالف قوله تعالى وردوا الى الله مولاهم
الحق فان المولى فيه بمعنى المالك ثم ذكر سبحانه وتعالى ما للفر
يقين بقوله تعالى ان الله اي الذي له جميع صفات الكمال
يدخل الذين امنوا اي اوقعوا التصديق وعملوا تصديقا لما ادعوا
انهم اوقعوه الصالحات اي الطاعات جنات اي بساتين عظيمة الشان
موصوفة بانها تجري من تحتها اي من تحت قصورها الانهار
فهي دايمة النمو والبهجة والنضارة والثمرة والذين كفروا يتمتعون
اي في الدنيا بالملاذ كما تتمتع الانعام ناسين ما امر الله تعالى به معر
ضين عن كتابه ويأكلون على سبيل الاستمرار كما تاكل الانعام
اي اكل التزاد وحرص من اي موضع كان وكيف الاكل من غير الحرام
من غيره اذ ليس لهم همة الا بطونهم وفروجهم لا يلتفتون الى الاخرة
لان الله تعالى اعطاهم الدنيا ووسع عليهم فيها وفرغهم لها حتى
تشغلهم عنه هوانا بهم وبغضا لهم فيدخلهم وقودها الناس و
الحجارة كما قال تعالى والنار مثوى لهم اي منزل ومقام ومصير ولما
ضرب الله تعالى لهم مثلا بقوله تعالى افلم يسيروا في الارض ولم ينفعهم
ما تقدم من الدليل ضرب للنبي صلى الله عليه وسلم مثلا تسلية له فقال
تعالى وكاين اي وكم من قرية اريد اهلها اي كذبت رسولها هي
اشد قوة واكثر عددا من قريتك مكة اي اهلها وقوله تعالى
اهلكناهم اي بانواع العذاب روعي فيه معنى قرية الاولى فلا
ناصر لهم يدفع عنهم الهلاك كذلك نفعل بهم فاصبر كما صبر رسلهم
قال ابن عباس لما خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم من مكة الى الغار
التفت الى مكة وقال انت احب ارض الله الي واحب بلاد الله الي
ولو ان المشركين لم يخرجوني لم اخرج منك فانزل الله هذه افمن كان ع ا
ي جميع احواله على بينة اي حجة ظاهرة البينات في انه حق من ربه
اي المربي والمدبر له المحسن اليه وهم النبي صلى الله عليه وسلم والمومنون

كمن زين له بتزيين الشيطان بتسليطنا له عليه سوء عمله فراه
حسنا وهو ابو جهل والكفار واتبعوا اهواءهم في ذلك فلا شبهة
لهم في شيء من اعمالهم السيئة فضلا عن دليل ولما تكرر ذكر الجنة في هذه
السورة بين صفتها بقوله تعالى مثل اي صفة الجنة اي البساتين
العظيمة التي تستر داخلها من كثرة اشجارها التي وعد المتقون
اي الذين حملتهم تقواهم بعد الوقوف على فعل لم يدل عليه دليل على اذا
استمعوا امتثلوا فانتفعوا ايجاد للتهم عليه من امور الدين تنبيه
اختلف في اعراب هذه الاية على اوجه احدها ان مثل مبتدأ وخبره
مقدر وقدره النضر ابن شميل مثل الجنة ما تسمعون فما تسمعون
خبره وفيها انهار مفسر له وقدره سيبويه فيما يتلى عليكم والجملة
بعدها ايضا مفسرة للمثل ثانيها ان مثل زايدة تقديره
الجنة التي وعد المتقون فيها انهار ونظير زيادة مثل هنا زيادة
اسم في قول القايل

الى الحول ثم اسم السلام عليكما ثالثها ان مثل الجنة مبتدأ
والخبر قوله تعالى كمن هو خالد في النار فقدره ابن عطية امثل اهل
الجنة كمن هو خالد في النار فقدر حرف الانكار ومضافا اليه وقدره
الزمخشري أمثل الجنة كمثل جزاء من هو خالد والجملة من قوله تعالى
فيها انهار حال من الجنة اي مستقرة فيها انهار من ماء ولما كان ماء
الدنيا مختلف الطعوم مع اتحاد الارض ببساطتها وبشرة اتصالها
لها للدلالة على ان الفاعل لذلك قادر مختار وقد يكون آسنا اي
متغيرا عن الماء الذي يشرب بريح منتنة من اصل خلقته او من عارض عرض له من منبعه او مجراه قال تعالى غير آسن اي ثابت
له في وقت ما شيء من الطعم او اللون او الريح بوجه من الوجوه وا
ن طالت اقامته وان اطيف اليه غيره فانه لا يقبل التغيير بوجه
بخلاف ما الدنيا فيتغير لعارض وقرا ابن كثير بقصر الهمزة

والباقون

والباقون بمدها وهما لغتان وانهار من لبن ولما كان التغيير غير
محمود قال تعالى لم يتغير طعمه اي بنفسه عن اصل خلقته وان اقام
مدا الدهر بخلاف لبن الدنيا لخروجه من الضرع وهذا يفهم انهم لو
راوا تغييره لشهوة اشتهوها تغير وانه مع طيبه على انواع كثيرة
كما كان في الدنيا متنوعا وانهار من خمر ولما كان الخمر يكره طعمها وانما
يشربها شاربوها لاثرها وانه متى تغير طعمها زال اسمها عرف
ان كل ما في خمر الجنة في غاية الحسن غير متعرض لطعم فقال تعالى لذة
اي لذيذة للشاربين في طيب الطعم وحسن العاقبة بخلاف خمر الدنيا
فانها كريهة عند الشرب وانهار من عسل ولما كان عسل الدنيا لا يوجد
الا مصفى يوجد الا مخلوطا لخروجه من بطون النحل بالشمع وغيره
من القذى قال تعالى مصفى اي هو صاف صفا ما اجتهد في تصفيته
من ذلك وهذا الوصف ثابت له دايما لا انفكاك له في وقت ما
تنبيه قال ابو حيان في حكمة ترتيب الانهار هذه انه بدأ
بالماء الذي لا تستغني عنه المشروبات ثم باللبن اذ كان يجري مجرى
المطعومات في كثير من اوقات العرب ثم بالخمر لانه اذا حصل الري
والمطعم تشوقت النفس الى ما تلتذ به ثم بالعسل لان فيه الشفا
في الدنيا مما يعرض من المطعوم والمشروب انتهى فان قيل
ما الحكمة في قوله تعالى في الخمر لذة للشاربين ولم يقل في اللبن لم يتغير
طعمه للطاعمين ولا قال في العسل مصفى للناظرين اجاب
الرازي بان اللذة تختلف باختلاف الناس فان الحلو والحامض و
غيرهما يدركه كل احد لكن قد يعافه بعض الناس ويلتذ به البعض
مع اتفاقهم على ان له طعما واحدا وكذلك اللبن فلم يكن للتصريح
بالتعميم حاجة فايدة روي عن كعب الاحبار انه قال نهر
دجلة نهر ماء اهل الجنة ونهر الفرات نهر لبنهم ونهر مصر نهر
خمرهم ونهر سيحان وجيحان نهر عسلهم وهذه الانهار الاربعة تخرج

من نهر الكوثر وقال ابن الحكم في فتوح مصر ان كعب الاحبار سئل هل تجد
لهذا النيل في كتاب الله عز وجل خبرا فقال اي والذي فلق البحر لموسى
اني لاجده في كتاب الله تعالى ان الله عز وجل يوحي اليه في كل عام مرتين يوحي
اليه عند جريه ان الله يامرك ان تجري فيجري ما كتب الله تعالى له ثم يوحي اليه
بعد ذلك يا نيل غر حميدا وعن كعب ايضا انه قال اربعة انهار من الجنة
وضعها الله في الدنيا فالنيل نهر العسل في الجنة والفرات نهر الخمر في الجنة
وسيحان نهر الما في الجنة وجيحان نهر اللبن في الجنة وعنه ايضا انه قال
النيل في الاخرة يكون عسلا اغزر ما يكون من الانهار التي سمى الله عز
وجل ودجلة في الاخرة لبنا اغزر ما يكون من الانهار التي سمى الله عز وجل
والفرات خمرا اغزر ما يكون من الانهار التي سمى الله عز وجل وجيحان ما اغزر
ما يكون من الانهار التي سمى الله عز وجل واصل هذا كله ما في الصحيح في وصف
الجنة عن ابي هريرة ان النبي صلى الله عليه وسلم قال سيحان وجيحان والنيل والفرات
من انهار الجنة ولما كانت الثمار لا تستطاب بعد منافع الشراب قال تعالى و
لهم فيها وقوله تعالى من كل الثمرات فيه وجهان احدهما ان هذا الجار صفة
لمقدر ذلك المقدر والمقدر ولهم فيها زوجان من كل الثمرات كانه انتزعه من
قوله تعالى فيهما من كل فاكهة زوجان وقدره بعضهم صنف والاول كما قال ابن
عادل اليق ثانيهما ان من زائدة في المبتدا ومغفرة من ربهم فهو راض
عنهم مع احسانه اليهم بما ذكر بخلاف سيد العبيد في الدنيا فانه قد يكون
مع احسانه اليهم ساخطا عليهم وقوله تعالى كمن هو خالد في النار خبر
مبتدا مقدر اي امن هو في هذا النعيم كمن هو مقيم ابدا لا انقطاع
معها في النار التي لا ينطفي لهيبها ولا ينفك اسيرها ووحد لان الخلود بهم
من فيها على حد سوا وسقوا اي عوض ما ذكر من شراب اهل الجنة
ماء حميما هو في غاية الحرارة فقطع امعاءهم اي مصارينهم فخرجت من
ادبارهم وهو جمع معاء بالقصر والفه عن يا لقولهم معيان ومنهم من
يستمع اليك اي في خطب الجمعة وهم المنافقون والضمير في قوله تعالى

ومنهم

بيان وسقوا

بياض فقطع

باب للمدينة ثم صاح بهم صيحة واحدة فاذا هم ميتون يا حسرة على العباد
اي هولاء ونحوهم ممن كذبوا الرسل فاهلكوا وهي شدة التالم ونداؤها
مجاز اي هذا اوانك فاحضري ثم بين تعالى سبب الحسرة والندامة بقوله تعالى
ما ياتيهم من رسول اي رسول كان في اي وقت كان الا كانوا به اي بذلك
الرسول يستهزءون والمستهزئ بالناصحين المخلصين احق ان يتحسر
ويتحسر عليه وقيل يقول الله تعالى يوم القيامة يا حسرة على العباد حين لم يؤمنوا
بالرسل ولما بين تعالى حال الاولين قال للحاضرين الم يروا اي اهل مكة القا
يلين للنبي صلى الله عليه وسلم لست مرسلا والاستفهام للتقرير اي اعلموا وقوله
تعالى كم خبرية بمعنى كثيرا وهو معمول لاهلكنا تقديره كثيرا من القرون
اهلكنا وهي وقوله لما بعدها معلقة ليروا عن العمل ذهابا بالخبرية مذهب
الاستفهامية والمعنى اما اهلكنا قبلهم كثيرا من القرون اي الامم قال البغوي
والقرن اهل كل عصر سموا بذلك لاقترانهم في الوجود انهم اي المهلكين اليهم اي
الى اهل مكة لا يرجعون اي لا يعودون الى الدنيا افلا يعتبرون وقيل لا يرجعون اي
الباقون لا يرجعون الى المهلكين بسبب ولادة اي اهلكناهم وقطعنا نسلهم ولا شك
ان الاهلاك الذي يكون مع قطع النسل اتم واعم قال ابن عادل والاول اشهر نقلا
والثاني اظهر عقلا وقوله تعالى وان نافية او مخففة وقوله تعالى كل اي كل الخلا بق
مبتدا وقرا لما ابن عامر وعاصم وحمزة بتشديد الميم بمعنى الا والباقون
بالتخفيف فاللام فارقة وما مزيدة وقوله تعالى جميع اي مجموعون خبر اول
لدينا اي عندنا في الموقف بعد بعثهم وقوله تعالى محضرون اي للحساب خبر
ثان وما احسن قول القائل ولو انا اذا متنا تركنا لكان الموت راحة
كل حي ولكنا اذا متنا بعثنا ونسال بعدها عن كل شي ولما قال تعالى
وان كل لما جميع كان ذلك اشارة الى الحشر فذكر ما يدل على امكانه قطعا لا
[illegible] انكارهم واستبعادهم فقال تعالى واية اي علامة عظيمة لهم اي
على قدرتنا على البعث وايجادنا له الارض اي هذا الجنس الذي هم منه
ثم وصفها بما حقق وجه الشبه بقوله تعالى الميتة التي لا روح لها لانه لا نـ

نبات لها اعم من ان يكون بها نبات وقيل ولم يكن بها شي اصلا ثم استانف
بيان كونها اية بقوله تعالى احييناها اي باختراع النبات فيها او باعادته بسبب
المطر كما كان بعد اضمحلاله فان قيل الارض اية مطلقا فلم خصها بهم حيث
قال تعالى واية لهم اجيب بان الاية تتعدد وتتسدد لمن يعرف النبي بابلغ الوجوه
واما من عرف النبي بطريق الروية لا يذكر له دليل فالنبي صلى الله عليه وسلم وعباد
الله المخلصين عرفوا الله تعالى قبل الارض والسما فليست الارض معرفة لهم
تنبيه اية خبر مقدم ولهم صفتها او متعلقة باية لانها علامة والارض مبتدا
واعرب ابو البقا اية لمبتدا ولهم الخبر والارض الميتة مبتدا وصفته واحييناها
خبره فالجملة مفسرة لاية وبهذا ابدا ثم قال وقيل فذكر الاول ولما كان اخراج
الاقوات نعمة اخرى قال واخرجنا منها حبا اي جنس الحب كالحنطة والشعير
والارز ثم بين عموم نفعه بقوله فمنه اي بسبب هذا الاخراج ياكلون اي من
ذلك الحب فهو حب حقيقة تعلمون ذلك علم اليقين وعين اليقين وحق
اليقين لا تقدرون تدعون ان ذلك خيال سحري بوجه من الوجوه وفي هذه
الاية وامثالها حث عظيم على تدبر القران واستخراج ما فيه من المعاني الدالة
على جلال الله تعالى وكماله وقد انشد هنا الاستاذ القشيري في تفسيره و
عجبت من اهل ذلك يا من تصدر في دست الامامة في مسايل الفقه
املا وتدريسا غفلت عن حجج التوحيد تحكمها تشيدت فرعا وما مهدت
تاسيسا ولما ذكر الزرع وهو ما لا ساق له اتبعه بذكر ما له ساق بقوله
وجعلنا اي بما لنا من العظمة فيها اي الارض جنات اي بساتين من نخيل و
اعناب ذكر هذين النوعين لكثرة نفعهما وقدم النخل لانه نفع خشبه
وسعفه وليفه وخوصه وعراجينه وثمره طلعا وبسرا ورطبا وتمرا وفيه
زينة دايما لكونه لا يسقط ورقه ولما كانت الجنات لا تصلح الا بالما قال
تعالى وفجرنا اي فتحنا فتحا عظيما فيها اي الارض من العيون شيا
فحذف الموصوف واقيمت الصفة مقامه او العيون ومن مزيدة عند الا
خفش قال البقاعي والتعريف هنا يدل على ان الارض مركبة على الما فكل موضع

منها

منها صالح لان ينفجر منه الما ولكن الله تعالى يمنعه من بعض المواضع بخلاف
الاشجار ليس فيها شي غالبا على الارض ففي ذلك تذكير بالنعمة في حبس
الما عن بعض الارض ليكون موضعا للسكن ولو شا لفجر الارض كلها عيونا
كما فعل بقوم نوح فاغرق اهل الارض وقرا نافع وابو عمرو وهشام وحفص
برفع والباقون بالكسر ولما كان حياة كل شي انما هي بالما اشار بذلك
الى قوله تعالى لياكلوا من ثمره اي ثمر ما ذكر وهو الجنات وقيل الضمير يعود
على الاعناب لانها اقرب مذكور وكان من حق الضميران يثنى لتقديم
شيين وهما الاعناب والنخيل الا انه اكتفى بذكر احدهما وقيل الضمير
لله على طريقة الالتفات من التكلم الى الغيبة وقرا حمزة والكسايي برفع الثا
والميم وهو لغة فيه او جمع ثمار والباقون بفتحهما وقوله تعالى وما
عملته ايديهم عطف على الثمر والمراد ما يتخذ منه كالعصير والدبس
فما موصولة اي ومن الذي عملته ايديهم ويويد هذا قراة حمزة والكسايي
وشعبة بحذف الها من عملته ايديهم وما نافية على قراة الباقين با
ثباتها اي وجدوها معمولة ولم تعملها ايديهم ولا صنع لهم فيها وقيل
اراد العيون والانهار التي لم تعملها يد مخلوق مثل دجلة والفرات والنيل
ثم لما عدد النعم اشار الى الشكر بقوله تعالى افلا يشكرون اي اشكروا
فهو امر بصيغة الاستفهام اي اوداموا على ايقاع الشكر والدوام على تجدده
في كل حين بسبب هذه النعم ولما امرهم الله تعالى بالشكر وشكر الله تعالى
بالعبادة وهم تركوها وعبدوا غيره واشركوا قال تعالى سبحان الذي
خلق الازواج اي الاصناف والانواع كلها اي وغيره لم يخلق شيا
ثم بين ذلك بقوله تعالى مما تنبت الارض ودخل فيه كل نجم وشجر
ومعدن وغيره من كل ما تولد منها ومن انفسهم من الذكور والاناث
وقوله تعالى ومما لا يعلمون يدخل فيه ما في اقطار السموات وتخوم الا
رضين من المخلوقات العجيبة الغريبة ولما استدل تعالى باحوال
الارض وهو المكان الكلي استدل بالليل والنهار وهو الزمان الكلي

بقوله تعالى وآية لهم الليل اي على اعادة الشي بعد افنائه نسلخ
اي نفصل منه النهار فان دلالة الزمان والمكان متناسبة لان
المكان لا يستغني عنه الجواهر والزمان لا تستغني عنه الاعراض
لان كل عرض فهو في زمان تشبيه نسلخ استعارة تبعية
مصرحة شبه انكشاف ظلمة الليل بكشط الجلد من الشاة والجامع
ما يعقل من ترتب احدهما على الاخر فاذا هم اي بعد ازالة النهار
الذي سلخناه من الليل مظلمون اي داخلون في الظلام بظهور الليل الذي
كان الضيا ساترا له كما يستر الجلد الشاة قال الماوردي وذلك
ان ضوء النهار يتداخل في الهواء فيضيء فاذا خرج منه اظلم نقله ابن الجوزي عنه
وقدار شد السياق حتما الى ان التقدير والنهار نسلخ منه الليل الذي كان ساترا له
وغالبا عليه فاذا هم مبصرون ولما ذكر الوقتين ذكر بينهما مبتدئا باية النهار
بقوله تعالى والشمس اي التي سلخ النهار من الليل بغيبوبتها تجري لمستقر لها
اي لحد معين ينتهي اليه دورها لا تتجاوزه فتشبه بمستقر المسافر اذا قطع
سيره وقيل لحد لها مستقرها الى انتهاء سيرها عند انقضاء الدنيا وقيام
الساعة وقيل تسير حتى تنتهي الى ابعد مغاربها ثم ترجع فذلك مستقرها
لا تتجاوزه وقيل مستقرها نهاية ارتفاعها في السماء في الصيف ونهاية
هبوطها في الشتاء وقد صح عن النبي صلى الله عليه وسلم قال لابي ذر حين غربت
الشمس تدري اين تذهب قلت الله ورسوله اعلم قال فانها تذهب حتى تسجد
تحت العرش فتستاذن فيؤذن لها ويوشك ان تسجد فلا يقبل منها
وتستاذن فلا يؤذن لها يقال لها ارجعي من حيث جئت فتطلع من مغربها
فذلك قوله تعالى والشمس تجري لمستقر لها ولما كان هذا الجري على نظم لا
يختل على مر السنين وتعاقب الاحقاب عظمه بقوله تعالى ذلك اي الامر الباهر
للعقول وزاد في عظمه بصيغة التفعيل بقوله تعالى تقدير العزيز اي الذي
لا يقدر احد في شي من امره على نوع مغالبة وهو غالب على كل شي العليم اي المحيط
علما بكل شي الذي يدبر الامر فيطرد على نظام عجيب ونهج بديع لا يعتريه وهن

ولا يلحقه

ولا يلحقه يوما نوع خلل ويحتمل ان يكون الاشارة الى المستقر اي ذلك
المستقر تقدير العزيز العليم ولما ذكر اية النهار اتبعها اية الليل بقوله تعالى
والقمر قدرناه اي من حيث سيره منازل ثمانية وعشرين منزلا في ثمانية
وعشرين ليلة من كل شهر ويستتر ليلتين ان كان الشهر ثلاثين يوما وليلة
ان كان الشهر تسعة وعشرين يوما وقد ذكر اسامي المنازل في سورة يونس
عليه السلام فاذا صار القمر في اخر منازله دق فذلك قوله تعالى حتى عاد
اي بعد ان كان بدرا عظيما كالعرجون من النخل وهو عود العذق ما بين
شماريخه الى منتهاه وهو منبته من النخلة رقيقا منحنيا ثم وصفه
بقوله تعالى القديم فانه اذا عتق ييبس وتقوس واصفر فيشبه القمر
في رقته وصفرته في راي العين في اخر المنازل قال القشيري ان القمر يبعد عن
الشمس ولا يزال يتباعد حتى يعود بدرا ثم يدنو فكلما ازداد من الشمس
دنوا ازداد في نفسه نقصانا الى ان يتلاشى وقرا نافع وابن كثير وابو عمرو
والقمر برفع الراء والباقون بالنصب والرفع على الابتداء والنصب على باضمار
فعل على الاشتغال والوجهان مستويان لتقدم جملة ذات وجهين وهي قوله تعالى
والشمس تجري فان راعيت صدرها رفعت لتعطف جملة اسمية على مثلها
وان راعيت عجزها نصبت لتعطف فعلية على مثلها ولما تقرر ان لكل منها منازل
لا يعدوها فلا يغلب ما هو اية الاخر بل اذا جاء سلطان هذا ذهب سلطان
ذاك واذا جاء ذاك ذهب هذا قال تعالى لا الشمس التي هي اية النهار ينبغي
اي يسهل لها اي ما دام هذا الكون موجودا على هذا الترتيب ان تدرك القمر
اي تجتمع معه في الليل فما النهار سابق الليل ولا الليل سابق النهار
اي فلا ياتي احدهما قبل انقضاء الاخر فلا اية منهما لاحقة الاخرى لانه نفي اولا
ادراك الشمس لفوتها القمر ففيه دليل على ما حذف من الثانية من نفي ادراك
القمر للشمس فانها لا تكون في الليل اصلا ونفي ثانيا سبق الليل النهار و
فيه دليل على حذف سبق النهار الليل اولا كما قدرته وكل اي من الشمس
والقمر في فلك محيط به وهو الجسم المستدير او السطح المستدير او الدائرة

لان اهل اللغة علي ان فلكة المغزل سميت فلكة لاستدارتها وفلكة
الخيمة وهي الخشبة المستديرة المسطحة التي توضع علي راس العمود لئلا
يمزق العمود الخيمة وهي صفحة مستديرة فان قيل فعلي هذا تكون السما
مستديرة وقد اتفق اكثر المفسرين علي ان السما مبسوطة لها اطراف علي
جبال وهي كالسقف المستوي ويدل عليه قوله تعالي والسقف المرفوع اجاب
الرازي بانه ليس في المنصوص ما يدل دلالة قاطعة علي كون السما مستديرة
بل دل الدليل الحسي علي كونها مستديرة فوجب المصير اليه والسقف المقبب
لا يخرج عن كونه سقفا وكذالك علي جبل ومن الادلة الحسية ان السما لو كانت
مستوية لكان ارتفاع اول النهار واخره مستويا وليس كذالك وذكر غير ذالك
من الادلة وفي هذا كفاية ولما ذكرها فعل العقلا من كونها علي نظام محرر
لا يختل وسير مقدر لا يعوج ولا يختل جمعها جمعهم بقوله تعالي يسبحون
وقال المنجون قوله تعالي يسبحون يدل علي انها احيا لان ذالك لا يطلق
الا علي العاقل قال الرازي ان ارادوا القدر الذي يكون منه تسبيح فنقول به
به لان كل شي يسبح بحمده وان اراد وا شيا اخر فلم يثبت ذالك والاستعمال
لا يدل كما في قوله تعالي في حق الاصنام ما لكم لا تنطقون الا انا كلوت ولما ذكر
سبحانه وتعالي ما حد له حدودا في المساحة في وجه الفلك ذكر ما هيا به
من الفلك للسباحة علي وجه الما بقوله تعالي واية لهم اي علي قدرتنا التامة
انا اي علي ما لنا من العظمة حملنا ذريتهم اي اباهم الاصول قال البغوي
واسم الذرية يقع علي الابا كما يقع علي الاولاد والالف واللام في قوله تعالي
في الفلك للتعريف اي فلك نوح وهو مذكور في قوله تعالي واصنع الفلك
باعيننا وهو معلوم عند العرب ثم وصف الفلك بقوله تعالي المشحون اي
الموقر المملو حيوانا وزادا وهو يتقلب في فلك المياه التي لم ير احد قط
مثلها ولا يري ايضا ومع ذالك فسلمها الله تعالي كذا وايضا الادمي يرسب
في الما ويغرق فحمله في الفلك وقع بقدرته تعالي لكن من الطبيعيين من
يقول الخفيف لا يرسب لانه يطلب جهة فوق فقال الفلك المشحون اثقل

من

١٤

من الثقال التي ترسب ومع هذا حمل الله الانسان فيه مع ثقله وقال اكثر
المفسرين ان الذرية لا تطلق الا علي الولد وعلي هذا فالمراد اما ان يكون الفلك
المعين الذي كان لنوح واما ان يكون المراد الجنس كقوله تعالي وجعل لكم
من الفلك والانعام ما تركبون وقوله تعالي وتري الفلك فيه مواخر وقوله
تعالي فاذا ركبوا في الفلك الي غير ذالك من استعمال لام التعريف في الفلك
لبيان الجنس فان كان المراد سفينة نوح ففيه وجوه الاول ان المراد حملنا
اولادهم الي يوم القيامة في ذالك الفلك ولولا ذالك ما بقي للاب نسل
ولا عقب وعلي هذا فقوله تعالي حملنا ذريتهم اشارة الي كمال النعمة اي لم تكن
النعمة مقتصرة عليكم بل متعدية الي اعقابكم الي يوم القيامة وهذا قول الز
مخشري قال ابن عادل ويحتمل ان يقال انه تعالي انما خص الذرية لان الموجودين
كانوا كفارا لا فايدة في وجودهم فقال تعالي حملنا ذريتهم اي لم يكن
الحمل حملا لهم وانما كان حملا لما في اصلابهم من المومنين كمن حمل صندوقا
لا قيمة له وفيه جواهر قيل انه لم يحمل الصندوق وانما حمل ما فيه ثانيها ان المراد
بالذرية الجنس اي حملنا اجناسهم لان ذالك الحيوان من جنسه ونوعه والذرية
تطلق علي الجنس ولذا لا تطلق علي النسا لنهي النبي صلي الله عليه وسلم عن
قتل الذراري اي النسا لان المراة وان كانت صنفا غير صنف الرجل لكنها من
جنسه ونوعه يقال ذرارينا اي امثالنا ثالثها ان الضمير في قوله تعالي
واية لهم الليل واية لهم انا حملنا ذريتهم واذا علم هذا فكانه قال تعالي
واية للعباد انا حملنا ذرية العباد ولا يلزم ان يكون المراد بالضمير في الموضعين
اشخاصا معينين كقوله تعالي ولا تقتلوا انفسكم ويريد بعضكم
بعضا ولذالك اذا تقاتل قوم ومات الكل في القتال فهولا القوم
قتلوا انفسهم فهم في موضعين يكون عايدا الي القوم ولا يكون المراد اشخاصا
معينين بل المراد ان بعضهم قتل بعضهم فكذالك قوله تعالي اية لهم اي
اية لكل بعض منهم انا حملنا كل بعض منهم او ذرية بعض منهم وان
قلنا المراد جنس الفلك قال ابن عادل وهو الاظهر لان سفينة نوح لم تكن

بحضرتهم ولم يعلموا من حمل فيها فاما جنس الفلك فانه ظاهر لكل احد وقوله
تعالى في سفينة نوح وجعلناها اية للعالمين اي بوجود جنسها ومثلها ويؤ
يده قوله تعالى الم تر ان الفلك تجري في البحر بنعمة الله ليريكم من اياته ان
في ذلك لايات لكل صبار شكور فان قيل ما الحكمة في قوله تعالى واية لهم الارض
والاية لهم الليل ولم يقل واية لهم الفلك اجيب بان حملهم في الفلك هو
العجب اما نفس الفلك فليس بعجيب لا قدرة لاحد عليها الا الله فان قيل قال
تعالى وحملناكم في البر والبحر ولم يقل ذريتكم مع ان المقصود في الموضعين
بيان النعمة لا دفع النقمة اجيب بانه تعالى لما قال في البر والبحر عم الخلق
لان ما من احد الا وحمل في البر والبحر واما الحمل في البحر فلم يعم فقال ان كنا
ما حملناكم بانفسكم فقد حملنا من يهمكم امره من الاولاد والاقارب والاخوان
والاصدقاء وقرا نافع وابن عامر بالف بعد الياء التحتية وكسر الفوقانية
على الجمع والباقون بغير الف وفتح الفوقانية على الافراد واختلف في
تفسير قوله تعالى وخلقنا لهم من مثله اي من مثل الفلك ما يركبون
فقال ابن عباس يعني الابل فالابل في البر كالسفن في البحر وقيل اراد به السفن
التي عملت بعد سفينة نوح عليه السلام على هيئتها وقال قتادة والضحاك
وغيرهما اراد به السفن الصغار التي تجري في الانهار كالفلك الكبار في
البحار وان نشا اي لاجل ما لنا من القوة الشاملة والقدرة التامة
نغرقهم اي مع ان هذا الماء الذي يركبونه ليس كالماء الذي حملنا فيه اباهم
فلا صريخ لهم اي مغيث لهم يحميهم مما يريد بهم من الغرق او فلا اغاثة كقو
لهم اتاهم الصريخ ولا هم اي بانفسهم من غير صريخ ينقذون اي يكون لهم
انقاذ اي اخلاص لانفسهم او غيرها الا رحمة اي لكن ننقذهم لاجل رحمة
منا اي لهم لا وجوبا علينا ولا لمنفعة تعود منهم الينا ومتاعا اي وهو
تمتيعنا اياهم بلذاتهم الى حين اي الى انقضاء اجلهم واذا قيل لهم اي من اي
قائل كان اتقوا ما بين ايديكم اي من عذاب الدنيا كغيركم وما خلفكم
اي من عذاب الاخرة لعلكم ترحمون تعاملون معاملة المرحوم بالاكرام وقال

ابن عباس

ابن عباس ما بين ايديكم يعني الاخرة فاعملوا لها وما خلفكم يعني الدنيا
فاحذروها ولا تغتروا بها وقال قتادة ومقاتل ما بين ايديكم وقائع
الله فيمن كان قبلكم من الامم وما خلفكم عذاب الاخرة تنبيهات
احدها الا رحمة منصوب على المفعول له وهذا مستثنى مفرغ وقيل
مستثنى منقطع وقيل على المصدر بفعل مقدر وقيل على اسقاط الخافض
اي الا برحمة والفاء في قوله تعالى فلا صريخ لهم لهذه الجملة بما قبلها فا
الضمير في لهم عائد على المغرقين ثانيها جواب اذا محذوف تقديره اعرضوا
بدليل عليه قوله تعالى بعده الا كانوا عنها معرضين وعلى هذا فقط كانوا
زائدة وما تاتيهم من اية من ايات ربهم اي المحسن اليهم الا كانوا
اي مع كونها من عند من غمرهم احسانه وعمهم فضله وامتنانه عنها
معرضين اي دابهم الاعراض واذا قيل لهم اي من اي قائل كان انفقوا اي
على من لا شيء له شكرا لله على ما اعطاكم قال صلى الله عليه وسلم هل [illegible]
وتنصرون الا بضعفائكم انما يرحم الله من عباده الرحماء وبين تعالى انهم
يبخلون بما لا صنع لهم فيه بقوله تعالى مما رزقكم الله اي مما اعطاكم
الله الذي له جميع صفات الكمال قال الذين كفروا اي ستروا وغطوا
ما دلهم على انوار عقولهم من الخيرات للذين امنوا اي استهزاء بهم
انطعم من لو يشاء الله اي الذي له جميع العظمة كما زعمتم في كل
وقت يريده اطعمه وذلك ان المؤمنين قالوا لكفار مكة انفقوا
على المساكين مما زعمتم انه من اموالكم انه لله تعالى وهو ما جعلوه لله
من حروثهم واموالهم قالوا انطعم من لو يشاء الله اطعمه لكنا نظره لا يشاء
ذلك فانه لم يطعمهم مما نرى من فقرهم فنحن ايضا لا نشاء ذلك موا
فقة لمراد الله فيه فتركوا التادب بفعل الامر واظهروا التادب مع بعض
ارادة الله المنهي عن الجري معها والاستسلام لها وهذا ما يتمسك
به البخلاء يقولون لا نعطي من حرمه الله تعالى وهذا الذي يزعمون باطل لان
الله تعالى اغنى بعض الخلق وافقر بعضهم ابتلاء فمنع الدنيا من الفقير لا بخلا

وامر الغني بالانفاق لاحاجة الى ماله ولكن ليبلوا الغني بالفقير فيما فرض له
في مال الغني فلا اعتراض لاحد في مشيئة الله وحكمه في خلقه وما كفاهم حتى قالوا
لمن ارشدهم الى الخير ان اي ما انتم الا في ضلال اي يحيط بكم مبين اي في
غاية الظهور وما دروا ان الضلال انما هو لهم فان قيل قولهم من لو يشاء الله
اطعمه كلام حق فلماذا ذكر في موضع الذم اجيب بان مرادهم كان الانكار لقدرة
الله تعالى او لعدم جواز الامر بالانفاق مع قدرة الله تعالى وكلاهما فاسد
فبين تعالى ذلك بقوله سبحانه مما رزقكم الله فانه يدل على قدرته و
يصحح امره بالاعطا لان من كان له مع الغير مال وله في خزانته مال يجوز ان اراد
اعطى مما في خزانته وان اراد امر من عنده المال بالاعطا ولا يجوز ان يقول
من في يده ماله في خزانتك اكثر مما في يدي اعطه منه فان قيل ما
الحكمة في تغيير اللفظ في جوابهم حيث لم يقولوا انفق على من لو يشاء الله
رزقه لانهم امروا بالانفاق فكان جوابهم ان يقولوا انفق فلم قالوا
انطعم اجيب بان هذا بيان غاية مخالفتهم لانهم انما امروا بالانفاق
والانفاق يدخل فيه الاطعام وغيره فلم ياتوا بالانفاق ولا باقل منه وهو
الاطعام وهذا كقول القائل لغيره اعط زيدا دينارا فيقول لا اعطيه درهما
مع ان المطابق هو ان يقول لا اعطيه دينارا فيقول ولكن المبالغة في هذا
الوجه لم تتم فكذلك هنا تنبيه انما وصفوا المؤمنين بانهم في ضلال
مبين لظنهم ان كلام المؤمنين متناقض ومن تناقض كلامه يكون
في غاية الضلال قال الرازي ووجه ذلك انهم قالوا انطعم من لو يشاء
الله اطعمه وهذا اشارة الى ان الله تعالى ان شاء ان يطعمهم فهو
يطعمهم فكان الامر باطعامهم امرا بتحصيل الحاصل وان لم يشا اطعا
مهم لا يقدر احد على اطعامهم لامتناع وقوع ما لم يشا الله فلا قدرة
لنا على الاطعام فكيف تامروننا به ووجه اخر وهو انهم قالوا ان اراد الله
تجويعهم فلو اطعمناهم يكون ذلك سعيا في ابطال فعل الله تعالى وانه لا يجوز
وانتم تقولون اطعموهم فهو ضلال واعلم انه لم يكن في الضلال الا هم حيث

نظروا

نظروا الى المراد ولم ينظروا الى الطلب والامر وذلك لان العبد اذا امره السيد
بامر لا ينبغي الاطلاع على المقصود الذي لاجله امر به مثاله اذا اراد الملك
الركوب للهجوم على عدوه بحيث لا يطلع عليه احد وقال للعبد احضر المركوب
فلو تطلع واستكشف المقصود الذي لاجله الركوب نسب الى انه يريد ان يطلع
عدوه على الحذر منه وكشف سره فالادب في الطاعة هو الامتثال الامر لا تتبع
المراد فالله سبحانه اذا قال انفقوا مما رزقكم الله لا يجوز ان يقال لم يطعمهم
الله مما في خزائنه وقد تقدم ماله بهذا تعلق ويقولون اي عادة
مستمرة مضمومة الى ما تقدم متى هذا وزادوا في الاستهزاء بتسميته
وعدا فقالوا الوعد اي البعث الذي تهددوننا به تارة تلويحا وتارة تصر
يحا عجلوه لنا ان كنتم صادقين فيه قال تعالى ما ينظرون اي
ينتظرون الا صيحة ولشدة حقارة شانهم وتمام قدرته بقوله
عز وجل واحدة وهي نفخة اسرافيل الاولى المهيبة تاخذهم وقوله تعالى
وهم يخصمون قراءة حمزة بسكون الخاء وتخفيف الصاد من خصم يخصم و
المعنى يخصم بعضهم بعضا فالمفعول محذوف وابو عمرو وقالون باخفاء
فتحة الخاء وتشديد الصاد ونافع وابن كثير وهشام كذلك الا انهم
باختلاس فتحة الخاء والباقون بكسر الخاء وتشديد الصاد والاصل في القرا ة
الثلاثة يختصمون فادغمت التاء في الصاد فنافع وابن كثير وهشام
نقلوا فتحتها الى الساكن قبلها نقلا كاملا وابو عمرو وقالون اختلسا
حركتها تنبيها على ان الخاء اصلها السكون والباقون حذفوا حركتها فا
لتقى ساكنان كذلك فكسر اولهما فهذه اربع قراءة ولما كانت هذه
هي النفخة المميتة تسبب عنها قوله تعالى فلا يستطيعون توصية
اي يوجدوا التوصية في شيء من الاشيا ولا الى اهلهم اي فضلا عن ان ير
جعون اي فيروا احوالهم بل يموت كل واحد في مكانه حيث تفجأه الصيحة
وربما افهم التعبير بالى انهم يريدون الرجوع فيخطون خطوة او نحوها
وفي الحديث لتقومن الساعة وقد رفع الرجل نشر الرجلان ثوبهما

بينهما فلا يبيعانه ولا يطويانه ولتقومن الساعة وقد رفع رجل اكلته
الى فيه فلا يطعمها ولما دل ذلك على الموت قطعا عقبه بالبعث بقوله تعالى
ونفخ في الصور اي القرن النفخة الثانية للبعث وبين النفختين اربعون
سنة ولما كان هذا النفخ سبب القيام عنده من غير تخلف عبر تعالى بدل
على التعقيب والتسبب والفجاءة بقوله تعالى فاذا هم اي في حين النفخ من
الاجداث اي القبور واحدها جدث المهياة هي ومن فيها لسماع ذلك النفخ
فان قيل كيف يكون ذلك الوقت اجداث وقد زلزلت الصيحة الجبال
اجيب بان الله تعالى يجمع اجزا كل ميت في الذي اقبر فيه فيخرج من ذلك الموضع
وهو جدثه الى ربهم اي الى الموقف الذي اعده لهم من احسن اليهم بالتربية
ينسلون اي يسرعون المشي مع تقارب الخطا بقوة ونشاط فيا لها من
قدرة شاملة وحكمة كاملة حيث كان صوت واحد يحيي تارة ويميت
اخرى فان قيل المشي اذا توجه الى من احسن اليه يقدم رجلا ويؤخر اخرى
والنسلان سرعة المشي فكيف يوجد منهم اجيب بانهم ينسلون من غير
اختيارهم فان قيل قال في اية فاذا هم قيام ينظرون وقال هاهنا فاذا
هم من الاجداث الى ربهم ينسلون والقيام غير النسلان وقوله تعالى
في الموضعين اذا هم يقتضي ان يكونا معا اجيب بان القيام لا ينافي
المشي السريع لان الماشي قائم ولا ينافي النظر وبان ذلك لسرعة الامور
كان كل في زمان واحد كقول القائل مكر مفر مقبل مدبر معا واعلم ان النفختين
يورثان تزلزلا وانتقالا للاجرام فعند اجتماع الاجرام تفرقها وهو المراد
بالنفخة الاولى وعند تفرق الاجرام يجمعها وهو النفخة
الثانية ولما تشوفت النفوس الى ما يقولون اذا عاينوا ما كانوا ينكرون
استانف قوله تعالى قالوا اي الذين هم من اهل الويل يا للتنبيه ويلنا
اي هلاكنا وهو مصدر لا فعل له من لفظه من بعثنا من مرقدنا قال
ابي ابن كعب وابن عباس وقتادة انما يقولون هذا لان الله تعالى يرفع
عنهم العذاب بين النفختين فيرقدون فاذا بعثوا بعد النفخة

الاخرة

الاخيرة وعاينوا القيامة دعوا بالويل وقال اهل المعاني ان الكفار اذا عاينوا
جهنم وانواع عذابها صار عذاب القبر في جنبها كالنوم فعدوا امكانهم الذي
كانوا فيه مع ما كانوا فيه من عذاب البرزخ مرقدا هينا بالنسبة الى ما تكشف لهم
من العذاب الاكبر فقالوا من بعثنا من مرقدنا فان قيل ما وجه تعلق من بعثنا
من مرقدنا بقولهم يا ويلنا اجيب بانهم لما بعثوا تذكروا ما كانوا يسمعون من
الرسل فقالوا يا ويلنا ابعثنا الله البعث الموعود به ام كنا نياما فنبهنا
كما اذا كان انسان موعودا بان ياتيه عدو ولا يطيقه ثم يرى رجلا هايلا
يقبل عليه فيرتجف في نفسه ويقول اهذا ذاك ام لا ويدل على هذا قولهم من
مرقدنا حيث جعلوا القبور موضع الرقاد اشارة الى انهم شكوا في انهم كانوا
نياما فنبهوا او كانوا موتى فبعثوا وكان الغالب على ظنهم هو البعث فجمعوا
بين الامرين وقالوا من مرقدنا اشارة الى توهمهم احتمال الانتباه وقولهم
هذا اشارة الى البعث ما اي الذي وعد اي به الرحمن اي العام الرحمة الذي
رحمته مقتضية ولا بد صدقه للبعث لينصف المظلوم من ظالمه ويجازي كلا بعمله
من غير حيف وقد رحمنا بارسال الرسل الينا بذلك وطال ما انذرونا حلوله و
حذرونا صعوبته وطوله وصدق المرسلون اي الذين اتونا بوعده
ووعيده تنبيه في اعراب هذا وجهان اظهرهما انه مبتدا وما بعده خبره
ويكون الوقف تاما على قوله تعالى من مرقدنا وهذه الجملة حينئذ فيها و
جهان احدهما انها مستانفة من قول الله تعالى او من قول الملايكة او
من قول المومنين الثاني انها من كلام الكفار فتكون في محل نصب بالقول
الثاني من الوجهين الاولين هذا صفة لمرقدنا وما وعد منقطع عما قبله
ثم في ما وجهان احدهما انها في محل رفع بالابتدا والخبر مقدم اي الذي وعده
الرحمن وصدق المرسلون فيه الرسل فيه حق عليكم واليه ذهب الزجاج والزمخشري
والثاني انه خبر مضمر مبتدا اي هذا ما وعد الرحمن ان اي ما كانت اي
النفخة التي وقع بها الاحيا بها الا صيحة واحدة اي كما كانت نفخة
الاماتة واحدة فاذا هم اي فجاة من غير توقف اصلا جميع اي على حالة

الاجتماع لم يتأخر منهم احد لدينا اي عندنا محضرون ثم بين تعالى ما يكون
في ذلك اليوم بقوله تعالى فاليوم لا تظلم نفس شيئا اي اي نفس كانت مكروهة
او محبوبة شيئا اي لا يقع له ظلم ما من احد ما في شيء ما ولا تجزون اي على
عملنا الاعمال شيئا من الجزاء من احد ما الا ما كنتم تعملون في دنياكم بما ركز
في جبلاتكم ثم بين سبحانه حال المحسن بقوله تعالى ان اصحاب الجنة اي
الذين لا حظ للنار فيهم اليوم اي يوم البعث وهذا يدل على انه يعجل دخولهم
ودخول بعضهم اليها ووقوف الباقين المستحقات ونحوها من الكرامات عند
دخول اهل النار النار وعبر بما يدل على انهم بكليتهم مقبلون عليه ومطرقون
له مع توجههم اليه بقوله في شغل اي عظيم جدا الابلغ وصفه العقول كما كانوا
في الدنيا في اشغل الشغل بالمجاهدات في الطاعات وقرا ابن عامر والكوفيون
بضم الغين والباقون بالاسكان ثم بين ذلك الشغل بقوله فاكهون اي
متلذذون في النعمة واختلف في هذا الشغل فقال ابن عباس في اقتضاض
الابكار وقال وكيع ابن الجراح في السماع وقال الكلبي في شغل عن اهل النار
كيسا نحو ما هم فيه لا يهمهم امرهم ولا يذكرونهم وقال ابن كيسان في زيارة بعضهم
بعضا وقيل في ضيافة الله تعالى فاكهون وقيل في شغل عن هول اليوم
بالخذون ما اتاهم الله تعالى من الثواب فما عندهم خبر من عذاب ولا حساب
وقوله تعالى فاكهون متمم لبيان سلامتهم فانه لو قال في شغل جاز ان
يكون هم في شغل اعظم من التفكر في اليوم واهواله فان من يصيبه فتنة
عظيمة ثم يعرض عليه امر من اموره او يخبر بخسران وقع في ماله يقول
انا مشغول عن هذا بما هو امنه فقال فاكهون اي شغلهم عنه باللذة و
السرور لا بالويل والثبور وقال ابن عباس فاكهون فرحون ولما كانت النفس
لا يتم سرورها الا بالقرين الملايم قال هم اي بظواهرهم وبواطنهم و
ازواجهم اي اشكالهم الذين لهم في غاية الملايمة كما كانوا يتركونهم
في المضاجع على الذ ما يكون ويصفون اقدامهم في خدمتنا وهم يبكون
وفي هذا اشارة الى عدم الوحشة في ظلال اي يجدون فيها برد
الاكباد

وغاية المراد فلا تصيبهم الشمس كما كانوا يشوون اكبادهم في دار العمل
بحر الصيام والصبر في مرضاتنا على الالام ويبرزون ايديهم وقلوبهم من الاموال
ببذل الصدقات في سبيلنا على ممر الايام وكر الليالي تنبيه ظلال جمع ظل
كشعاب او ظلة كقباب ويؤيده قراءة حمزة والكسائي بضم الظاء والالف بين
اللامين وهو مبتدا وخبره في ظلال كما قاله ابو البقا ولما كان التمتع
لا يكمل الا مع العلو المكمن من زيادة العلم الموجب لارتياح النفس وبهجة
العين بانفساح البصر عند مد النظر قال على الارائك اي السرر المزينة العا لية
التي هي داخل الحجل قال ثعلب لا تكون اريكة حتى تكون عليها حجلة وقال ابن
جرير الارائك الحجال فيها السرر وروى ابو عبيدة في الفضائل عن الحسن
قال كنا لا ندري ما الارائك حتى لقينا رجل من اهل اليمن فاخبرنا
ان الاريكة عندهم الحجلة فيها السرر وهذا جزاء لما كانوا يلزمون المسا جد
ويغضون الابصار ويحنون نفوسهم لاجلنا متكئون كما كانوا يدابون
في الاعمال قائمين بين يدينا في اغلب الاحوال والاتكا الميل على الشق مع
الاعتماد على ما يريح الاعتماد عليه او مع التمكن على هيئة المتربع وفي
هذا اشارة الى الفراغ وقوله تعالى لهم اي خاصة بهم فيها فاكهة اي
لا تنقطع ابدا ولا مانع لهم من تناولها ولا يتوقف ذلك على غير الارادة
اشارة الى ان لا جوع هناك لان التفكه لا يكون لدفع الجوع ولهم ما يدعون اي
يتمنون تنبيه في ما هذه ثلاثة اوجه موصولة اسمية نكرة موصوفة
والعايد على هذين محذوف مصدرية ويدعون مضارع ادعى افتعل من دعا يد عوا
واشرب معنى التمني وقال الزجاج هو من الدعاء اي ما يدعونه اهل الجنة يا تيهم
من دعون غلامي فيكون الافتعال بمعنى الفعل كالاحتمال بمعنى الحمل والار
تحال بمعنى الرحل وقيل افتعل بمعنى تفاعل اي ما يتداعونه كقولهم
ارتموا وتراموا بمعنى واحد ثم فسر الذي يدعونه اي يطلبونه
بغاية الاشتياق اليه او الحاجة استانف الاخبار عنه بقوله تعالى سلام
اي عظيم جدا عليكم يا اهل الجنة والسلام يجمع جميع النعم ثم بين هذا

السلام بما اظهر من عظمه بقوله قولا من رب اي دايم الاحسان رحيم اي
عظيم الاكرام بما نرضاه الالهية كما نوافي الدنيا يغفلون كلما فيه الرضا
فبرحمهم في حال السلام وسماع الكلام بلذة الروية مع التقوية على الدهش
والصعق لتعظيم الامر وبالتاهيل لهذا المقام الاكرم مع قصورهم عنه روي جابر
ابن عبد الله قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم بينا اهل الجنة في نعيمهم اذا سطع
لهم نور فرفعوا رؤسهم فاذا الرب عز وجل قد اشرف عليهم من فوقهم فقال السلام
عليكم يا اهل الجنة فينظر اليهم وينظرون اليه فلا يلتفتون الى شيء من النعيم
ما داموا ينظرون اليه حتى يحتجب عنهم فيبقى نوره وبركته عليهم في ديا
رهم وقيل تسلم عليهم الملايكة من ربهم لقوله تعالى والملايكة يدخلون
عليهم من كل باب سلام عليكم اي يقولون سلام عليكم يا اهل الجنة من ربكم
الرحيم وقيل يعطيهم السلامة الابدية ولما ذكر ما للمومنين من
النعيم ذكر ما للكفار من الجحيم بقوله تعالى وامتازوا اي ويقال للمجرمين
امتازوا اي تفردوا اليوم ايها المجرمون عن المومنين عند اختلاطهم بهم
قال الضحاك لكل كافر في النار بيت يدخل ذلك البيت فيردم بابه بالنار
فيكون فيه ابد الابدين لا يرى ولا يرى وقيل ان قوله تعالى وامتازوا
امر تكوين فحين يقول امتازوا اليوم فيميزون بسيماهم ويظهر على جباههم
او في وجوههم سواد كما قال تعالى يعرف المجرمون بسيماهم ولما امروا بالا
متياز شخصت منهم الابصار وكلحت الوجوه وتنكست الرؤس قال
تعالى موبخا لهم الم اعهد اليكم اي اوصيكم ايصاء عظيما بما نصبت من
الادلة ومنحت من العقول وبعثت من الرسل وانزلت من الكتب في بيان
الطريق الموصل الى النجاه ولما كان المقصود بهذا الخطاب تقريعهم وتكبيتهم
وكانت هذه السورة قلبا وكان القلب اشرف الاعضا وكان الانسان
اشرف الموجودات خصه بالخطاب بقوله تعالى يا بني ادم اي على لسان
مرسلي واختلفوا في معنى هذا العهد على وجوه اقواها الم اوصل اليكم
كما مر وقيل امركم وقيل غير ذلك واختلفوا في هذا العهد ايضا على

اوجه

اوجه اظهرها انه مع كل قوم على لسان رسلهم كما مر وقيل هو العهد الذي كان
مع ادم في قوله تعالى ولقد عهدنا الى ادم وقيل هو الذي كان مع ذرية ادم حين
اخرجهم وقال الست بربكم قالوا بلى ان لا تعبدوا الشيطان اي البعيد المحترق
بطاعتكم فيما يوسوس به اليكم والطاعة قد تطلق على العبادة ثم علل النهي
عن عبادته بقوله تعالى انه لكم والتاكيد لان افعالهم افعال من يعتقد صداقته
عدو مبين اي ظاهر العداوة جدا من جهة عداوته لابيكم التي اخرجتكم من
الجنة التي لا منزل اشرف منها ومن جهة امركم بما يبغض الدنيا من التحا
والخصام ومن جهة تزيينه المغاني الذي لا يرغب فيه عاقل ولو لم يكن فيه
عيب غير فنايه فكيف اذا كان عايقا عن المولى فكيف اذا كان مغضبا له
حاجبا عنه فان قيل اذا كان الشيطان عدوا للانسان فما بال الانسان
يقبل على ما يرضيه من الزنا والشرب ونحو ذلك ويكره ما يسخطه من المجا
والعبادة ونحو ذلك اجيب بان يستعين عليه باعوان من عند الانسان وترك
استعانة الانسان بالله تعالى فيستعين بشهوته التي خلقها الله فيه لمصالح
بقايه وبقاء نوعه ويجعلها اسبابا لفساد حاله ويدعوه بها الى مسالك
المهالك وكذا يستعين بغضبه الذي خلقه الله فيه تعالى لدفع المفاسد
عنه ويجعلها سببا لوباله وفساد احواله وميل الانسان الى المعاصي كميل
المريض الى المضار وذلك حيث ينحرف المزاج عن الاعتدال فترى المحموم
يريد الماء البارد وهو يزيد في مرضه ومن معدته فاسدة لا تهضم
القليل من الغذا يميل الى الاكل الكثير ولا يشبع بشيء وهو يزيد فساد معدته
وصحيح المزاج لا يشتهي الا ما ينفعه ولما منع من عبادة الشيطان
امر بعبادة الرحمن بقوله عاطفا على ان لا وان اعبدوني اي وحدوني
واطيعوني هذا اي الامر بعبادتي صراط اي طريق مستقيم اي بليغ الا
ستقامة وعبادة الشيطان طريق صراط ضيق معوج غاية الضيق
والعوج وقرا قنبل بالسين وخلف بالاشمام اي بين الصاد والزاي
والباقون بالصاد ثم ذكر ما ينبه بعداوة الشيطان بقوله تعالى

لف
هدة
ه
نه

ولقد اضل منكم اي عن الطريق الواضح السوي بما يسلطه به من الوسوسة
جبلا اي امما كبارا عظاما كانوا كالجبال في قوة الغرايم وصعوبة الانقياد ومع
ذالك كان يلعب بهم كما تلعب الصبيان بالكرة فسبحان من اقدره على ذالك
والا فهو اضعف كيدا واحقر امرا وقرا نافع وعاصم بكسر الجيم والباء الموحدة
وتشديد اللام مع التنوين وقرا ابو عمرو وابن عامر بضم الجيم وسكون
الموحدة والباقون بضم الجيم والموحدة وكلها لغة ومعناها الخلق والجماعة
اي خلقا كثيرا ثم زاد في التوبيخ والانكار بقوله تعالى افلم تكونوا تعقلون
عداوته واضلاله وما حل بهم من العذاب فتومنوا او يقال لهم في الاخرة هذه
جهنم اي التي تستقبلكم بالعبوسة والتجهم كما كنتم تفعلون بعبادي
الصالحين التي كنتم توعدون اي ان لم ترجعوا عن غيكم اصلوها اي
قاسوا حرها وتوقدها وهلي امرد الله اليوم فان ذكره على احد ما مضى
بقوله تعالى اليوم ليكونوا في شغل شاغل كما كان اصحاب الجنة وشتان
ما بين الشغلين بما اي بسبب ما كنتم تكفرون اي تسترون ما هو ظاهر
جدا بعقولكم منا يا بني في دار الدنيا تنبيه في هذا الكلام ما يوجب شدة
ندامتهم وحزنهم من ثلاثة اوجه احدها قوله تعالى اصلوها امر
تنكيل واهانة كقوله تعالى ذق انك انت العزيز الكريم ثانيها قوله
تعالى اليوم يعني العذاب حاضر ولذاتكم قد مضت وبقي اليوم العذاب ثا
لثها قوله تعالى بما كنتم تكفرون فان الكفر والكفران ينبي عن نعمة
كانت فكفر بها وحيا المكفور من المنعم من اسر الالام كما قيل اليس
بكاف الذي همة حيا المسي من المحسن ولما كان قيل هل يحكم في ذالك
اليوم بعلمه او يجري الامر على قاعدة الدنيا في العمل بالبينة نبه على اظهر
من قواعد الدنيا بقوله تعالى مهولا اليوم على الفتق الماضي في مظهر
العظمة لانه ابلغ بالتهويل نختم اي بما لنا من العظمة عظيم القدرة
على افواههم اي الكفار لاجترايهم على الكذب كقوله سبحانه والله
ربنا ما كنا مشركين وتكلمنا ايديهم اي بما عملوا اقرارا هو اعظم
شهادة

شهادة وتشهد ارجلهم اي عليهم بكلام بين هو مع كونه شهادة
اقرار بما كانوا اي بجبلاتهم يكسبون فكل عضو ينطق بما صدر عنه فالا ية
من الاختبار اثبت الكلام للايدي اولا لانها كانت مباشرة دليلا على
حذفه من حيز الارجل ثانيا واثبت الشهادة للارجل ثانيا لانها كانت
حاضرة دليلا على حذفها من حيز الايدي اولا وتوذن به ان قول المباشر اقرار
وقول الحاضر شهادة وفي كيفية هذا الختم وجهان اقواهما ان الله تعالى
يسكت السنتهم وتنطق جوارحهم فيشهدون عليهم وان ذالك في
قدرة الله تعالى ليسير اما الاسكات فلا خلاف فيه واما الانطاق فان للسان
عضو متحرك بحركة مخصوصة فجاز تحريك غيره بمثلها والله سبحانه قا در
على الممكنات والوجه الثاني الاخر انهم لا يتكلمون بشي لانقطاع اعذار هم
وانتهاك استارهم فيقفون ناكسوا الرووس لا يجدون عذرا فيعتذرون
ولا مجال توبة فيستغفرون وتكلم الايدي هو ظهور الامر بحيث لا يسع
منه الانكار كقول القايل الحيطان تبكي على صاحب الدار اشارة الى ظهور
الحزن والصحيح الاول لما روي ابو هريرة ان ناسا سالوا رسول الله
صلى الله عليه وسلم فقالوا يا رسول الله هل نرى ربنا يوم القيامة فقال هل
تضارون في روية القمر ليلة البدر ليس دونه سحاب قالوا لا يا رسول
الله قال هل تضارون في روية الشمس عند الظهيرة ليست في سحاب قا
لوا لا يا رسول الله قال والذي نفسي بيده لا تضارون في روية ربكم كما لا
تضارون في رويتهما قال فيلقى العبد فيقول الم اكرمك الم اسودك
الم ازوجك الم اسخر لك الخيل والابل واتركك ترأس وتربع قال
بلى يا رب قال فظننت انك ملاقي فيقول لا يا رب فيقول اليوم انساك
كما نسيتني قال ثم يلقى الثالث فيقول ما انت فيقول انا عبدك امنت
بك وبنبيك وبكتابك وصمت وصليت وتصدقت ويثني بخير ما
استطاع ثم قال فيقال له الا نبعث عليك شاهدنا قال فيتفكر في
نفسه من الذي يشهد عليه فيختم على فيه ويقال لفخذه انطقي قال فتنطق

فتحزنه ولحمه وعظامه بما كان يعمل قال وذلك المنافق وذلك ليعذر
من نفسه وذلك الذي سخط الله عليه ولما روى مسلم في صحيحه عن انس
ابن مالك قال كنا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فضحك فقال هل تدرون
مم اضحك قال قلنا الله ورسوله اعلم قال من مخاطبة العبد ربه قال يقول
العبد يا رب الم تجرني من الظلم فيقول بلى فيقول لا اجيز نفسي الا شاهدا
غيره فيقول تعالى كفى بنفسك اليوم عليك شهيدا وبالكرام الكاتبين
شهودا فيختم على فيه ويقول لاركانه انطقي فتنطق باعماله ثم يخلى
بينه وبين الكلام فيقول بعدا لكن وسحقا فعنكن كنت اناضل وقال
صلى الله عليه وسلم اول من يتكلم من احدكم فخذه وكفه تنبيه ههنا اسولة
الاول الحكمة في اسناده الختم الى نفسه وقال نختم واسند الكلام
والشهادة الى الايدي والارجل الثاني ما الحكمة في جعل الكلام للايدي
والشهادة للارجل الثالث ان يوم القيامة من تقبل شهادته من المقربين
والصديقين كلهم اعداء للمجرمين وشهادة العدو على العدو غير مقبولة ولو كانت
عدلا وغير الصديقين من الكفار والفساق لا تقبل شهادتهم والايدي والارجل
صدرت الذنوب عنها فهي فسقة فينبغي ان لا تقبل شهادتها اجيب عن الاول
بانه لو ختم على افواههم وتنطق ايديهم لاحتمل ان يكون ذلك جبرا
وقهرا بالاجبار غير مقبول فقال تعالى على الكلام ليكون ادل على صدور الذ
نب فقال وتكلمنا ايديهم وتشهد ارجلهم اي باختيار بعد ما يقدرها
الله تعالى على الكلام ليكون ادل على صدور الذنب منهم واجيب عن الثاني با
ن الافعال تسند الى الايدي قال تعالى وما عملته ايديهم اي ما عملوه وقا
ل تعالى ولا تلقوا بايديكم الى التهلكة اي ولا تلقوا انفسكم فاذن الايدي
العاملة والشاهد على العامل فينبغي ان يكون غيره فجعل الارجل والجلود
من الشهود لبعد اضافة الافعال اليهم واجيب عن الثالث بان الايدي
والارجل ليسوا من اهل التكليف ولا ينسب اليها عدالة ولا فسق لان
المنسوب من ذلك الى العبد المكلف لا الى اعضائه ولا يقال ان العين

تزني

تزني وان الفرج يزني وان اليد كذلك لان معناه ان المكلف يزني بها لانها
هي تزني وايضا فانا نقول في رد شهادتها فقبول شهادتها لانها ان كذبت
في مثل ذلك اليوم مع ظهور الامور لا بد ان يكون مذنبا في الدنيا وان صدقت في
ذلك اليوم فقد صدر منها ذنب في الدنيا وهذا كما قال الفاسق ان كذبت في
نهار هذا اليوم فعبدي حر فقال الفاسق ان كذبت في نهار هذا اليوم عتق العبد
لانه ان صدق قوله كذبت في نهار هذا اليوم فقد وجد الشرط وترتب الجزاء وان
كذب في قوله كذبت فقد كذب في نهار ذلك اليوم فوجد الشرط ايضا بخلاف ما
لو قال في اليوم الثاني كذبت في نهار اليوم علقت عتق عبدك على كذبي فيه
ثم بين سبحانه وتعالى انه قادر على اذهاب الابصار بقوله تعالى كما هو قادر
على اذهاب البصائر بقوله تعالى ولو نشاء وعبر بالمضارع ليتوقع في كل حين
فيكون ابلغ في التهديد لطمسنا على اعينهم اي الظاهرة بحيث لا يبدو
لها جفن ولا شق وهو معنى الطمس كقوله تعالى ولو شاء الله لذهب بسمعهم
وابصارهم يقول اذا اعمينا قلوبهم لو شئنا اعمينا ابصارهم الظاهرة وقوله
تعالى فاستبقوا الصراط اي ابتدروا الطريق ذاهبين كعادتهم عطف على
لطمسنا فانى اي فكيف يبصرون الطريق حينئذ وقد اعمينا اعينهم اي
لو نشاء لاضللناهم عن الهدى وتركناهم عميا يترددون فلا يبصرون
الطريق وهذا قول الحسن والسدي وقال ابن عباس ومقاتل معناه لو نشاء
طمسنا اعين ضلالتهم فاعميناهم عن غيهم وحولنا ابصارهم من الضلالة الى
الهدى فابصروا رشدهم فانى يبصرون ولم افعل ذلك بهم ولما كان هذا
كله مع القدرة على الحركة قال تعالى ولو نشاء اي مسخهم لمسخناهم اي حولناهم عن
تلك الحالة فجعلناهم حجارة او جعلناهم قردة وخنازير ولما كان المقصود
من المفاجات بهذه المصائب بيان انه سبحانه لا كلفة عليه في شيء منها
قال تعالى على مكانتهم اي المكان الذي كان قبل المسخ كل شخص منهم شاغله
له بجلوس او قيام او غيره في ذلك الموضع خاصة قبل ان يتحرك منه وقرا
شعبة بالف بعد النون على الجمع والباقون بغير الف على الافراد فما استطاعوا

اي بانفسهم بنوع معالجة **مضيا** اي الي جهة من الجهات ثم عطف علي جملة الشرط
قوله تعالي **ولا يرجعون** اي يتجدد لهم بوجه من الوجوه رجوع الي حالتهم
التي كانت قبل المسخ دلالة علي ان هذه الامور حق لا كما يقولون من انها خيال
وسحر وقيل لا يقدرون علي ذهاب ولا رجوع **ومن نعمره** اي نطل عمره اطالة كثيرة
ننكسه وقراه عاصم وحمزة بضم النون الاولي وفتح النون الثانية وتشديد
الكاف المكسورة من نكسه مبالغة والباقون مخففة بفتح النون الاول وسكون
الثانية وتخفيف الكاف المضمومة من نكسه وهي محتملة للمبالغة وعدمها
ومعني ننكسه **في الخلق** اي خلقه نرده الي ارذل العمر شبه الصبي في اول الخلق
وقيل ننكسه في الخلق اي ضعف جوارحه بعد قوتها ونقصانها بعد زيادتها لا
ن الله تعالي اجري العادة في النوع الادمي ان من النمو في سن الصبا والشباب
اثنين واربعين سنة حسنة غريزة فلا تزيد فيه غريزة ووقفت قواه كلها فلم
يرد فيها شي هذا في البدن واما المعاني فتارة فتارة وهذا ايضا في غير الانبيا اما
هم فلا ينقص شي قواهم بل تزداد كما روي ان النبي صلي الله عليه وسلم كان يمشي غير
مكترث وان الصحابة رضي الله عنهم يجهدون انفسهم فيلحقون جهدهم ان لا
يدركوا مشيه الهوينا وانه صلي الله عليه وسلم صارع ركانة الذي كان يضرب
بقوته المثل وكان واثقا من نفسه ان يصرع من صارعه فلم يملكه النبي صلي الله
عليه وسلم نفسه وعاد الي ذلك ثلاث مرات كل ذلك لا يتماسك في يده حتي
خرج يقول ان هذا العجب يا محمد تصرعني وحتي انه دار علي نسايه وهن تسع كل واحدة
منهن تسع مرات في طوف واحد الي غير ذلك مما يحكي من قواه التي فاق بها الناس
ولم يحك عن نبي من الانبيا من عاش منهم الفا ومن عاش دون ذلك انه نقص
شي من قواه بل قد ورد في الصحيح من حديث ابي هريرة ان ملك الموت عليه
السلام ارسل الي موسي عليه السلام ليقبض روحه فلما جاه صكه ففقا عينه
فقال لربه ارسلتني الي عبد لا يريد الموت قال ارجع اليه فقل له يضع يده علي
متن ثور فله بما غطت يده كل شعرة سنة قال اي رب ماذا قال الموت
قال فالان وكان موسي وحين قضي ابن ماية وعشرين سنة **افلا يعقلون**

ابان

اي ان القادر علي ذلك عندهم قادر علي البعث فيؤمنون وقرا نافع وابن ذكوان
بالتا علي الخطاب والباقون باليا علي الغيبة ولما منح الله تعالي نبينا صلي الله
عليه وسلم غرايب من الفضايل مما عجز عنها الاولون والاخرون واتي
بقران اعجز الانس والجن وعلوم وبركات فاتت القوي ليس بشعر خلافا
لما رموه به بغيا وكذبا وعدوانا قال تعالي **وما علمناه** اي نحن **الشعر** فيما
علمناه وهو ان يتكلف التقيد بوزن معلوم وروي مقصود وقافية يلتزم مهما
ويدير المعاني عليها ويجتلب الالفاظ تكلف اليها كما كان زهير وغيره
في قصايدهم وما انا من المتكلفين لان ذلك وان كنتم انتم تعدون
فيه الابلغ يحجبنا لانه لا يعرج به الا من يريد ترويج كلامه و
تحليته بصوغه علي وزن معروف مقصود وقافية ملتزمة علي ان فيه
نقيصة اخري وهي اعظم ما يوجب النفرة عنه وهي انه لا بد له بوجهي
التزامه بعض المعاني ولما لم نعلمه هذه الفصاحة التي الدناه طبعناه
علي جميع فنون البلاغة ومكناه من ساير وجوه الفصاحة ثم اسكنا
قلبه ينابيع الحكمة ودبرنا له دربناه علي القا المعاني الجليلة
بما الهمناه اياه ثم بما القا اليه جبريل عليه السلام بما امرنا له به
من جوامع الحكم والكلام فلا تطلق عليه اصلا ما خير ما بين امرين
الا اختار ايسرهما ما لم يكن اثما او قطيعة رحم ولما كان الشعر وما
ينبني عليه من التكلف الذي هو بعيد جدا عن سجايا الانبيا فكيف
جا الشرف فهم مما يكتسب مدحا وهجوا فيكون اكثره كذبا الي غير ذلك
قال تعالي **وما ينبغي له** اي وما يصح له الشعر ولا يسهل له علي
اخر ثم من طبعه نحو من اربعين سنة لان مضيه اجل وهيته اعلي
من ان يكون مداحا او عيابا او ان يتقيد بما قد يجري نقيضه في
المعني وحيله بما فيه لذلك غاية المنافاة بحيث لو اراد نظم شعر لم
يتات له كما جعلناه اميا لا يكتب ولا يحسنه لتكون الحجة اثبت
والشبهة ادحض وما كان يتزن له بيت شعر حتي اذا تمثل ببيت شعر

جرى على لسانه منكسرا روي الحسن ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يتمثل بهذا
البيت ٥ كفى بالشيب والاسلام للمرء ناهيا فقال ابو بكر اعا قال الشاعر ٥
كفى الشيب والاسلام للمرء ناهيا فقال عمر اشهد انك رسول الله يقول الله
عز وجل وما علمناه الشعر وما ينبغي له وعن ابي شريح قال قلت لعايشة
كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يتمثل شيا من الشعر قالت كان يتمثل من
شعر عبد الله ابن رواحة قالت وبما قال ٥ ويأتيك بالاخبار من لم
تزود وفي رواية كان الشعر ابغض الحديث اليه قالت ولم يتمثل بشي
من الشعر الا بيت اخي بني قيس طرفة ٥ ستبدي لك الايام ما كنت
جاهلا ٥ ويأتيك بالاخبار من لم تزود ٥ فجعل يقول ويأتيك من
لم تزود بالاخبار فقال ابو بكر ليس هكذا يا رسول الله فقال اني لست
بشاعر ولا ينبغي لي وقيل معناه ما كان ما قاله واما قوله عليه الصلاة
والسلام كما رواه البخاري ومسلم انا النبي لا كذب ٥ انا ابن عبد المطلب ٥ وقوله
كما رواه الشيخان ايضا هل انت الا اصبع دميت ٥ وفي سبيل الله ما لقيت ٥
فاتفاقي من غير تكلف وقصد منه الى ذلك وقد يقع مثله كثيرا في تضا
عيف المنثور ان على ان الخليل ما عد المشطور من الرجز شعرا هذا وقد روي
انه حرك البايين من قوله انا النبي لا كذب ٥ وكسر التا الاولى بلا اشباع و
سكن الثانية من قوله هل انت الا اصبع الى اخره وقيل الضمير للقران اي
وما يصح ان يكون القران شعرا فان قيل لم خص الشعر بنفي التعليم مع
ان الكفار كانوا ينسبون الى النبي صلى الله عليه وسلم اشيا من جملتها السحر
والكهانة ولم يقل وما علمناه السحر وما علمناه الكهانة اجيب بان الكهنة
انما كانوا ينسبون النبي صلى الله عليه وسلم اليها عند ما كان يخبر عن الغيوب
ويكون كما يقول واما السحر فكانوا ينسبونه اليه عند ما كان يفعل ما لا
يقدر عليه الغير كشق القمر ونطق الحجر والجذع وغير ذلك واما الشعر
فكانوا ينسبونه اليه عند ما كان يتلو القران عليهم لكنه صلى الله عليه
وسلم ما كان يتحدى الا بالقران كما قال تعالى ان كنتم في ريب مما نزلنا

على عبدنا

على عبدنا فاتوا بسورة من مثله الى غير ذلك ولم يقل ان كنتم
في شك من رسالتي فاخبروا بالغيوب او اشقوا الخلق الكثير بالشي اليسير
فلما كان تحديه صلى الله عليه وسلم بالكلام وكانوا ينسبونه الى الشعر عند
الكلام خص الشعر بنفي التعليم ولما نفي ان يكون ما اتى به من جنس الشعر
قال تعالى ان اي ما هو اي هذا الذي اتى كم به الا ذكر اي شرف و
موعظة وقران اي جامع للحكم كلها دينا واخرى يتلى في المحاريب
ويكرر في المتعبدات وينال بتلاوته والعمل به فوز الدارين والنظر الى
وجه الله العظيم مبين اي ظاهر انه ليس من كلام البشر لما فيه من الاعجاز
قل ما اسالكم عليه من اجر وما انا من المتكلفين ان هو الا ذكر للعالمين
كلهم ذكيهم وغبيهم بخلاف الشعر فانه مع نزوله عن بلاغته جدا انما
ذكر للاذكيا جدا وقوله تعالى لينذر راجع الى النبي صلى الله عليه وسلم
ويدل له قراة نافع وابن عامر بالتا الفوقية على الخطاب وقيل للقران
ويدل له قراة الباقين باليا التحتية على الغيبة واختلف في قوله تعالى
من كان حيا على قولين احدهما ان المراد به المومن لان الغافل والكافر
كالميت ٥ في انه لا يتدبر ولا يتفكر قال تعالى او من كان ميتا فاحييناه
والثاني المراد به العاقل فيهما فيعقل ما يخاطب به فان الغافل كالميت و
يحق اي يجب ويثبت القول اي العذاب على الكافرين اي الموقنين في
الكفر فانهم اموات في الحقيقة وان رايتهم احيا ويمكن ان تكون هذه
الايات من الاحتباك حذف الايمان اولا لما دل عليه من ضده ثانيا
وحذف الموت ثانيا لما دل عليه من ضده اولا وافرد الضمير في الاول
على اللفظ اشارة الى قلة السعدا وجمع في الثاني على المعنى اعلاما
بكثرة الاشقيا الم يروا اي يعلموا علما هو كالروية والاستفهام
للتقرير والواو الداخلة عليها للعطف انا خلقنا لهم اي في جملة الناس
مما عملت ايدينا اي مما تولينا احداثه ولم يقدر على احداثه غيرنا
وذكر الايدي واسناد العمل اليها استعارة تفيد المبالغة في الا

ت قراءة صح

سع

خصاص والتفرد في الاحداث كما يقول القايل عملت هذا بيدي اذا تفرد بعمله لم
يشاركه فيه احد **انعاما** علي علم منا بفوايدها ومقاديرها ومنافعها وطبايعها
وغير ذلك من امورها وانما خص الانعام بالذكر وان كانت الاشيا كلها من
خلقه وابداعه لان النعم اكثر اموال العرب والنفع بها اعم **فهم لها**
مالكون اي خلقناها لاجلهم فملكناهم اياها يتصرفون فيها تصرف الملا
ك او فهم لها ضابطون قاهرون ومنه قول بعضهم ۞ اصبحت لا املك
السلاح ولا ۞ املك راس البعير ان نفرا ۞ والذيب اخشاه ان مررت به
۞ وحدي واخشى الرياح والمطرا ۞ والشاهد في قوله ولا املك راس
البعير اي لا اضبطه والمعنى لم نخلق الانعام وحشية نافرة من بني
ادم لا يقدرون علي ضبطها بل خلقناها مذللة كما قال تعالى **وذللناها**
لهم اي يسرناها فيقادها ولو شينا جعلناها وحشية كما جعلنا اصغر منها و
اضعف فمن قدر علي تذليل الاشيا الصعبة جدا الكثيرة قادر علي تطويع الا
شيا النفسة ثم سبب عن ذلك قوله تعالى **فمنها ركوبهم** اي ما يركبون و
هو الابل لانها اعظم مركوباتهم لعموم منافعها في ذلك وكثرتها **ومنها**
ياكلون اي ما ياكلون لحمه ولما اشار الي عظمة نفع الركوب والاكل بتقديم
الجار وكانت منافعها غير ذلك كثيرة قال تعالى **ولهم فيها منافع** اي من
اصوافها واوبارها واشعارها وجلودها ونسلها وغير ذلك **ومشارب**
اي من البانها جمع مشرب بالفتح وخص الشرب من عموم المنافع لعموم نفعه
وجمعه لاختلاف طعوم البان الانواع الثلاثة ولما كانت هذه الاشيا
من العظمة بمكان لو فقدها الانسان لتكدرت معيشته سبب عنها
استيناف الانكار عليهم في تخلفهم عن طاعته بقوله تعالى **افلا يشكرون**
اي المنعم عليهم بها فيومنون ولما ذكرهم نعمه وحذرهم نقمه عجب منهم في
سفول نظرهم وقبح اثرهم بقوله تعالى موبخا لهم **واتخذوا من دون**
اي غير **الله** الذي له جميع صفات الكمال والعظمة **الهة** اي اصناما يعبد
ونها بعد ما راوا منه تلك القدرة الباهرة والنعم المتظاهرة وعلموا انه
المنفرد بها

المنفرد بها **لعلهم ينصرون** اي رجا ان ينصروهم فيما حزبهم من الامور
والامر بالعكس كما قال تعالى **لا يستطيعون** اي الالهة المتخذة **نصرهم**
اي العابدين **وهم** اي العابدون **لهم** اي الالهة **جند محضرون** اي الكفار جند
الاصنام فيغضبون لها ويحضرونها في الدنيا وهي لا تسوق لهم خيرا ولا
تستطيع لهم نصرا وقيل هذا في الاخرة يوتى بكل معبود من دون الله تعا لي
ومعه اتباعه الذين عبدوه كانه جنده يحضرون في النار وهذا كقوله
تعالى انكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم وقوله تعالى احشروا
الذين ظلموا وازواجهم وما كانوا يعبدون من دون الله فاهدوهم
الى صراط الجحيم ولما بين تعالى ما تبين من قدرته الظاهرة الباهرة
ووهنا مرهم في الدنيا والاخرة ذكر ما يسلي نبيه صلى الله عليه وسلم بقوله
تعالى **فلا يحزنك قولهم** اي في تكذيبك كقولهم لست مرسلا **انا نعلم**
اي كل ما **يسرون** من التكذيب وغيره **وما يعلنون** اي يظهرونه بالسنتهم
من الاذى وغيره من عبادة الاصنام فنجازيهم عليه ولما ذكر تعالى دليلا على
عظم قدرته ووجوب عبادته بقوله تعالى اولم يروا انا خلقنا لهم مما
عملت ايدينا انعاما ذكر دليلا من الانفس ابين من الاول بقوله تعالى
اولم ير اي يعلم الانسان علما هو في ظهوره كالمحسوس بالبصر **انا**
خلقناه اي بما لنا من العظمة **من نطفة** اي شي يسير حقير من ما لا انتفا ع
به لعد ابداعنا اباه من تراب وامه من لحم وعظام **فاذا هو** اي تسبب
عن خلقنا له من ذلك المفاجاة لحالة ابعد شي من حالة النطفة وهي
انه خصيم اي بليغ الخصومة **مبين** اي في غاية البيان عما يريده حتى انه
يجادل من اعطاه العقل والقدرة في قدرته انشد الاستاذ القشيري
في ذلك ۞ اعلمه الرماية كل يوم ۞ فلما اشتد ساعده رماني ۞ وفي
هذا تسلية ثانية بتهوين ما يقولونه بالنسبة الي انكارهم الحشر
وفيه تقبيح بليغ لانكاره حيث تعجب منه وجعله افراطا في الخصومة
بينا ومنافاة لجحود القدرة على ما هو اهون مما عمله في بدء خلقه

ويقابل النعمة التي لا مزيد عليها وهي خلقه من احسن شيء واهانه تشريفا
مكرما بالعقوق والتكذيب وضرب اي هذا الانسان لنا اي على ما يعلم من
عظمتنا مثلا اي امرا عجيبا وهي نفي القدرة على احياء الموتى روي انه
ابي ابن خلف الجمحي وهو الذي قتله النبي صلى الله عليه وسلم باحد مبارزة
اتى النبي صلى الله عليه وسلم بعظم بال يفتته بيده فقال اترى الله يحيي
هذا بعد ما ارم فقال صلى الله عليه وسلم نعم ويبعثك ويدخلك النار
فنزلت وقيل هو العاصي ابن وائل قاله الجلال المحلي واكثر المفسرين على الا
ول ونسي اي هذا الذي تصدى على مهانة اصله لمخاصمة الجبار خلقه
اي ابداء امره من المني وهو اغرب من مثله والنسيان هنا يحتمل ان يكون
بمعنى الذهول وان يكون بمعنى الترك ثم استانف الاخبار عن هذا المثل
بان قال من يحيي العظام وهي رميم اي صارت ترابا نزع الرياح ورميم
قال البيضاوي بمعنى فاعل من رم الشيء صار اسما بالغلبة ولذلك
لم يونث او اسم مفعول من رممته وفيه دليل على ان العظم ذو حياة فيؤثر
فيه الموت كساير الاعضاء انتهى قال البغوي ولم يقل رميمة لانه معدول
عن فاعله وكلما كان معدولا عن وجهه ووزنه كان مصروفا عن اعرابه كقوله
تعالى وما كانت امك بغيا اسقط الهاء لانها مصروفة عن باغية تنبيه
هذه الاية وما بعدها اشارة الى بيان ان حثالات المنكرين للحشر منهم من
لم يذكر فيه دليلا ولا شبهة بل اكتفى بمجرد الاستبعاد وهم الاكثرون
ائذا ضللنا في الارض ائنا لفي خلق جديد ائذا متنا وكنا ترابا وعظاما
ائنا لمبعوثون من يحيي العظام وهي رميم قالوا ذلك على طريق الا
ستبعاد فابطل الله تعالى استبعادهم بقوله تعالى ونسي خلقه اي نسي
انا خلقناه من تراب ومن نطفة متشابهة الاجزاء ثم جعلنا
لهم من النواصي الى الاقدام اعضاء مختلفة الصور وما اكتفينا
بذلك حتى اودعناهم ما ليس من قبيل هذه الاجرام وهو
النطق والعقل اللذين بهما استحقوا الاكرام فان كانوا

يقنعون

يقنعون بمجرد الاستبعاد فهلا يستبعدون خلق الناطق العاقل من
نطفة مذرة لم تكن محلا للحياة اصلا ويستبعدون اعادة النطق والعقل
الى محل كانا فيه واختار العظم بالذكر لانه ابعد عن الحياة لعدم الاحساس
فيه ووصفوه بما يقوي جانب الاستبعاد من البلى والتفتت والله تعالى
دفع استبعادهم من جهة ما في العبد من القدرة والعلم فقال ضرب لنا مثلا
اي جعل قدرتنا كقدرتهم ونسي خلقه العجيب وبداه الغريب ومنهم من
ذكر شبهة وان كان في اخرها شيئا فكيف على العدم الحكم بالوجود فاجاب
تعالى عن هذه الشبهة بان قال تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم قل اي لهولاء البعد
اء البغضاء يحييها اي بعد ان يفنيها ثاني مرة الذي انشاها اي من العدم
ثم احياها اول مرة فكما خلق الانسان ولم يكن شيئا مذكورا كذلك
يعيده وان لم يبق شيئا مذكورا الوجه الثاني ان من تفرقت اجزاؤه في
مشارق الارض ومغاربه وصار بعضها في ابدان السباع وبعضها
في حواصل الطيور وبعضها في جدران الربوع كيف يجتمع وابعد منه ان
لو اكل انسان انسانا وصار اجزاء الماكول في اجزاء الاكل فان اعيدت اجزاء
الاكل فلا يبقى للاكل اجزاء اصلية تخلق منها اعضاؤه واما ان تعاد الى
بدن الماكول فلا يبقى للاكل اجزاء اصلية واجزاء فضلية وفي الماكول كذلك
فاذا اكل انسان انسانا صار الاصلي من اجزاء الماكول فضليا من اجزاء الاكل
والاجزاء الاصلية للاكل هي ما كانت قبل الاكل فاجاب الله تعالى عن هذه الشبهة
بقوله وهو بكل خلق اي مخلوق عليم اي يجمع الاصل من الفضل فيجمع
الاجزاء الاصلية للاكل ويجمع الاجزاء الاصلية للماكول وينفخ فيه روحه و
كذلك يجمع اجزاءه المتفرقة في البقاع المتبددة بحكمته وقدرته ثم انه
تعالى عاد الى تقرير ما تقدم من دفع استبعادهم وابطال انكارهم بقوله
تعالى الذي جعل لكم اي في جملة الناس من الشجر الاخضر اي الذي يتشا
فيه الماء نارا قال ابن عباس هما شجرتان يقال لاحدهما المرخ والاخرى
العفار الاول بفتح الميم وسكون الراء والخاء المعجمة شجر سريع الوري

هدوث

اي القدح والثاني بفتح المهملة وفاء وراء بعد الف الزند فمن اراد منهما النار
قطع منهما غصنين مثل السواكين وهما خضرتان بقطران الماء فيسحق
المرخ وهو ذكر على العفار وهو انثى فيخرج منهما النار باذن الله تعالى
وتقول العرب في كل شجر نار واستمجد المرخ والعفار وقال الحكماء في كل شجر
نار الا العناب **فاذا انتم** اي فبسبب ذلك مفاجاتكم لانه **منه**
اي الشجر الموصوف بالخضرة **توقدون** اي توجدون الايقاد ويتجدد لكم
ذلك اي مرة بعد اخرى وهذا دل على القدرة على البعث فانه جمع فيه بين
الماء والنار والخشب فلا الماء يطفي النار ولا النار تحرق الخشب ثم ذكر
ما هو اعظم من خلق الانسان فقال تعالى **اوليس الذي خلق** اي اوجد
من العدم **السماوات والارض** اي على كبرهما وعظم ما فيهما من
المنافع والمصانع والعجايب والبدايع واثبت الجار تحقيقا للامر
وتاكيد التقرير فقال تعالى **بقادر على ان يخلق مثلهم** اي مثل هولاء
الاناسي في الهوا اي يعيدهم باعيانهم وقيل الضمير يعود على السماوات
والارض لتضمنهم من يعقل والاول اظهر لانهم المخاطبون وقوله تعالى
بلى جواب ليس وان دخل عليها الاستفهام وهو صح ذلك اي مع كونه علاما
بالخلق **الخلاق** اي الكثير الخلق **العليم** اي البالغ في العلم الذي هو منشا
القدرة فلا يخفى عليه كلي ولا جزئي في ماض ولا حال ولا مستقبل شاهد
او غايب ولما تقرر ذلك ينتج قوله تعالى موكدا لاجل انكارهم القدرة على
البعث **انما امره** اي شانه ووصفه **اذا اراد شيا** اي خلق شي من جوا
هر وعرض اي شي **ان يقول له كن** اي ان يريده **فيكون** اي يحدث و
هو تمثيل لتاثير قدرته في مراده بامر المطاع للمطيع في حصول المامور
من غير امتناع وتوقف وافتقار الى مزاولة عمل واستعمال آلة قطعا
لمادة الشبهة وهو قياس قدرة الله تعالى على قدرة الخلق وقرا نافع ابن
عامر والكسائي بنصب النون عطفا على يقول والباقون بالرفع اي فهو
يكون ولما كان ذلك تسبب عنه المبادرة الى تنزيهه تعالى عما ضربوه

له من الامثال فكذلك قال **فسبحان** اي تنزه عن شائبة كل نقص تنزيها
لا يبلغوا فهما مكم كنهه وعدل عن الضمير الى وصف يدل على غاية العظمة فقال
الذي بيده اي قدرته وتصرفه خاصة لا بيد غيره **ملكوت كل شي** اي ملكه
التام وملكه ظاهرا وباطنا ولما كان التقدير فمنه تبدون عطف عليه قوله تعالى
واليه لا الى غيره **ترجعون** اي معنى في جميع اموركم وحسا بالبعث فينصف بينكم
فيدخل بعضا النار وبعضا الجنة وعن ابن عباس كنت لا اعلم ما روي في فضل
يس كيف خصت به فاذا به لهذه الاية وما رواه البيضاوي عنه صلى الله عليه
وسلم قلبا وقلب القرآن يس وايما قرئت عنده اذا نزل به ملك الموت سورة
يس نزل بكل حرف منها عشرة املاك يقومون بين يديه صفوفا يصلون
عليه ويستغفرون له ويشهدون قبض روحه وغسله ويتبعون جنازته
ويصلون عليه ويشهدون دفنه وايما مسلم قراها وهو في سكرات الموت لم
يقبض ملك الموت روحه حتى يجيئه رضوان بشربة من الجنة فيشربها
وهو على فراشه فيقبض روحه وهو ريان ويمكث في قبره وهو ريان
ولا يحتاج الى حوض من حياض الانبيا حتى يدخل الجنة وهو ريان
حديث موضوع وعن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من
قرا سورة يس في ليلة اصبح مغفورا له وعن ابي عثمان عن انس ابن مالك
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من دخل المقابر فقرا سورة يس
خفف عنهم يومئذ وكان له بعدد من فيها من الحسنات وعن يحيى
ابن ابي كثير قال بلغنا ان من قرا يس حين يصبح لم يزل في فرح حتى
يمسي ومن قراها حين يمسي لم يزل في فرح حتى يصبح **سورة**
الصافات مكية وهي مائة واثنان وثمانون اية وثمانمائة
وستون كلمة وثلاثة الاف وثمانمائة وستة احرف وعشرون
حرفا **بسم الله** الذي له الكمال المطلق **الرحمن** الذي رحمته العدل في الدارين
الرحيم الذي لا يدنو من جنابه نقص واختلف في تفسير قوله تعالى **والصا
فات صفا** اي وهو ترتيب الجمع على خط فقال ابن عباس والحسن

وقتادة هم الملائكة في السماء يصفون كصفوف الخلق في الدنيا للصلاة و
عن جابر ابن سمرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الا تصفون كصفوف
الملائكة عند ربهم قلنا وكيف تصف الملائكة عند ربهم قال يتمون الصفوف
المتقدمة ويتراصون في الصف وقيل هي الملائكة تصف اجنحتها في الهوا
واقفة حتى يامرها الله تعالى بما يريد وقيل هي الطير تصف اجنحتها في
الهوا لقوله تعالى والطير صافات واختلف ايضا في قوله تعالى فالزاجرات
زجرا فاكثر المفسرين على انها الملائكة تزجر السحاب وتسوقه وقال قتا
دة هي زواجر القران انتهى وتزجر عن القبيح واختلف ايضا في قوله تعالى
فالتاليات ذكرا فالاكثر ايضا انهم الملائكة يتلون ذكر الله تعالى وهم
جماعة قراء القران فان قيل قال ابو مسلم الاصفهاني لا يجوز حمل هذه الالفاظ
على الملائكة لانها مشعرة بالتانيث والملائكة مبرؤون عن هذه الصفة
اجيب بوجهين الاول الصفات جمع الجمع فانه يقال جماعة صافة ثم يجمع
على صافات والثاني انهم مبرؤون من التانيث المعنوي واما التانيث
اللفظي فلا وكيف وهم يسمون بالملائكة مع ان علامة التانيث حاصلة
تنبيه اختلف الناس هاهنا في المقسم به على قولين احدهما ان المقسم به
خالق هذه الاشيا لنهيه صلى الله عليه وسلم عن الحلف بغير الله تعالى ولان الحلف
في مثل هذا الموضع تعظيم للمحلوف به ومثل هذا التعظيم لا يليق الا بالله
تعالى فوق ذلك اضمار تقديره ورب الصفات والزاجرات والتاليات وما
يوكد هذا انه تعالى صرح به في قوله تعالى والسماء وما بناها والارض وما
طحاها ونفس وما سواها والثاني وعليه الاكثر ان المقسم به هذه الاشيا
لظاهر اللفظ فالعدول عنه خلاف الدليل واما النهي عن الحلف بغير الله
تعالى فهو نهي للمحلوف عن ذلك واما قوله تعالى وما بناها فانه علق
لفظ المقسم بالسماء ثم عطف عليه القسم بالثاني للسما ولو كان المراد بالقسم
بالسما القسم ببانيها لزم التكرار في موضع واحد وهو لا يجوز وايضا
لا يبعد ان تكون الحكمة في قسم الله تعالى بهذه الاشيا التنبيه على

شرف ذواتها وقال البيضاوي اقسم بالملائكة الصافين في مقام العبودية
على مراتب باعتبارها تفيض عليهم الانوار الالهية منتظرين لامر الله الزا
جرين الاجرام العلوية والسفلية بالتدبير المامور فيها او الناس عن
المعاصي بالهام الخير او الشياطين عن التعرض لهم التالين ايات الله
وجلايا قدسه على انبيائه واوليائه او بطوائف الاجرام المترتبة كا
لصفوف المرصوصة والارواح المدبرة لها والجواهر القدسية المستغرقة
في بحار القدس يسبحون الليل والنهار لا يفترون او بنفوس العلما الصا
فين في العبادات الزاجرين عن الكفر والفسوق بالحجج والنصايح التالين
ايات الله وشرايعه او بنفوس الغزاة الصادقين في الجهاد الزاجرين
الخيل والعدو التالين ذكر الله لا يشغلهم عنه مبارزة العدو وقال
الزمخشري الفا في الزاجرات والتاليات اما ان تدل على ترتب معانيها في
الوجود كقوله يا لهف زيابة للحارث الصابح فالغانم فالايب اي
الذي صبح فغنم فاب واما على ترتبها في التفاوت من بعض الوجوه كقوله
خذ الافضل فالاكمل واعمل الاحسن فالاجمل واما على ترتب موصوفاتها
كقولك رحم الله المحلقين فالمقصرين والبيضاوي ذكر هذا ايضا قال
شيخنا القاضي زكريا لكن عبارته بهذا اللفظ انتهى وقرا ابو عمرو وحمزة با
لادغام فيما ذكروا التا فوق بالاظهار وجواب القسم ان الهكم اي الذي
اتخذتم من دون الله لواحد اذ لو لم يكن واحدا لاختل هذا الاصطفاف
والزجر والتلاوة وما يترتب عليها فكان غير حكيم فان قيل ذكر هذا الحلف
في هذا الموضع غير لايق وبيانه من وجهين الاول ان المقصود من هذا القسم
اما اثبات هذا المطلوب عند المومن والكافر الاول باطل لان المومن
مقر به من غير حلف والثاني باطل ايضا لان الكافر لا يقر به سوا حصل الحلف
او لم يحصل فهذا الحلف عديم الفايدة على كل تقدير الثاني انه تعالى اقسم
في اول هذه السورة على ان الاله واحد واقسم في اول سورة الذاريات على
ان القيامة حق فقال والذاريات ذروا الى قوله انما توعدون لصادق

وان الذين لوافقوا واثبات هذه المطالب العالية الشريفة على المخالفين من
الدهرية وامثالهم بالحلف لا يليق بالعقلاء اجيب عن ذلك باوجه اولها انه تعالى
قرر التوحيد وصحة البعث والقيامة في غالب السور بالدلايل اليقينية فلما
تقدم ذكر تلك الدلايل لم يبعد تقريرها بذكر القسم تاكيدا لما تقدم لاسيما
والقرآن انزل بلغة العرب واثبات المطالب بالحلف واليمين طريقة
مالوفة عند العرب ثانيها ان المقصود من هذا الكلام الرد على عبدة الاصنام
في قولهم بانها الهة فكانه قيل ان هذا المذهب قد بلغ في السقوط والركاكة
الى حيث يكفي في ابطاله مثل هذه الحجة ثالثها انه تعالى لما اقسم بهذه
الاشيا على صحة قوله تعالى ان الهكم لواحد عقبه بما هو الدليل اليقيني
في كون الاله واحدا وهو قوله تعالى رب اي موجد ومالك وملك ومدبر
السموات اي الاجرام العالية والارض اي الاجرام السفلية وما بينهما اي
من الفضا المشحون بما يعجز عن عده القوى وذلك لانه تعالى بين في قوله
لو كان فيهما الهة الا الله لفسدتا ان انتظام احوال السموات والارض يدل
على ان الاله واحد فههنا لما قال ان الهكم لواحد اردفه بقوله رب السموات
والارض وما بينهما كانه قيل بينا ان النظر في انتظام هذا العالم يدل
على ان الله واحد فتاملوا ليحصل لكم العلم بالتوحيد تنبيه علم من
قوله تعالى وما بينهما انه تعالى خالق الاعمال العباد لان اعمالهم موجودة
فيما بين السماء والارض وهذه الاية دلت على ان كلما حصل بين السماء
والارض فالله ربه ومالكه وهذا يدل على ان فعل العبد حصل بخلق الله تعالى
فان قيل الاعراض لا يصح وصفها بانها حصلت بين السماء والارض لان
هذا الوصف انما يكون حاصلا في جهة وحيز والاعراض ليست كذلك اجيب
بانها لما كانت حاصلة في الاجسام الحاصلة بين السما والارض فهي
ايضا حاصلة بين السموات والارض ورب المشارق اي والمغارب
وجمعها باعتبار جميع السنة فان الله تعالى خلق للشمس ثلثماية و
ستين كوة في المشرق وثلثماية وستين كوة في المغرب على عدد ايام
السنة

السنة تطلع الشمس كل يوم من كوة منها وتغرب في كوة منها لا ترجع الى
الكوة التي تطلع منها الى ذلك اليوم من العام المقبل وقيل كل موضع شرقت
عليه الشمس فهو مشرق وكل موضع غربت عليه فهو مغرب كانه اراد جميع ما
شرقت عليه الشمس فهو مشرق وغربت عليه فهو مغرب وقيل المراد بالمشا رق
مشارق الكواكب ومغاربها لان لكل كوكب مشرقا ومغربا فان قيل ان الله
تعالى قال في موضع رب المشرق والمغرب وقال في موضع اخر رب المشرقين
ورب المغربين فما الجمع بين هذه المواضع اجيب بان المراد بقوله رب المشرق
والمغرب الجهة فالمشرق جهة والمغرب جهة وبقوله تعالى رب المشرقين ورب
المغربين مشرق الشتا والصيف ومغرب الشتا والصيف واما موضع
فقد مر فان قيل لم اكتفى بذكر المشارق اجيب بوجهين الاول انه اكتفى
به كقوله تعالى تقيكم الحر والثاني ان الشروق اقوى حالا من الغروب و
اكثر نفعا منه فذكر المشرق تنبيها على كثرة احسان الله تعالى على عباده
ولهذه الدقيقة استدل ابراهيم خليل الرحمن عليه السلام بقوله ان الله يا تي
بالشمس من المشرق انا اي بعظمتنا التي لا تنداني زينا السما ولما كانوا لا يرون جميع زينا بما ح
الا ما يليهم من السموات وكانت زينة النجوم ظاهرة فيها قال تعالى الدنيا
اي التي دنت من السموات اليكم بزينة الكواكب اي بضوئها كما قاله ابن عباس
او بها وقرأ عاصم وحمزة بزينة بالتنوين والباقون بغير تنوين والاضافة
للبيان كقراءة تنوين بزينة المبينة بالكواكب ونصب ابا الوحدة عن
الكواكب شعبة وكسرها الباقون فان قيل قد ثبت في علم الهيئة ان هذه الكوا كب
الثوابت مركوزة في الكرة الثامنة وان السيارات مركوزة في الكرات
المحيطة بسماء الدنيا فكيف يصح قوله تعالى انا زينا السماء الدنيا بزينة
الكواكب اجيب بان الناس الساكنين على سطح كرة الارض اذا نظروا الى
السماء الدنيا فانهم يشاهدونها مزينة بهذه الكواكب وقوله تعالى
وحفظا منصوب بفعل مقدر اي حفظناها بالشهب او معطوف على زينة
باعتبار المعنى كانه قال انا خلقنا الكواكب زينة للسماء الدنيا وحفظا

من كل شيطان اي بعيد عن الخير متخرق مارد اي عار خارج عن الطا
عة ولما تشوف السامع الي معرفة هذا الحفظ وتمرده وبيان كيفيته
استانف قوله تعالى لا يسمعون اي الشياطين المفهومون من كل شيطان
الى الملا الاعلى اي الملايكة او اشرافهم في السما وعدي السما بالى
لتضمنه معنى الاصغا مبالغة لنفيه وتهويلا لما يمنعهم عنه ويدل عليه قراة
حمزة والكسائي وحفص بفتح السين وتشديدها وتشديد الميم من التسمع
وهو طلب السماع وقرا الباقون بسكون السين وتخفيف الميم ويقذفون
اي الشياطين يرمون بالشهب من كل جانب اي من افاق السماء وقوله تعالى
دحورا مصدر دحر اي طرده وابعده وهو مفعول له وقيل هو جمع داحر
نحو قاعد وقعود فيكون حالا بنفسه من غير تاويل وقيل غير ذلك ولهم
اي في الاخرة عذاب غير هذا واصب اي دايم وقال مقاتل دايم في الدنيا
الى النفخة الاولى وقوله تعالى الا من خطف فيه وجهان احدهما انه
مرفوع المحل بدلا من ضمير لا يسمعون وهو احسن لانه غير موجب والثاني
انه منصوب على اصل الاستثنا والمعنى ان الشياطين لا يسمعون الملا
يكة الا من خطف وقوله تعالى الخطفة مصدر معرف بال الجنسية او
الموقعة ومعنى اختطف اختلس الكلمة من كلام الملايكة مسارقة فاتبعه
اي لحقه شهاب اي كوكب ثاقب اي مضي قوي لا يخطيه يقتله او
يحرقه او يثقبه او يخبله تنبيه ههنا سوالات اولها ان هذه
الشهب التي يرمى بها هل هي من الكواكب التي زين الله السما بها ام لا
والاول باطل لانها تبطل وتضمحل فلو كانت تلك الشهب تلك الكو
كب الحقيقية لوجب ان يظهر نقصان كثيرا في اعداد كواكب السما
ولم يوجد ذلك فان اعداد كواكب السما باقية لم تتغير البتة وايضا
فيجعلها رجوما للشياطين مما يوجب وقوع النقصان في زينة الدنيا
فكان الجمع بين هذين المقصودين كالمتناقض وان كان الشهب هذه
جنسا اخر غير الكواكب المركوزة في الفلك فهو ايضا مشكل لانه تعالى

قال في

قال في سورة الملك ولقد زينا السماء الدنيا بمصابيح وجعلناها رجوما
للشياطين فالضمير في قوله وجعلناها عايد على المصابيح فوجب ان
تكون تلك المصابيح هي المرجوم باعيانها ثانيها كيف يجوز ان
تذهب الشياطين حين يعلمون ان الشهب تحرقهم ولا يصلون الى مقصو دهم
البتة وهل يمكن ان يصدر هذا الفعل من عاقل فكيف من الشياطين
الذين لهم مزية في معرفة الحيل الدقيقة ثالثها ان التواريخ
المتواترة على ان حدوث الشهب كان حاصلا قبل مجي النبي صلى الله عليه
وسلم ولذلك قال الحكما الذين كانوا موجودين قبل مجي النبي صلى الله
عليه وسلم بزمان طويل ذكروا ذلك وتكلموا في سبب حدوثه واذا ثبت
ان ذلك موجودا قبل مجي النبي صلى الله عليه وسلم امتنع حمله على
مجي النبي صلى الله عليه وسلم رابعها الشيطان مخلوق من النار كما
حكي عن قول ابليس لعنه الله تعالى خلقتني من نار وقال تعالى والجا
ن خلقناه من قبل من نار السموم ولهذا السبب يقدر على الصعود الى
الى السماء واذا كان كذلك فكيف يعقل احراق الكواكب بالنار اجيب
عن الاول بان هذه الشهب غير تلك الكواكب الثابتة واما قوله تعالى
ولقد زينا السما الدنيا بمصابيح وجعلناها رجوما للشياطين ﻫ
فنقول كل ما يحصل في الجو العالي فهو مصباح لاهل الارض الا ان تلك
المصابيح منها ما يبقى على وجه الدهر امنة من التغير والفساد ومنها ما
لا يكون كذلك وهي هذه الشهب التي يحدثها الله تعالى ويجعلها
رجوما للشياطين الذين يعلمون وبها يزول الاشكال وعن الثاني
بان هذه الواقعة انما تتفق في الندرة فلعلها لا تشتهر بسبب
ندرتها بين الشياطين واجاب ابو علي الجبائي بان حصول هذه
الحالة ليس له موضع معين والا لم يذهبوا اليه وانما يمنعون من
المصير الى مواضع الملايكة ومواضعها مختلفة فربما صاروا الى
موضع تصيبهم الشهب وربما صاروا الى غيره ولا صادفوا الملايكة

ولا تصيبهم الشهب فلما هلكوا في بعض الاوقات وسلموا في بعض الا
الاوقات جاز ان يصيروا الى مواضع يغلب على ظنونهم انهم لا يصيبهم
الشهب فيها كما يجوز فيمن سلك البحر ان يسلكه في موضع يغلب
على ظنه حصول النجاة وفي جواب ابي علي نظر اذ ليس في السما موضع قدم
الا وفيه ملك قائم او راكع او ساجد وعن الثالث بان الاقرب ان هذه الحا
لة موجودة قبل النبي صلى الله عليه وسلم لكنها ما كثرت في زمن النبي صلى الله عليه
وسلم فسبب الكثرة معجزة وعن الرابع بان الشياطين ليسوا من نار خالصة
وعلى التنزل بانهم من النيران الخالصة الا انها نيران ضعيفة ونيران
الشهب اقوى حالا منها لاجرم صار الاقوى مبطلا للاضعف الا ترى
ان السراج الضعيف اذا وضع في النار القوية فانه ينطفي فكذا ههنا
ولما كان المقصود الاعظم من القران اثبات الاصول الاربعة وهي
الالهيات والمعاد والنبوة واثبات القضا والقدرة افتتح الله سبحانه
وتعالى هذه السورة باثبات ما يدل على الصانع وعلى علمه وقدرته و
حكمته ووحدانيته وهو خالق السموات والارض وما بينهما ورب المشا
رق والمغارب ثم فرع عليها اثبات الحشر والنشر والقيامة وهو ان
من قدر على ما هو اشق واصعب وجب ان يقدر على ما هو دونه وهو قوله
تعالى فاستفتهم اي سل كفار مكة ان يفتوك بان يبينوا لك ما
تسالهم عنه من انكارهم البعث واصله من الفتوة وهو الكرم اهم اشد اي
اقوى واشق واصعب خلقا اي من جهة احكام الصنعة وقوتها وعظمها
ام من خلقنا اي من الملايكة والسموات والارض وما بينهما والمشارق
والكواكب والشهب الثواقب تثنيه في الاتيان بمن تغليب للعقلا وهو
استفهام بمعنى التقرير اي هذه الاشيا اشد خلقا كقوله تعالى انتم
اشد خلقا ام السما بناها وقيل معنى ام من خلقنا اي من الامم الماضية
لان من يذكر لمن يعقل والمعنى ان هولا ليسوا باحكم خلقا من غيرهم من
الامم الخالية وقد اهلكناها بذنوبهم فما الذي يومن هولا من العذاب

انا خلقناهم

انا خلقناهم اي اصلهم ادم بعظمتنا من طين اي تراب رخو صهين لازب اي
شديد باختلاط بعضه ببعض فالتصق وتحجر بحيث يعلق باليد وقال
مجاهد والضحاك منتن فهو مخلوق من تراب ولا امر قرا حمزة والكسائي
بل عجبت بضم التا والباقون بفتحها اما بالضم فباسناد التعجب الى الله
تعالى وليس هو كالتعجب من الادميين كما قال تعالى فيسخرون منهم سخر
الله منهم وقال نسوا الله فنسيهم فالعجب من الادميين انكاره و
تعظيمه والعجب من الله تعالى قد يكون بمعنى الانكار والذم وقد يكون
بمعنى الاستحسان والرضا كما في الحديث يعجب ربكم من شاب ليست
له صبوة وفي حديث اخر عجب ربكم من الكم وقنوطكم وسرعة اجابته
اياكم قولا الكم الال انشد المقنوط وقيل هو رفع الصوت بالبكا وسيل
الجنيد عن هذه الاية فقال ان الله تعالى لا يعجب من شي ولكن وافق
رسوله صلى الله عليه وسلم فلما عجب رسوله قال تعالى وان تعجب فعجب قولهم
اي هو كما تقوله واما بالفتح فعلى انه خطاب للنبي صلى الله عليه وسلم اي عجبت
من تكذيبهم اياك ويسخرون اي وهم يسخرون من تعجبيك قال قتادة
عجب نبي الله صلى الله عليه وسلم من هذا القران حين انزل وضلال بني ادم وذلك
ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يظن ان كل من سمع القران يومن به فلما سمع المشركون
القران سخروا منه ولم يومنوا به عجب من ذلك النبي صلى الله عليه وسلم فقال
تعالى بل عجبت ويسخرون واذا ذكروا اي وعظوا بالقران لا يذكرون اي لا
يتعظون واذا راوا اية قال ابن عباس وقتادة يعني انشقاق القمر
يستسخرون اي يستهزون بها وقيل يستدعي بعضهم من بعض السخرية و
قالوا ان هذا الا سحر مبين اي ظاهر في نفسه ومظهر لسخريته ثم
خصوا البعث بالانكار اعلاما بانه اعظم عليه ما هو مقصود بالي السحر فقالوا
نظهر ان له في مظهر الانكار ايذا متنا وعطفوا عليه ما هو موجب عندهم
لشدة الانكار فقالوا وكنا اي كونا في غاية التفتت ترابا وقدموه لانه
ادل على مرادهم لا انما يعدم الحياة وعظاما كانهم جعلوا كل واحد من الموت

ده

والكون إلى الترابية المحضة والعظامية المحضة والمختلطة بهما مانعا
من البعث وهذا بعد اعترافهم بأن ابتداء خلقهم كان من التراب ثم كرروا
الاستفهام لزيادة الإنكار على قراءة من قرأه كما سيأتي بيانه زيادة
في الإنكار فقالوا أإنا لمبعوثون وقولهم أوآباؤنا الأولون عطف على
محل إن واسمها أو عطف على الضمير في مبعوثون فإنه مفصول عنه بهمزة
الاستفهام لزيادة الاستبعاد لبعد زمانهم وهذا بيان للسبب الذي حملهم
على استهزاء بجميع المعجزات وهو اعتقادهم أن من مات وتفرقت أجزاؤه
في العالم فما فيه من الأرض اختلط بالأرض وما فيه من المائية والهوائية
اختلط ببخارات العالم فهذا الإنسان يمتنع عقلا عوده بعينه حيا
ثم إنه تعالى لما حكى عنهم هذه الشبهة قال لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم قل
أي لهؤلاء العبدة لبعضنا نعم أي تبعثون على كل تقدير قدرتموه وأنتم دا
خرون أي مكرهون عليه صاغرون ذليلون وإنما اكتفى تعالى بهذا القدر من
الجواب لأنه ذكر في الآية المتقدمة البرهان القطعي على أنه أمر ممكن و
إذا ثبت الجواز القطعي فلا سبيل إلى القطع بالوقوع إلا بإخبار المخبر
الصادق فلما قامت المعجزة على صدق محمد صلى الله عليه وسلم كان واجب الصدق
فكان مجرد قوله نعم دليلا قاطعا على الوقوع وقرأ متنا بضم الميم ابن كثير
وأبو عمرو وابن عامر وشعبة وكسرها الباقون وأما أئذا وأئنا فقرأ نافع
والكسائي بالاستفهام في الأول والخبر في الثاني وابن عامر بالخبر في الأول
والاستفهام في الثاني والباقون بالاستفهام فيهما وسهل الهمزة الثا
نية في الاستفهام نافع وابن كثير وأبو عمرو وحقق الباقون وأدخل في الاستفهام
ألفا بين الهمزتين قالون وأبو عمرو وهشام والباقون بغير إدخال وقرأ
قالون وابن عامر أو آباؤنا بسكون الواو على أنها العاطفة المقتضية
للشك والباقون بفتحها على أنها همزة الاستفهام دخلت على واو العطف
وقرأ الكسائي نعم بكسر العين وهو لغة فيه وقوله تعالى فإنما هي زجرة وا
حدة جواب شرط مقدر أي إذا كان كذلك فإنما البعثة زجرة أي صيحة
واحدة

يا بني على أمر الله تعالى ففعل إبراهيم ما أمره ابنه ثم أقبل عليه يقبله وقد ربطه
وهو يبكي والابن يبكي ثم إنه وضع السكين على حلقه لم تحك شيئا ثم إنه
شحذها مرتين أو ثلاثا بالحجر كل ذلك لا يستطيع أن يقطع شيئا
قال السدي ضرب الله تعالى صفيحة من نحاس على حلقه قال فقال الابن
عند ذلك يا أبت كبني على وجهي لجبيني فإنك إذا نظرت في وجهي رحمتني
وأدركتك رحمة تحول بينك وبين أمر الله وأنا لا أنظر إلى الشفرة فأ
جزع ففعل ذلك إبراهيم ووضع السكين على قفاه فانقلبت السكين و
ناديناه أن يا إبراهيم قد صدقت الرؤيا أي بالعزم والإتيان بالمقد (مات)
ما أمكنك تنبيه في جواب لما ثلاثة أوجه أظهرها أنه محذوف
أي نادته الملائكة أو ظهر صبرهما أو أجزلنا لهما أجرهما وقدره بعضهم
بعد الرؤيا كان ما كان مما ينطق به الحال والوصف مما لا يدرك
كنهه ونقل ابن عطية أن التقدير فلما أسلما أسلما وتله للجبين
ويعزى هذا لسيبويه وشيخه الخليل الثاني وتله للجبين والواو زا
ئدة أيضا وهو قول الكوفيين والأخفش الثالث أنه وناديناه
والواو زائدة أيضا واقتصر على هذا الجلال المحلي وروى أبو هريرة
عن كعب الأحبار أن إبراهيم عليه السلام لما أراد ذبح ولده قال الشيطان
لئن لم أفتن آل إبراهيم عند هذا لا أفتن أحدا منهم أبدا فتمثل الشيطان
في صورة رجل وأتى أم الغلام وقال هل تدرين أين يذهب إبراهيم بابنك
قالت ذهب به يحتطبان من هذا الشعب قال والله ما ذهب به إلا
ليذبحه قالت كلا هو أرحم به وأشد حبا له من ذلك قال إنه يزعم
أن الله أمره بذلك قالت فإن كان ربه أمره بذلك فقد أحسن أن يطيع
ربه فخرج الشيطان من عندها ثم أدرك الابن وهو يمشي على إثر أبيه
فقال له يا غلام هل تدري أين يذهب بك أبوك قال نحتطب لأهلنا
من هذا الشعب قال والله ما يريد إلا أن يذبحك قال ولم قال زعم أن
ربه أمره قال فليفعل ما أمره به ربه فسمعا وطاعة فلما امتنع منه

الغلام اقبل على ابراهيم فقال له اين تريد ايها الشيخ قال اريد هذا
الشعب لحاجة لي فيه فقال والله اني لارى الشيطان قد جاءك في منامك
فامرك بذبح ولدك فعرفه ابراهيم فقال اليك عني يا عدو الله فوالله
لامضين لامر ربي فرجع ابليس بغيظه لم يصب من ابراهيم وآله شيا كما اراد
الله عز وجل وروى ابو الطفيل عن ابن عباس ان ابراهيم عليه السلام لما امر
بذبح ابنه عرض له الشيطان بهذا المشعر فسابقه فسبقه ابراهيم ثم
ذهب الى جمرة العقبة فعرض له الشيطان فرماه بسبع حصيات حتى ذهب
ثم عرض له عند الجمرة الوسطى فرماه بسبع حصيات حتى ذهب ثم
دركه عند الجمرة الكبرى فرماه بسبع حصيات حتى ذهب ثم مضى
ابراهيم لامر الله تعالى فنودي من الجبل ان يا ابراهيم قد صدقت الرؤيا فان
قيل لم قال تعالى قد صدقت الرؤيا وكان قد راى الذبح ولم يذبح اجيب
بانه جعله مصدقا لانه قد اتى بما امكنه والمطلوب استسلامهما
لامر الله تعالى وقد فعلا وقيل كان قد راى في النوم معالجة الذبح و
لم ير اراقة الدم وقد فعل في اليقظة ما راه في النوم ولذلك قال
قد صدقت الرؤيا قال المحققون السبب في هذا التكليف كمال طاعة
ابراهيم لتكاليف الله تعالى فلما كلفه الله تعالى بهذا التكليف الشاق
الشديد وظهر منه كمال الطاعة وظهر من ولده الطاعة والانقياد
لا جرم قال الله تعالى قد صدقت الرؤيا وقوله تعالى **انا كذلك نجزي**
المحسنين ابتداء اخبار من الله تعالى والمعنى انا كما عفونا عن ذبح و
لدك كذلك نجزي من احسن في طاعتنا قال مقاتل جزاه الله تعالى
باحسانه في طاعته العفو عن ذبح ابنه **ان هذا** اي الذبح المامور به
لهو البلاء المبين اي الاختبار الظاهر الذي يتميز فيه المخلصون
من غيرهم والمحنة البينة الصعوبة اذ لا محنة اصعب منها و
قال مقاتل البلاء ههنا النعمة وهو ان فدى ابنه بالكبش كما قال تعالى
وفديناه اي المامور بذبحه وهو اسماعيل وهو الاظهر وقيل اسحاق

بذبح

بذبح عظيم اي عظيم الجثة سمين او عظيم القدر لان الله تعالى فدى
به نبيا ابن نبي من نسله سيد المرسلين عليه السلام وهو كبش اتى به و
جبريل عليه السلام من الجنة وهو الذي قربه هابيل فقال لابراهيم هذا فداء
ولدك فاذبحه دونه فكبر ابراهيم وكبر ولده وكبر جبريل وكبر الكبش و
اخذ ابراهيم الكبش واتى به المنحر من منى فذبحه قال البغوي قال اكثر
المفسرين كان ذلك الذبيح كبشا رعى في الجنة اربعين خريفا وقيل كان وعلا
هبط عليه من ثبير وروي انه هرب منه عند الجمرة فرماه بسبع حصيات حتى
اخذه فصارت سنة تنبيه الذبح مصدر يطلق على ما يذبح وهو المراد في
هذه الاية **وتركنا عليه في الاخرين** ثناء حسنا وقوله تعالى **سلام** اي
منا **على ابراهيم** سبق بيانه في قصة نوح عليهما السلام **كذلك** اي كما
جزيناه **نجزي المحسنين** لانفسهم وقوله تعالى **انه من عبادنا المؤمنين**
تعليل لاحسانه بالايمان اظهارا لجلالة قدره واصالة امره وقوله تعالى
وبشرناه باسحاق فيه الدليل على ان الذبيح غيره وفي ذكره الاشارة
الى ذلك وقوله تعالى **نبيا** حال مقدرة اي يوجد مقدرا نبوته وقوله
تعالى **من الصالحين** يجوز ان يكون صفة لنبيا وان يكون حالا من الضمير
في نبيا فتكون حالا متداخلة ويجوز ان يكون حالا ثانية ومن فسر
الذبيح باسحاق جعل المقصود من البشارة نبوته وفي ذكر الصلاح بعد
النبوة تعظيم لشانه وايماء بانه الغاية لها لتضمنها معنى الكمال والتكميل
وباركنا عليه اي على ابراهيم بتكثير ذريته **وعلى اسحاق** بان اخرجنا
من صلبه انبياء بني اسرائيل وغيرهم كايوب وشعيب فجميع الانبياء بعده من
صلبه الا نبينا محمدا صلى الله عليه وسلم فانه من ذرية اسماعيل وفيه اشارة
الى انه مولد علم فهو صلى الله عليه وسلم افضل الانبياء **ومن ذريتهما محسن** اي
مؤمن مطيع **وظالم** اي كافر وفاسق **لنفسه مبين** اي ظاهر ظلمه وفي ذلك
تنبيه على ان النسب لا اثر له في الهدى والضلال وان الظلم في اعقابهما
لا يعود عليهما بنقيصة وعيب القصة الثانية قصة موسى وهارون

عليهما السلام المذكورة في قوله تعالى ولقد مننا على موسى وهارون اي
انعمنا عليهما بالنبوة وغيرها من المنافع الدينية والدنيوية ونجيناهما
وقومهما اي بني اسرايل من الكرب العظيم الغم العظيم الذي كانوا فيه
من استعباد فرعون اياهم وقيل من الغرق والضمير في قوله تعالى ونصرناهم
يعود على موسى وهارون وقومهما وقيل على الاثنين بلفظ الجمع تعظيما
كقوله تعالى يا ايها النبي اذا طلقتم النساء وقول الشاعر فان شئت
حرمت النساء سواكم فكانوا هم الغالبين اي على فرعون وقومه في
كل الاحوال اما في اول الامر فبظهور الحجة واما في اخر الامر فبالدولة
والرفعة تنبيه يجوز في هم ان يكون تاكيدا وان يكون بدلا وان
يكون فصلا وهو الاظهر واتيناهما الكتاب المستبين اي المستنير
البليغ البيان المشتمل على جميع العلوم المحتاج اليها في مصالح الدين
والدنيا وهو التوراة كما قال الله تعالى انا انزلنا التوراة فيها هدى
ونور وهديناهما الصراط المستقيم اي دللناهما على الطريق الموصل
الى الحق والصواب عقلا وسمعا وتركنا اي ابقينا عليهما في الاخرين
سلام اي منا على موسى وهارون انا كذلك اي كما جزيناهما
نجزي المحسنين وقوله تعالى انهما من عبادنا المومنين تعليل لا
حسانهما بالايمان واظهار لجلالة قدره واصالة امره القصة

قصة الياس

الرابعة قصة الياس عليه السلام المذكورة في قوله تعالى وان الياس لمن المر
سلين روي عن ابن مسعود انه قال الياس هو ادريس وهو قول
عكرمة وقال المفسرون انه نبي من انبيا بني اسرايل قال ابن عباس
وهو ابن عم اليسع وقال محمد ابن اسحاق هو الياس ابن بشير ابن فنحاص
ابن العيزار ابن هارون ابن عمران تنبيه اذكر فيه شيا من قصته عليه
السلام قال علما السير والاخبار لما قبض الله تعالى خرقيل النبي عليه السلام
عظمت الاحداث في بني اسرايل وظهر فيهم الفساد والشرك ونصبوا
الاصنام وعبدوها من دون الله عز وجل فبعث الله تعالى اليهم الياس

نبيا

نبيا وكانت الانبيا من بني اسرايل يبعثون بعد موسى عليه السلام
بتجديد ما نسوا من الاحكام التورات وبنو اسرايل كانوا متفرقين
في ارض الشام وكان سبب ذلك ان يوشع ابن نون عليه السلام لما فتح
الشام قسمها على بني اسرايل واحل سبطا منها بعلبك ونواحيها
وهم السبط الذي كان منهم الياس فبعثه الله تعالى اليهم نبيا وعليهم
يوميذ ملك اسمه اجب كان اضل قومه واجبرهم على عبادة الاصنام
وكان لهم صنم طوله عشرون ذراعا وله اربعة اوجه وكان يسمى بعل
وكانوا اتخذوا فتنوا به وعظموه وجعلوا له اربعماية سادن اي خادم
وكان الشيطان يدخل في جوف بعل ويتكلم بشريعة الضلالة والسدنة
يحفظونها عنه ويبلغونها الناس وهم اهل بعلبك وكان الياس
يدعوهم الى عبادة الله وهم لا يسمعون له ولا يومنون به الا ما كان
من امر الملك فانه امن به وصدقه فكان الياس يقوم بامره
ويسدده ويرشده وكان للملك امراة تسمى ازميل
جبارة وكان يستخلفها على ملكه اذا غاب عنهم في غزاة او غيرها
وكانت تبرز للناس فتقضي بينهم وكانت قتالة للانبيا ويقال انها
هي التي قتلت يحيى ابن زكريا عليهما السلام وكان لها كاتب رجل
مومن حليم يكتم ايمانه وكان قد خلص من يدها ثلثماية نبي كانت تريد قتلهم
اذ بعث كل واحد منهم سوى الذين قتلتهم وكانت في نفسها غير محصنة وكانت
قد تزوجت سبعة من ملوك بني اسرايل وقتلتهم كلهم بالاغتيال
وكانت معمرة يقال انها ولدت سبعين ولدا وكان لاجب هذا جار رجل صالح
يقال مزدكي وكان له جنينة يعيش منها وكانت الجنينة الى جنب قصر
الملك وامراته وكانا يشرفان عليها يتنزهان فيها ويا كلان ويشربان
ويقيلان فيها وكان الملك يحسن جوار صاحبها مزدكي ويحسن اليه وامراته
ازميل تحسده لاجل تلك الجنينة وتحتال ان تغصبها منه لما
تسمع الناس يكثرون ذكرها ويعجبون من حسنها وتحتال ان تقتله

والملك بينهما عن ذلك فلا نجد عليه سبيلا ثم انها نفق خروج
الملك الى مكان بعيد وطالت غيبته واغتنمت امراته ازبيل ذلك
فجمعت جمعا من الناس وامرتهم ان يشهدون على مزدكي انه سب زوجها
اجرفاجابوها اليه وكان في حكمهم في ذلك الزمان القتل على من سب الملك
اذا قامت عليه البينة فاحضرت مزدكي وقالت له بلغني انك شتمت الملك
فانكر فاحضرت الشهود فشهدوا عليه بالزور فامرت بقتله واخذت
جنينته فلما قدم من سفره اخبرته الخبر فقال لها ما اصبت ولا ابدا
نفلح بعده فقد جاورنا منذ زمان فاحسنا جواره وكففنا عنه الاذى
لوجوب حقه علينا فختمت امره بسوء الجوار فقالت انما غضبت لك وحكمة
بحكمك فقال لها اوما كان يسعه حلمك فتحفظين جواره فقالت قد كان
ما كان فبعث الله الياس الى اجب الملك وامره الله ان يخبرهم ان الله تعالى قد
غضب لوليه حين قتلوه ظلما والى على نفسه انهما لم يتوبا عن صنيعهما
ويردا الجنينة على ورثة مزدكي ان يهلكهما يعني اجب وامراته في جوف
الجنينة ثم يدعهما جيفتين ملقاتين فيها حتى تتعرى عظامهما من
لحومهما ولا يتمتعان بها الا قليلا فجا الياس فاخبر الملك بما اوحى الله
في امره وامر امراته والجنينة فلما سمع الملك ذلك اشتد غضبه عليه
وقال يا الياس والله ما ارى ما تدعونا اليه الا باطلا وهم بتعذيبه وقتله
فلما احس الياس بالشر رفضه وخرج عنه هاربا ورجع الملك الى عبادة
بعل وارتقا الياس الى اصعب جبل واشمخه فدخل مغارة فيه وبقال انه
بقي سبع سنين شريدا خائفا ياوي الشعوب والكهوف ياكل من نبات الارض
وثمار الشجر وهم في طلبه قد وضعوا عليه العيون والله تعالى يستره منهم فلما
طال الامر على الياس وطال عصيان قومه وضاق بذلك ذرعا اوحى الله
تعالى اليه بعد سبع سنين يا الياس ما هذا الحزن الذي انت فيه لست اميني
على وحيي وحجتي في ارضي وصفوتي من خلقي فسلني اعطك فاني ذو الرحمة
الواسعة والفضل العظيم قال تميتني فتلحقني بابائي فاني قد مللت
بني

بني اسرائيل وملوني فاوحى الله تعالى اليه يا الياس ما هذا اليوم الذي اعري
منك الارض واهلها وانما قوامها وصلاحها بك واشباهك وان كنتم
قليلا ولكن سلني فاعطيك قال الياس ان لم تمتني فاعطني ثاري من بني اسرائيل
قال الله تعالى واي شي تريد ان اعطيك قال تمكني من خزائن السما سبع سنين
فلا تنشئ سحابة عليهم الا بدعوتي ولا تمطر عليهم سبع سنين قطرة
الا بشفاعتي فانهم لا يذكرهم الا ذلك قال الله تعالى يا الياس انا ارحم بخلقي
من ذلك وان كانوا ظالمين قال فست سنين قال انا ارحم بخلقي من ذلك
قال فخمس سنين قال انا ارحم بخلقي من ذلك ولكن اعطيتك ثارك ثلاث
سنين اجعل خزائن المطر بيدك قال فباي شي اعيش قال اسخر لك
جنسا من الطير ينقل اليك طعامك وشرابك من الريف ومن الارض
التي لم تقحط قال الياس قد رضيت فامسك الله تعالى عنهم المطر حتى هلكت
الماشية والهوام والشجر وجهد الناس جهدا شديدا والياس على حالته
مستخفيا من قومه يوضع له الرزق حيث ما كان وقد عرف ذلك قومه
قال ابن عباس اصاب بني اسرائيل ثلاث سنين القحط فمر الياس بعجوز
فقال لها هل عندكم طعام قالت نعم شي من دقيق وزيت قليل فدعا بهما ودعا
فيه بالبركة فملا خوابيها دقيقا وخوابيها زيتا فلما راوا ذلك عندها
قالوا لها من اين لك هذا قالت مر بي رجل من حاله كذا وكذا ثم وصفته
بصفته فعرفوه وقالوا ذلك الياس فطلبوه فوجدوه فهرب منهم ثم
انه اوى الى بيت امراة من بني اسرائيل لها ابن يقال له اليسع ابن خطوب
به مرض فاوته واخفت امره فدعا له فعوفي من الضر الذي كان به و
اتبع الياس وامن به وصدقه ولزمه وكان يذهب حيثما ذهب وكان الياس
قد كبر سنه واليسع غلام شاب ثم ان الله تعالى اوحى الى الياس انك قد اهلكت
كثيرا من الخلق ممن لم يعص من البهائم والطير والهوام بحبس المطر فقال
الياس يا رب دعني انا الذي اكون ادعو لهم واتيتهم بالفرج مما هم فيه
من البلا لعلهم ان يرجعوا عما لهم عليه من عبادة غيرك فقيل له نعم فجا الياس

الي بني اسرائيل فقال انكم قد هلكتم جوعا وجهدا وقد هلكت البهائم
والهوام والشجر بخطاياكم وانكم علي باطل فان كنتم تحبون ان تعلموا
ذلك فاخرجوا باصنامكم فان استجابت لكم فذلك كما تقولون وان هي لم
تفعل علمتم انكم علي باطل فنزعتم ودعوتم الله سبحانه وتعالي ففرج عنكم
ما انتم فيه من البلا قالوا انصفت فخرجوا باوثانهم فدعاها فلم تفرج
عنهم ما كانوا فيه من البلا ثم قالوا لالياس انا قد هلكنا فادع الله لنا
فدعا لهم الياس ومعه اليسع بالفرج فخرجت سحابة مثل الترس علي
ظهر البحر وهم ينظرون فاقبلت نحوهم وطبقت الافاق ثم ارسل
الله تعالي عليهم المطر فاغاثهم وحييت بلادهم فلما كشف الله تعالى
عنهم الضر لم ينزعوا عن كفرهم واقاموا علي اخبث ما كانوا عليه فلما
راي ذلك الياس ومعه اليسع دعا ربه ان يريحه منهم فقيل له انظر
يوم كذا وكذا فاخرج فيه الي موضع كذا فما جاك من شي فاركبه ولا تهبه
فخرج الياس ومعه اليسع حتي اذا كانا بالموضع الذي امر به اقبل فرس من
نار وقيل لونه كلون النار حتي وقف بين يديه فوثب عليه الياس وانطلق
به الفرس وناداه اليسع يا الياس ما تامرني فقذف اليه بكسايه من الجو
الاعلا فكان ذلك علامة استخلافه اياه علي بني اسرائيل وكان ذلك
اخر عهده به ورفع الله تعالي الياس من بين اظهرهم وقطع عنه لذة المطعم
والمشرب وكساه الريش فكان انسيا ملكيا ارضيا سماويا وسلط الله
تعالي علي اجب الملك وقومه عدوا لهم فقصدهم من حيث لم يشعروا به
حتي ارهقهم فقتل اجب وامراته ازميل في بستان مزدكي فلم تزل جيفتهما
ملقاتين في تلك الجنينة حتي بليت لحومهما ورمت عظامهما ونبا
الله تعالي اليسع وبعثه رسولا الي بني اسرائيل فاوحي الله تعالي اليه وايده
فامنت به بنو اسرائيل وكانوا يعظمونه وحكم الله تعالي فيهم قائم الي ان
فارقهم اليسع روي السري ابن يحيي عن عبد العزيز ابن ابي رواد قال
الياس والخضر يصومان رمضان ببيت المقدس ويوافيان الموسم في كل
عام

عام وقيل ان الياس موكل بالفيافي والخضر موكل بالبحار فذلك قوله تعالى
وان الياس لمن المرسلين اذ اي واذكر يا افضل الخلق اذ قال لقومه الا
تتقون اي الا تخافون الله ولا خوفهم علي سبيل الاجمال ذكر هو السبب
لذلك التخويف بقوله اتدعون بعلا اسم لصنم لهم من ذهب وبه سميت
البلد بعلبك مضافا الي بك اي اتعبدونه او اتطلبون الخير منه وقيل
البعل الرب بلغة اليمن سمع ابن عباس رجلا منهم ينشد ضالة فقال
انا بعلها فقال الله اكبر وتلا الاية ويقال من بعل هذه الدار اي من
ربها وسمي الزوج بعلا لهذا المعنى قال الله تعالي وبعولتهن احق بردهن
وقالت امراة ابراهيم وهذا بعلي شيخا والمعنى اتدعون بعض البعول
وتذرون اي تتركون احسن الخالقين فلا تعبدونه وقرا ابن ذكوان
همزة الوصل من الياس في الوصل فان ابتدا بها ابتدا بفتحها والباقون
الهمزة مكسورة وصلا وابتدا وقوله تعالي الله ربكم ورب ابايكم
الاولين قراه حفص وحمزة والكسائي بنصب الثلاثة علي البدل من الاسم
الكريم ونصب الباء الموحدة من ربكم ورب وذلك اما علي المدح او البدل
او البيان ان قلنا ان اضافة افعل اضافة محضة والباقون بالرفع
في الثلاثة وذلك اما علي خبر مبتدا مضمر اي هو الله او علي ان الجملة مبتدا
وما بعده الخبر فكذبوه فانهم لمحضرون اي في العذاب وانما اطلق ه
اكتفا بالقرينة او لان الاحضار المطلق مخصوص بالشر عرفا وقوله
تعالي الا عباد الله المخلصين اي المومنين مستثني من فاعل فكذبوه
وفيه دلالة علي ان في قومه من لم يكذبه فلذلك استثنوا ولا يجوز
ان يكونوا مستثنين من ضمير لمحضرون لفساد المعنى لانه يلزم ان
يكونوا مندرجين فيمن كذب لكنهم لم يحضروا لكونهم عباد الله المخلصين
وهو بين الفساد لا يقال هو مستثني منه استثنا منقطعا لانه يصير
المعنى لكن عباد الله المخلصين الله من غيرهم لا لم يحضروا ولا حاجة الي هذا
اذ به يفسد نظم الكلام وتقدم علي قراة المخلصين في اول السورة وتركنا

عليه في الاخرين ثناء حسنا سلام اي منا وقوله تعالى على الياسين
قرا نافع وابن عامر بفتح الهمزة ممدودة وكسر اللام وقطعها عن الياسين
كما رسمت اي اهله والمراد به الياس واتباعه والباقون بكسر الهمزة وسكون اللام وهي مقطوعة
عن الياسين قيل هو الياس المتقدم وقيل هو ومن امن معه فجمعوا معه تغليبا كقولهم
للمهلب وقومه المهلبون وقيل هو محمد صلى الله عليه وسلم او القران او غيره
من كتب الله تعالى قال البيضاوي والكل لا يناسب نظم ساير القصص
ولا قوله تعالى انا كذلك نجزي المحسنين اي كما جزيناه انه من عبادنا
المومنين اي الظاهر ان الضمير لالياس القصة الخامسة قصة لوط عليه
السلام المذكورة في قوله تعالى وان لوطا لمن المرسلين اذ اي واذكر اذ
نجيناه واهله اجمعين الا عجوزا في الغابرين اي الباقين في العذاب ثم
دمرنا اي اهلكنا الاخرين اي كفار قومه وانكم اي اهل مكة لتمرون عليهم
مصبحين اي على منازلهم في متاجركم الى الشام فان سدوم في طريقه و
قوله تعالى وبالليل عطف على الحال قبلها اي ملتبسين بالليل والمعنى
ان اولئك القوم كانوا يسافرون الى الشام والمسافر في اكثر الامر انما
يمشي في الليل وفي اول النهار فلهذا السبب ~~فيكم عقل يا اهل مكة فينظر~~
عبر الله تعالى عن هذين الوقتين ثم قال تعالى افلا تعقلون اي ليس
فيكم عقل يا اهل مكة فينظرون ما حل بهم فتعتبرون القصة السادسة
وهي اخر القصص قصة يونس عليه السلام المذكورة في قوله تعالى وان يونس
لمن المرسلين وقوله تعالى اذ ابق ظرف للمرسلين اي هو من المرسلين
حتى في هذه الحالة وابق اي هرب واصله الهرب من السيد لكن كانت
هربه من قومه بغير اذن ربه حسن اطلاقه عليه الى الفلك المشحون
اي السفينة المملوءة قال ابن عباس ووهب كان يونس وعد قومه العذاب
فتاخر عنهم فخرج كالمستور منهم فقصد البحر فركب السفينة فقالت
الملاحون ههنا عبد ابق من سيده فاقترعوا فوقعت القرعة على يونس
فقال يونس انا الابق فزج نفسه في البحر وروي في القصة انه لما وصل الى

القصة الخامسة قصة لوط عليه السلام

الى البحر كان معه امراته وابنان له فجاء مركب واراد ان يركب معهم
فقدم امراته ليركب بعدها فحال الموج بينه وبين المركب ومر المركب ثم
جاءت موجة اخرى فاخذت ابنه الاكبر وجاء ذيب فاخذ ابنه الاصغر فبقي
فريدا فجاء مركب اخر فركبه وقعد ناحية من القوم فلما مرت السفينة ~~ما تراه~~
~~من غير ريح ولا سبب~~ في البحر ركدت فقال الملاحون ان فيها عاصيا والا
لم يحصل وقوف السفينة ما تراه من غير ريح ولا سبب ظاهر فاقرعوا
فمن خرج سهمه نغرقه فلان نغرق واحد خير من غرق الكل فاقترعوا
فخرجت القرعة على يونس فذلك قوله تعالى فساهم اي قارع اهل السفينة
فكان من المدحضين اي المغلوبين بالقرعة فالقوه في البحر فالتقمه اي
ابتلعه الحوت وهو مليم اي ات بما يلام عليه من ذهابه الى البحر وركوب
السفينة بلا اذن من ربه وقيل مليم نفسه فلولا انه كان من المسبحين
اي الذاكرين قبل ذلك وكان عليه السلام كثير الذكر وقال ابن عباس من
المصلين وقال وهب من العابدين وقال الحسن ما كان له صلاة في بطن الحوت
ولكنه قدم عملا صالحا قال الضحاك شكر الله تعالى له طاعته القديمة اذكر
الله في الرخاء يذكرك في الشدة فان يونس كان عبدا صالحا ذاكرا الله تعالى فلما
وقع في الشدة في بطن الحوت شكر الله تعالى له ذلك وقال سعيد بن
جبير يعني قوله لا اله الا انت سبحانك اني كنت من الظالمين للبث في
بطنه الى يوم يبعثون اي صار بطن الحوت له قبرا الى يوم القيامة
وهو حي او ميت وفي ذلك حث على اكثار الذكر وتعظيم لشانه ومن
اقبل عليه في السراء اخذ بيده في الضراء فنبذناه اي القيناه من بطن الحوت
فاضاف النبذ الى نفسه سبحانه مع ان النبذ انما حصل بفعل الحوت
فهو يدل على ان فعل العبد مخلوق لله تعالى بالعراء اي بوجه الارض فهو
بدل وقال السدي بالساحل والعراء الارض الخالية من الشجر والنبات روي
ان الحوت سار مع السفينة رافعا راسه يتنفس فيه يونس ويسبح الله تعالى
حتى انتهى الى الارض فلفظه تنبيه اختلفوا في مدة لبثه في بطن

عوا
كوبه
ن

الحوت فقال الحسن لم يلبث الا قليلا ثم خرج من بطن الحوت وقال بعضهم التقمه
بكرة ولفظه عشية وقال مقاتل ابن حيان ثلاثة ايام وقال عطا سبعة
ايام وقال الضحاك عشرين يوما وقيل شهر وقيل اربعين يوما قال الرازي وقال
ولا ادري باي دليل بعينوا هذه المقادير وروي ابو بردة عن النبي
صلى الله عليه وسلم انه قال سبح يونس في بطن الحوت فسمع الملايكة
تسبيحه فقالوا ربنا انا نسمع صوتا ضعيفا بارض غريبة فقال تعالى
ذاك عبدي يونس عصاني في بطن الحوت في البحر قالوا العبد الصالح الذي
كان يصعد اليك منه في كل يوم وليلة عمل صالح قال نعم فشفعوا له فامر
الحوت فقذفه بالساحل وروي ان يونس عليه السلام لما ابتلعه الحوت ابتلع
الحوت حوت اخر اكبر منه فلما استقر في جوف الحوت حسب انه قد مات
فحرك جوارحه فتحركت فاذا هو حي فخر لله تعالى ساجدا وقال يا رب
اتخذت لك مسجدا لم يعبدك احد في مثله وهو سقيم اي عليل كالفرخ
الممعوط فانبتنا عليه اي له وقيل عنده شجرة من يقطين قال
المبرد والزجاج اليقطين كل ما لم يكن له ساق من عود كالقثاء والقرع
والبطيخ والحنظل وهو قول الحسن ومقاتل قال البغوي المراد هنا القرع
على قول جميع المفسرين وروي الفرا انه قيل عند ابن عباس هو ورق القرع
فقال ومن جعل القرع من بين الشجر يقطينا كل ورقة اتسعت وسترت
فهو يقطين فان قيل الشجرة ماله ساق واليقطين لا ساق له كما قال
تعالى والنجم والشجر يسجدان اجيب بان الله تعالى جعل لها ساقا على خلاف
العادة في القرع معجزة له عليه السلام ولو كان منبسطا على الارض لم يمكن
ان يستظل به قال مقاتل ابن حيان كان يونس يستظل بالشجرة و
كانت وعلة تختلف اليه فيشرب من لبنها بكرة وعشيا حتى اشتد لحمه
ونبت شعره وروي ان يونس عليه السلام كان يسكن مع قومه فلسطين
فغزاهم ملك وسبى منهم تسعة اسباط ونصف وبقي سبطان ونصف
وكان قد اوحى الله تعالى الى بني اسرايل اذا اسركم عدوكم واصابتكم

مصيبة

مصيبة فادعوني استجب لكم فلما نسوا ذلك واسروا اوحى الله
تعالى بعد حين الى نبي من الانبيا اليهم ان اذهب الى ملك هولاء الاقوام
وقل له يبعث الى بني اسرايل نبيا فاختار يونس عليه السلام لقوته
وامانته كذلك فقال يونس وفي بني اسرايل من هو اقوى مني فلم لا
تبعثه فالح الملك عليه فغضب يونس منه وخرج حتى اتى بحر الروم
فوجد سفينة مشحونة فحملوه فيها فلما اشرف على لجة البحر اشرفوا
على الغرق فقال الملاحون ان فيكم عاصيا والا لم يحصل في السفينة ما
نراه وقال التجار قد جربنا مثل هذا فاذا رايناه نقترع فمن خرج عليه
نغرقه في البحر فلان يغرق واحد خير من غرق الكل فخرج من بينهم يونس
فقال يا هولاء انا العاصي وتلفف في كسايه ورمى نفسه فالتقمه الحوت
واوحى الله تعالى الى الحوت لا تكسر منه عظما ولا تقطع منه وصلا
ثم ان الحوت خرج الى نيل مصر ثم الى بحر فارس ثم الى البطايح ثم
الى دجلة وصعد به ورماه في ارض نصيبين بالعرا وهو كالفرخ الممعوط فـ
لا شعر ولا لحم فانبت الله تعالى عليه شجرة من يقطين فكان يستظل
بها وياكل من ثمرها حتى اشتد ثم ان الارضة اكلتها فحزن يونس لذا لك
حزنا شديدا فقال يا رب كنت استظل تحت هذه الشجرة من الشمس
والريح وامص من ثمرها وقد سقطت فقال يا يونس تحزن على شجرة
انبتت في ساعة ولا تحزن على ماية الف او يزيدون تركتهم فانطلق
اليهم فانطلق وذلك قوله تعالى وارسلناه اي بعد ذلك كقبل
الى قومه بنينوى من ارض الموصل الى ماية الف او يزيدون قال ابن
عباس او بمعنى الواو وقال مقاتل والكلبي بمعنى بل وقال الزجاج
على الاصل بالنسبة للمخاطبين واختلفوا في مبلغ الزيادة فقال ابن
عباس ومقاتل كانوا عشرين الفا ورواه ابي بن كعب عن رسول الله
صلى الله عليه وسلم وقال الحسن بضعا وثلاثين الفا وقال سعيد ابن
جبير سبعين الفا فامنوا اي الذين ارسل اليهم عند معاينة العذاب

الموعودين به فمتعناهم اي ابقيناهم بحالهم الى حين اي الى انقضاء
اجلهم تنبيه قال البيضاوي ولعله انما لم يختم قصته وقصة
لوط بما ختم به سائر القصص تفرقة بينهما وبين ارباب الشرائع
الكبيرة واولي العزم من الرسل واكتفاء بالسلام الشامل لكل الر
سل المذكورين في اخر السورة وقوله تعالى لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم فا
ستفتهم اي استخبر كفار مكة توبيخا لهم الربك البنات ولهم البنون
قال الزمخشري معطوف على مثله في اول السورة قال ابو حيان واذا كانوا
قد عدوا الفصل بجملة نحو كل لحما واضرب زيدا وخبزا من اقبح التركيب
فكيف بجمل كثيرة وقصص متباينة فاجيب عنه بان الفصل وان كثر
بين الجمل المتعاطفة مغتفر واما المثال الذي ذكره من قبيل المفردات
الا ترى كيف عطف خبزا على لحما وايضا الفصل ليس باجنبي كما اشار
اليه البيضاوي بقوله امره اولا باستفتاء قريش عن وجه انكارهم
البعث وساق الكلام في تقريره جار الما يلائمه من القصص موصولا
بعضها ببعض ثم امره صلى الله عليه وسلم باستفتائهم عن وجه
القسمة حيث جعلوا لله البنات ولانفسهم البنين في قولهم الملا
ئكة بنات الله وهولاء زادوا على الشرك ضلالات اخر التجسيم
وتجويز البنات على الله تعالى فان الولادة مخصوصة بالاجسام
الكائنة الفاسدة وتفضيل انفسهم عليه سبحانه حيث جعلوا
اوضع الجنسين له وارفعهما لهم واستهانتهم بالملائكة حيث
انثوهم ولذلك كرر الله تعالى انكار ذلك وابطاله في كتابه العز
يز مرارا وجعله مما تكاد السموات يتفطرن منه وتنشق الارض وتخر
الجبال هدا والانكار هاهنا مقصور على الاخيرين لاختصاص
هذه الطائفة بهما ونقل الواحدي عن المفسرين انهم قالوا ان
قريشا واجناس العرب جهينة وبني سلمة وخزاعة وبني مليح
قالوا الملائكة بنات الله وهذا كلام يشتمل على امرين احدهما

اثبات

اثبات البنات لله تعالى وذلك باطل لان العرب كانوا يستنكفون
من البنات والشيء الذي يستنكف منه المخلوق كيف يمكن اثباته للخالق
والثاني اثبات ان الملائكة اناث وهذا ايضا باطل لان الطريق العلم
اما الحس واما الخبر واما النظر اما الحس فمفقود لانهم لم يشاهدوا
كيف خلق الله تعالى الملائكة وهو المراد من قوله تعالى ام خلقنا
الملائكة اناثا وهم شاهدون وانما خص علم المشاهدة لان امثال ذلك
لا يعلم الا به فان الانوثة ليست من لوازم ذاتهم لتمكن معرفته
بالعقل الصرف مع ما فيه من الاستهزاء والاشعار بانهم لفرط جهلهم
يبتون به كانهم قد شاهدوا خلقهم واما الخبر فمفقود ايضا
لان الخبر انما يفيد العلم اذا علم كونه صدقا قطعا وهولاء الذين
يخبرون عن هذا الحكم كذابون افاكون لم يدل على صدقهم دليل و
هذا هو المراد من قوله تعالى الا انهم من افكهم ليقولون ولد الله
وانهم لكاذبون اي فيما زعموا وقوله تعالى اصطفى البنات على
البنين استفهام انكار واستبعاد والاصطفاء اخذ صفوة الشيء
فائدة همزة اصطفى همزة قطع مفتوحة مقطوعة وصلا وابتداء مالكم
كيف تحكمون هذا الحكم الفاسد افلا تذكرون اي انه تعالى منزه
عن ذلك وقرا حمزة والكسائي وحفص تخفيفا الذال والباقون
بالتشديد واما النظر فمفقود من وجهين الاول ان دليل العقل
يقتضي فساد هذا المذهب لانه تعالى اكمل الموجودات والاكمل به
اصطفى البنات على البنين يعني اسناد الافضل الى الافضل اقرب الى
العقل من اسناد الاخس الى الافضل فان كان حكم العقل معتبرا في
هذا الباب كان قولهم باطلا الثاني ان نترك الاستدلال على فساد
مذهبهم بل نطالبهم باثبات الدليل الدال على صحة مذهبهم واذا لم
يجدوا دليلا ظهر بطلان مذهبهم وهذا هو المراد بقوله تعالى
ام لكم سلطان مبين اي حجة واضحة ان الله ولدا فاتوا بكتا
بكم

اي التوراة فاروني ذلك فيه ان كنتم صادقين اي في قولكم هذا و
جعلوا بينه وبين الجنة نسبا قال مجاهد وقتادة اراد بالجنة هو
الملائكة سموا جنا لاجتنانهم عن الابصار قال ابن عباس حي من الملا
ئكة يقال لهم الجن منهم ابليس وقيل هم خزان الجنة قال الرازي وهو
القول عندي مشكل لانه تعالى ابطل قولهم الملائكة بنات الله ثم عطف
عليه قوله تعالى وجعلوا والعطف يقتضي المغايرة فوجب ان يكون المراد
من الاية غير ما تقدم وقال مجاهد قال كفار قريش الملائكة بنات
الله فقال ابو بكر الصديق رضي الله تعالى عنه فمن امهاتهم قالوا سروات
الجن وهذا ايضا بعيد لان المصاهرة لا تسمى نسبا قال الرازي وقد
رايت في تفسير قوله تعالى وجعلوا لله شركا الجن ان قوما من الزنا
دقة يقولون ان الله تعالى وابليس اخوان فالله تعالى هو الخير الكريم
وابليس هو الاخ الشرير فالمراد من ذلك هو هذا المذهب قال
وهذا القول عندي هو اقرب الاقاويل وهو مذهب المجوس ولقد علمت
الجنة اي اهل هذا القول انهم لمحضرون اي الى النار ويعذبون وقيل
المراد ولقد علمت الجنة انهم لمحضرون العذاب فعلى الاول الضمير
عايد الى القايل وعلى الثاني عايد الى نفس الجنة ثم انه تعالى نزه نفسه
عما قالوا من الكذب فقال تعالى سبحان الله عما يصفون بان له
ولدا ونسبا وقوله تعالى الا عباد الله المخلصين اي المومنين
استثنا منقطع اي لكن عباد الله فانهم ينزهون الله تعالى عما
يصفون هولا الثالث انه ضمير محضرون اي لكن عباد الله تعالى ناجون
وعلى هذا فتكون جملة التسبيح معترضة وظاهر كلام ابي البقا انه
يجوز ان يكون استثنا متصلا لانه قال مستثنى من جعلوا او
محضرون ويجوز ان يكون منفصلا فظاهر هذه العبارة ان الوجهين
الاولين هو فيهما متصل لا منفصل وليس ببعيد كانه وجعل الناس ثم
استثنى منهم هولاء وكل من لم يجعل بين الله وبين الجنة نسبا فهو

عند الله

عند الله مخلصون من الشرك وقوله تعالى فانكم اي اهل مكة وما تعبدون
اي من الاصنام عدوا الى خطابهم لانه لما ذكر الدلايل الدالة على فساد
مذاهب الكفار اتبعه بما ينبه به على ان هولاء الكفار لا يقدرون على اضلال
احد الا باذن الله اذا كان قد سبق حكم الله تعالى في حقه بالعذاب والو
قوع في النار كما قال تعالى ما انتم عليه اي على معبودكم وعليه متعلق
بقوله بفاتنين اي بمضلين احدا من الناس الا من هو صال الجحيم
اي الا من سبق له في علم الله تعالى الشقاوة تنبيه احتج اهل السنة بهذه
الاية على انه لا تاثير لايحاء الشيطان ووسوسته وانما المؤثر قضاء
الله تعالى وتقديره ثم ان جبريل عليه السلام اخبر النبي صلى الله عليه وسلم بان
الملائكة ليسوا بمعبودين كما زعمت الكفار بقوله وما منا الا له مقام
معلوم في السموات يعبد الله تعالى فيه لا يتجاوزه قال ابن عباس ما في السموات
موضع شبر الا وعليه ملك يصلي عليه ويسبح وروى ابو ذر عن النبي صلى الله
عليه وسلم انه قال اطت السما وحق لها ان تئط والذي نفسي بيده ما فيها
موضع اربع اصابع الا وملك واضع جبهته لله ساجدا قيل الاطيط
اصوات الاقتاب وقيل اصوات الابل وحنينها ومعنى الحديث ما في السماء
من الملائكة قد اثقلها حتى اطت وهذا مثل وايذان بكثرة الملائكة
وان لم يكن ثم اطيط وقال السدي الا له مقام معلوم في القرب والمشا
هدة وانا لنحن الصافون اي اقدامنا في الصلاة وقال الكلبي صفوف الملائكة
في السما كصفوف الناس في الارض وانا لنحن المسبحون اي المنزهون الله
تعالى عما لا يليق به وقيل هذا من كلام النبي صلى الله عليه وسلم والمومنين والمعنى
وما منا الا له مقام معلوم في الجنة او بين يدي الله تعالى في القيام وانا
لنحن الصافون في الصلاة والمنزهون له من السوء ثم انه تعالى اعاد الكلام
الى الاخبار عن المشركين فقال وان كانوا اي كفار مكة وان مخففة من
الثقيلة ليقولون لو ان عندنا ذكرا اي كتابا من الاولين اي من كتب
الامم الماضين لكنا عباد الله المخلصين اي لاخلصنا العبادة له ولما كذبنا

اي بعض الملائكة ملك مم

ثم جاءهم الذكر الذي هو سيد الاذكار والمصيبة عليها وهو القرآن العظيم
فكفروا به فسوف يعلمون عاقبة هذا الكفر وهذا تهديد عظيم ولما هددهم
بذلك اردفه بما يقوي قلب النبي صلى الله عليه وسلم بقوله تعالى ولقد سبقت
كلمتنا اي بالنصر لعبادنا المرسلين وهو قوله تعالى لاغلبن انا ورسلي
وهي قوله تعالى انهم لهم المنصورون وان جندنا اي المؤمنين لهم الغا
لبون اي الكفار والنصرة والغلبة قد تكون بالحجة وقد تكون بالدولة والا
ستيلا وقد تكون بالدوام والثبات فالمؤمن وان صار مغلوبا في بعض
الاوقات بسبب ضعف احوال الدنيا فهو الغالب في الآخرة فالحكم في ذلك
للاغلب في الدنيا فلا ينافي ذلك قتل بعض الانبيا وهزم كثير من المؤمنين
وانما سمي ذلك كلمة وهي كلمات لانتظامها في معنى واحد فتول عنهم
اي اعرض عن كفار مكة واختلف في قوله تعالى حتى حين فقال ابن عباس
يعني الموت وقال مجاهد يوم بدر وقال السدي حتى يأمرك الله تعالى
بالقتال وقيل الى ان يأتيهم عذاب الله وقيل الى فتح مكة وقال مقاتل
ابن حيان نسختها آية القتال وابصرهم اي اذا نزل بهم العذاب من
القتل والاسر في الدنيا والعذاب في الآخرة فسوف يبصرون اي ما قضيت
عليك من التأييد والنصر والثواب في الآخرة وسوف للوعيد لا للتبعيد
ولما قيل لهم ذلك قالوا استهزاء متى نزول العذاب فقال تعالى تهديدا
لهم افبعذابنا يستعجلون اي ان ذلك الاستعجال جهل لان لكل
شيء من افعال الله تعالى وقتا معينا لا يتقدم ولا يتأخر فاذا نزل
اي العذاب بساحتهم قال مقاتل بحضرتهم وقيل بفنائهم قال الفرا
العرب تكتفي بذكر الساحة عن القوم شبه العذاب بجيش هجم فاناخ بفنا
ئهم بغتة فساء اي فبئس صباحا صباح المنذرين اي الكافرين
الذين انذروا بالعذاب وعن انس بن مالك ان رسول الله صلى الله عليه
وسلم حين خرج الى خيبر اتاها ليلا وكان اذا جاء قوما بليل لم يغز حتى يصبح
فلما اصبح خرجت يهود بمساحيها ومكاتلها فلما رأوه قالوا محمد والله

محمد

محمد والخميس فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم الله اكبر خربت خيبر انا اذا
نزلنا بساحة قوم فساء صباح المنذرين قالها ثلاث مرات وقوله تعالى
وتول عنهم حتى حين وابصر فسوف يبصرون فيه وجهان احدهما
ان في هذه الكلمة فيما تقدم احوال الدنيا وفي هذه الكلمة احوال يوم
القيامة وعلى هذا فالتكرير زائل والثاني انها مكررة للمبالغة في التهديد
والتهويل فان قيل ما الحكمة في قوله اولا وابصرهم وههنا قال وابصر بغير
ضمير اجيب بانه حذف مفعول ابصر الثاني اما اختصارا لدلالة الاول
عليه واما اقتصارا تفننا في البلاغة ثم انه تعالى ختم السورة بتنزيه
نفسه عن كل ما لا يليق بصفات الالهية فقال تعالى سبحان ربك رب
العزة اي الغلبة والقوة وفي قوله تعالى رب اشارة الى كمال الحكمة والرحمة
وفي قوله تعالى العزة اشارة الى كمال القدرة وانه القادر على جميع الحوادث
لان الالف واللام في قوله العزة تفيد الاستغراق واذا كان الكل ملكا له
سبحانه لم يبق لغيره شيء وثبت ان قوله سبحانه وتعالى سبحان ربك
رب العزة عما يصفون اي ان له ولدا كلمة محتوية على اقصى الدرجات
واكمل النهايات وقوله تعالى وسلام على المرسلين اي المبلغين
عن الله تعالى التوحيد والشرائع تعميم للرسل بعد تخصيص بعضهم والحمد
لله رب العالمين اي على هلاك الاعداء ونصرة الانبيا عليهم افضل
الصلاة والسلام وعلى ما افاض عليهم ومن تبعهم من النعمة وحسن
العاقبة ولذلك اخره عن التسليم والغرض من ذلك تعليم المؤمنين
ان يقولوا ذلك ولا يغفلوا عنه لما روى البغوي عن علي رضي الله تعالى عنه
انه قال من احب ان يكتال بالمكيال الاوفى من الاجر يوم القيامة فليكن اخر كلامه
من مجلسه سبحان ربك رب العزة عما يصفون وسلام على المرسلين والحمد
لله رب العالمين واما ما رواه البيضاوي عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرا
والصافات اعطي من الاجر عشر حسنات بعدد كل جني وشيطان وتباعدت
عنه مردة الشياطين وبرئ من الشرك وشهد له حافظاه يوم القيامة

انه كان صوتا بالمرسلين موضوع سورة ص مكية وهي ستة وثمانون وثمانون آية وسبعمائة واثنان وثمانون كلمة وثلاثة آلاف وتسعة وتسعون حرفا بسم الله المنزه عن كل شائبة نقص الرحمن الذي عم وجوده سائر مخلوقاته الرحيم بمن خلقه واختلف في تفسير قوله تعالى ص فقيل قسم وقيل هو اسم للسورة كما ذكرنا في سائر حروف التهجي في اوائل السور وقال محمد ابن كعب القرظي مفتاح اسمه الصمد وصادق الوعد وقال الضحاك معناه صدق الله وروي عن ابن عباس صدق محمد صلى الله عليه وسلم وقيل معناه ان القرآن مركب من هذه الحروف وانتم قادرون عليها ولستم قادرين على معارضته والقرآن اي الجامع مع البيان لكل خير ذي الذكر اي الموعظة والتذكير وقال ابن عباس ذي البيان وقال الضحاك ذي الشرف دليله قوله تعالى وانه لذكر لك ولقومك فان قيل هذا قسم فاين المقسم عليه اجيب بانه محذوف تقديره ما الامر كما قال كفار مكة من تعدد الالهة وقوله تعالى بل الذين كفروا اي من اهل مكة اضراب انتقال من قصة الى اخرى في عزة اي حمية وتكبر عن الايمان وشقاق اي خلاف وعداوة للنبي صلى الله عليه وسلم والتنكير في عزة وشقاق للدلالة على شدتهما وقيل جواب القسم قد تقدم وهو قوله تعالى ص اقسم الله تعالى بالقرآن ان محمدا الصادق وقال الفراء ص معناها وجب وحق فهو جواب قوله تعالى والقرآن كما تقول نزل والله وقال الاخفش قوله تعالى ان كل الا كذب الرسل وقال السدي ان ذلك لحق تخاصم اهل النار قال البغوي وهذا ضعيف لانه تخلل بين القسم وبين هذا الجواب اقاصيص واخبار كثيرة وقال مجاهد في عزة معازين كم اي كثير اهلكنا من قبلهم واكد كثرتهم بقوله تعالى من قرن اي امة من الامم الماضية كانوا في شقاق مثل شقاقهم تنبيه كم مفعول اهلكنا ومن قرن تمييز ومن قبلهم لابتداء الغاية فنادوا اي استغاثوا عند نزول العذاب وحلول النقمة وقيل نادوا بالايمان والتوبة ولات اي وليس الحين حين مناص اي منجا ولا فرار قال ابن عباس كان كفار مكة اذا قاتلوا فاضطروا في الحرب قال بعضهم لبعض مناص اي اهربوا وخذوا حذركم فلما نزل بهم العذاب ببدر قالوا مناص فانزل الله

تعالى

اي صلاة العصر حتى توارت اي الشمس بالحجاب اي استترت بما يحجبها عن الابصار ردوها علي اي المعروضة الخيل وقيل الضمير يرجع للشمس قال الرازي وهذا بعيد لوجوه الاول ان الصافنات مذكورة بالصريح والشمس غير مذكورة وعود الضمير الى المذكور اولى من عوده الى المقدر وثانيها انه لو اشتغل بالخيل حتى غربت الشمس وفاتته صلاة العصر كان ذلك ذنبا عظيما ومن كان هذا حاله فطريقه التضرع والبكاء والمبالغة في اظهار التوبة فتحت كل جهات الادب عقب ذلك الجرم العظيم الذي لا يصدر عن ابعد الناس عن الخير فكيف يجوز اسناده للرسول عليه السلام المطهر الكريم ثالثها ان الشمس لو رجعت بعد الغروب لصار ذلك مشاهدا لكل اهل الدنيا ولو كان ذلك لتوفرت الدواعي على نقله وحيث لم ينقل علمنا فساده انتهى قال اكثر المفسرين فلما ردت الخيل اليه اقبل يضرب سوقها واعناقها بالسيف اخذا من قوله تعالى فطفق مسحا اي فاخذ يمسح السيف مسحا بالسوق والاعناق اي سوقها واعناقها يقطعها من قولهم مسح علاوته اذا ضرب عنقه قالوا فعل ذلك تقربا الى الله تعالى وطلبا لمرضاته حيث اشتغل عن طاعته وكان ذلك مباحا له وان كان حراما علينا كما ابيح لنا ذبح بهيمة الانعام وبقي منها مائة فرس فما بقي في ايدي الناس اليوم من نسل تلك المائة قال الحسن فلما عقر الخيل ابدله الله تعالى خيرا منها واسرع وهي الريح تجري بامره كيف شاء قال الرازي وهذا عندي بعيد لوجوه الاول انه لو كان مسح السوق والاعناق قطعها لكان معنى فامسحوا برؤوسكم اي اقطعوها وهذا لا يقوله عاقل لو قيل مسح راسه بالسيف فربما فهم منه ضرب العنق اما اذا لم يذكر لفظة السيف لم يذكر منه البتة من المسح العقر والذبح الثاني ان القائلين بهذا القول اجمعوا على سليمان عليه السلام انواعا

فاما ان شعوب عني ... العظمة
... العامة مثل هذه
... الكلمة ... العادتين صح

من الافعال المذمومة فاولها ترك الصلاة وثانيها انه استولى
عليه الاشتغال بحب الدنيا حيث نسي الصلاة وقال صلى الله عليه وسلم حب
الدنيا راس كل خطيئة وثالثها انه بعد الاتيان بهذا الذنب العظيم لم
يشتغل بالتوبة والانابة البتة ورابعها انه خاطب رب العالمين
بقوله ردوها علي وهذه كلمة لا يقولها الرجل الحصيف الا مع الخادم
الخسيس وخامسها انه اتبع هذه المعاصي بعقر الخيل في سوقها و
اعناقها وقد نهى النبي صلى الله عليه وسلم عن ذبح الحيوان الا لماكوله
وهذه انواع من الكبائر ينسبونها الى سليمان عليه السلام مع ان
لفظ القران لم يدل على شي منها وخامسها ان هذه القصص انما
ذكرها الله تعالى عقيب قوله وقالوا ربنا عجل لنا قطنا قبل يوم
الحساب وان الكفار بلغوا بالغوا في السفاهة الى هذا الحد قال الله تعالى
لمحمد صلى الله عليه وسلم اصبر على ما يقولون واذكر عبدنا داوود ثم
ذكر عقيبه قصة سليمان فقال تعالى ووهبنا لداوود سليمان
الاية والتقدير انه تعالى قال لمحمد صلى الله عليه وسلم يا محمد اصبر على
ما يقولون واذكر عبدنا سليمان وهذا الكلام انما يليق اذا
قلنا ان سليمان عليه السلام اتى في هذه القصة بالاعمال الفاضلة والا
خلاق الحميدة وصبر على طاعة الله واعرض عن الشهوات واللذات فلو
كان المقصود من قصة سليمان عليه السلام في هذا الموضع انه اقدم على
الكبائر العظيمة والذنوب لم يكن ذكر هذه القصة لايقا قال والصواب
ان نقول ان رباط الخيل كان مندوبا اليه في دينهم كما هو في دين محمد
صلى الله عليه وسلم ثم ان سليمان عليه السلام احتاج الى الغزو فجلس وامر
باحضار الخيل وامر باجرائها وذكر اني لا اجريها لاجل الدنيا ونصيب
النفس وانما احبها لامر الله تعالى وطلب تقوية دينه وهو المراد
من قوله عن ذكر ربي ثم انه عليه السلام امر باجرائها وسيرها
حتى توارت بالحجاب اي غابت عن بصره ثم انه امر الرايضين ان يردوها

فردوا

فردوا تلك الخيل اليه فلما عادت اليه طفق يمسح سوقها واعناقها
والغرض من ذلك امور الاول تشريفا لها وابانة لعزتها لكونها من
اعظم الاعوان في دفع العدو والثاني انه اراد ان يظهر انه في ضبط السيا
والملك يتضع الى حيث يباشر اكثر الامور بنفسه الثالث انه كان اعلم
باحوال الخيل وامراضها وعيوبها فكان يمسها ويمسح لها سوقها واعنا
حتى يعلم هل فيها ما يدل على المرض فهذا التفسير هو الذي ينطبق
عليه لفظ القران ولا يلزم منه نسبة شي من القران الى سليمان
عليه السلام والعجب منهم كيف قبلوا هذه الوجوه السخيفة مع
ان العقل والنقل يردها وليس لهم في اثباتها شبهة فضلا عن
حجة قال فان قيل فالجمهور فسروا الاية بتلك الوجوه فالجواب
ان نقول لفظ الاية لا يدل على شي من تلك الوجوه التي يذكرونها
لما ذكرنا وايضا فان الدلايل الكثيرة قامت على عصمة الانبيا عليهم الصلاة
والسلام ولم يدل على صحة هذه الحكايات من اقوام لا يلتفت الى
اقوالهم والذي ذهبنا اليه قول الزهري وابن كيسان انتهى وقد
يجاب من جهة الجمهور ان ما نسبه اليهم ممنوع وبيان ذلك ان
قوله اذا لم يكن يذكر لفظ السيف لم يفهم منه البتة من المسح العقر
والذبح يقال القرينة كافية في ذلك وقوله انهم جمعوا انواعها
مذمومة اولها ترك الصلاة انما يكون ذلك مذموما اذا تركها
متعمدا ولم يكن ذلك بل نسيها وقد نام صلى الله عليه وسلم في الوادي
حتى طلعت الشمس وقضى الصبح والنسيان والنوم لا مواخذة
فيه وقوله ثانيها انه استولى عليه الاشتغال بحب الدنيا
انما اشتغل بذلك لامر الجهاد وهو مطلوب في حقه وقوله
ثالثها انه لم يشتغل بالتوبة يقال انه لم يات بذنب وقوله
رابعها انه خطاب لرب العالمين بقوله ردوها ممنوع والمخا
طب انما هو جماعته وقوله خامسها الى ان قال وقد نهى النبي صلى الله

عليه وسلم عن عقر الحيوان فقد مر عنهم ان ذلك كان مباحا له فليس فيما
قالوه نسبة سليمان عليه السلام الى معصية فلو قالوا الاولى ان
يقال كذا كان اولى وقرا قنبل بهمزة ساكنة بعد السين وقيل عنه
ايضا بضم الهمزة وواو بعدها واختلف في سبب الفتنة التي و
قعت لسليمان في قوله تعالى ما سمعنا بهذا اي الذي يقوله
محمد من التوحيد في الملة الآخرة قال ابن عباس يعنون في النصرا
نية لانها اخر الملل وهم لا يوحدون بل يقولون ثالث ثلاثة و
قال مجاهد يعنون ملة قريش دينهم الذي هم عليه ان اي ما هذا
اي الذي يقولوه الا اختلاق افتعال وكذب اانزل عليه اي محمد صلى
الله عليه وسلم الذكر اي القرآن ولقد فتنا سليمان والقينا اي بما
لنا من العظمة على كرسيه جسدا ثم اناب فقال محمد ابن اسحاق
عن وهب ابن منبه قال سمع سليمان بمدينة في جزيرة من جزائر
البحر وكان الله تعالى قد اتى سليمان في ملكه سلطانا لا يمتنع عليه
شيء في بر ولا بحر انما يركب اليه الريح فخرج الى تلك المدينة تحمله
الريح على ظهر الماء حتى نزل بها بجنوده من الجن والانس فاخذها
وقتل ملكها وسبا ما فيها واصاب فيما اصاب بنتا لذلك الملك
يقال لها جرادة لم ير مثلها حسنا وجمالا فاصطفاها لنفسه ودعا
ها الى الاسلام فاسلمت على جفاء منها وقلة فقه واحبها
حبا لم يحبه شيئا من نسائه وكانت على منزلتها عنده لا يذهب
حزنها ولا يرقا دمعها فشق ذلك على سليمان فقال لها ويحك
ما هذا الحزن فقالت له ان ابي اذكره واذكر ملكه وما كان فيه
وما اصابه فيحزنني ذلك فقال لها سليمان فقد ابدلك الله ملكا هو
اعظم من ملكه وسلطانا هو اعظم من سلطانه وهداك الى
الاسلام وهو خير من ذلك كله قالت ان ذلك كذلك ولكني اذا
ذكرته اصابني ما ترى من الحزن فلو انك امرت الشياطين فصوروا

صورته

صورته في داري اراها بكرة وعشيا لرجوت ان يذهب ذلك حزني
فامر سليمان الشياطين فمثلوا لها صورة ابيها فعمدت اليه حين
صنعوه والبسته ثيابا مثل ثيابه التي كان يلبسها ثم كانت اذا خرج
سليمان تذهب اليه ولائدها فتسجد له ويسجدن معها له تبعا
لها كما كانت تصنع في ملكه وسليمان لا يعلم بشيء من ذلك اربعين
صباحا وبلغ ذلك اصف ابن برخيا وكان صديقا لسليمان و
كان لا يرد عن ابواب سليمان اي ساعة اراد دخول شيء من بيوت
سليمان حاضرا كان سليمان او غائبا فقال يا نبي الله كبر سني
ورق عظمي ونفذ عمري وقد حان مني الذهاب وقد احببت ان
اقوم مقاما قبل الموت اذكر فيه من مضى من الانبيا عليهم السلام و
اثني عليهم بعلمي فيهم واعلم الناس ببعض ما كانوا يجهلون
من كثير امرهم فقال افعل فجمع سليمان الناس فقام فيهم خطيبا
فذكر من مضى من الانبيا انبياء الله تبارك وتعالى واثنى على كل
نبي بما فضل الله به حتى انتهى الى سليمان فقال ما كان احلمك
احلمك في صغرك ثم انصرف فوجد سليمان في نفسه من ذلك
حتى امتلأ غضبا فلما دخل داره دعاه فقال يا اصف ذكرت من مضى
من انبياء الله تعالى فاثنيت عليهم خيرا في كل زمانهم وكل حال
امرهم فلما ذكرتني جعلت تثني علي خيرا في صغري وسكت عما سوى
ذلك من امري فما الذي احدثت في اخر عمري فقال ان اصف
غير الله تعالى يعبد في دارك فقال سليمان انا لله وانا اليه را — جعون
لقد عرفت انك ما قلت الذي قلت الا عن شيء بلغك ثم رجع
سليمان الى داره فكسر الصورة وعاقب تلك المراة وولائدها
وخرج وحده الى فلاة ففرش الرماد وجلس عليه تائبا الى الله تعا — لى
وكانت له ام ولد يقال لها الامينة اذا دخل للطهارة ولاصابة
امراة وضع خاتمه عندها وكان ملكه فيه فوضعه عندها يوما فا — تاها

الشيطان صاحب البحر واسمه صخر على صورة سليمان وقال لها يا امينة
خاتمي فناولته الخاتم وتختم به وجلس على كرسي سليمان فعكفت
عليه الطير والجن والانس وتغيرت صفته سليمان فاتى الامينة يطلب
الخاتم فانكرته فعرف ان الخطيئة قد ادركته فكان يدور على البيوت
يتكفف واذا قال انا سليمان حثوا عليه التراب وسبوه واخذ
ينقل السمك للسماكين فيعطونه كل يوم سمكتين فاذا امسى
باع احدهما بارغفة وشوى الاخرى فاكلها فمكث كذلك اربعين
صباحا مدة ما كان عبد الوثن في داره فانكر آصف وعظماء بني
اسرائيل حكم الشيطان وسال آصف نساء سليمان فقلن ما يدع
امراة في دمها ولا يغتسل من جنابة فقال آصف انا لله وانا اليه
راجعون ان هذا لهو البلاء المبين ثم خرج على بني اسرائيل فقال
ما في الخاصة اعظم مما في العامة فلما مضى اربعون صباحا طار
الشيطان وقذف الخاتم في البحر فابتلعته سمكة فاخذها بعض
الصيادين وقد عمل له سليمان بسمكتيه فاعطى السمكة التي اخذت
الخاتم وخرج سليمان بسمكتيه فباع السمكة التي ليس
في بطنها الخاتم بالارغفة ثم عمد الى السمكة الاخرى فبقرها
ليشويها فاستقبله الخاتم في جوفها فاخذه فجعله في يده وو
قع ساجدا وعكفت عليه الطير والجن والانس ورجع الى ملكه
فاخذ ذلك الشيطان وحبسه في صخرة والقاه في البحر هذا
تلخيص حديث وهب وقال الحسن ما كان الله ليسلط الشيطان
على نسائه وقال السدي كان سبب فتنة سليمان انه كانت له ما
ئة امراة وكانت امراة منهن يقال لها جرادة وهي آثر نسائه
وآمنهن عنده وكان يأتمنها على الخاتم اذا اتى حاجته فقالت له
يوما ان اخي بينه وبين فلان خصومة فاحب ان تقضي له فقال
نعم ولم يفعل فابتلي بقوله نعم وذكر نحو ما تقدم وفي بعض الروايات

ان سليمان

ان سليمان لما افتتن سقط الخاتم من يده وكان فيه ملكه فا
عاده سليمان الى يده فسقط فايقن سليمان بالفتنة فاتاه آصف
فقال لسليمان انك مفتون بذنبك والخاتم لا يتماسك في يدك
ففر الى الله تعالى تائبا فاني اقوم مقامك واسير بسيرتك
الى ان يتوب الله تعالى عليك ففر سليمان الى الله تعالى واعطى
آصف الخاتم فوضعه في يده فثبت فاقام آصف في ملك سليمان
بسيرته اربعة عشر يوما الى ان رد الله تعالى على سليمان ملكه
وتاب عليه ورجع الى ملكه وجلس على سريره واعاد الخاتم في يده
فهو الجسد الذي القي على كرسيه وروي عن سعيد ابن المسيب انه
قال احتجب سليمان عن الناس ثلاثة ايام فاوحى الله تعالى
اليه احتجبت عن الناس ثلاثة ايام فلم تنظر في امور عبادي
فابتلاه الله عز وجل وذكر نحو ما تقدم من حديث الخاتم واخذ الشيطان
اياه قال الرازي واستبعد اهل التحقيق هذا الكلام من وجوه
الاول ان الشيطان لو قدر على ان يتشبه في الصورة والخلقة
بالانبياء فحينئذ لا يبقى اعتماد على شيء من ذلك فلعل هؤلاء
الذين راهم الناس على صورة محمد وعيسى وموسى عليهم السلام ما
كانوا اولئك بل كانوا شياطين تشبهوا بهم في الصورة لاجل الا
غواء والاضلال وذلك يبطل الدين بالكلية الثاني ان الشيطان
لو قدر ان يعامل نبي الله تعالى سليمان بمثل هذه المعاملة
لوجب ان يقدر على مثلها مع جميع العلماء والزهاد وحينئذ يجب
ان يقتلهم ويمزق تصانيفهم ويخرب ديارهم ولما بطل ذلك
في حق آحاد العلماء فلان يبطل في حق اكابر الانبياء اولى الثالث
كيف يليق بحكمة الله تعالى واحسانه ان يسلط الشيطان
على ازواج سليمان ولا شك انه قبيح اي على غير ابي الحسن
كما مر الرابع لو قلنا ان سليمان اذن لتلك المراة في عبادتها تلك

الصورة فهذا اكثر منه واذ لم ياذن فيه البتة فالذنب على تلك المراة فكيف
يواخذ الله تعالى سليمان بفعل لم يصدر منه اي وقد كان يقال انما اوخذ
بذلك لكونه كان سببًا في عملها قال فاما اهل التحقيق فقد ذكروا وجوها
الاول ان فتنة سليمان انه ولد له ابن فقالت الشياطين ان عاش صار
مسلطا علينا مثل ابيه فسبيلنا ان نقتله فعلم سليمان ذلك فكان
يربيه في السحاب فبينما هو يشتغل بمهماته اذ القي ذلك الولد
ميتا على كرسيه فتنبه على خطيئته في انه لم يتق ولم يتوكل على الله
تعالى فاستغفر ربه وتاب الثاني روي عن النبي صلى الله تعالى عليه
وسلم انه قال قال سليمان لاطوفن الليلة على سبعين امراة كل امراة
تاتي بفارس يجاهد في سبيل الله ولم يقل ان شاء الله تعالى فطاف عليهن
فلم تحمل الا امراة واحدة جات بشق رجل والذي نفسي بيده لو قال
ان شاء الله تعالى لجاهدوا في سبيل الله فرسانا اجمعين فذلك قوله
تعالى ولقد فتنا سليمان والقينا على كرسيه جسدا وذلك لشدة
المرض والعرب تقول في الضعيف انه لحم على وضم وجسم بلا روح ثم اناب
اي رجع الى حال الصحة اي وهذا اظهر ما قيل كما قاله البيضاوي
الثالث لا يبعد ايضا ان يقال انه ابتلاه الله تعالى بتسليط وقوع
خوف او وقوع بلا توقعه من بعض الجهاد حتى صار بقوة ذلك
الخوف كالجسد الضعيف الخفي على ذلك الكرسي ثم ان الله تعالى ازال
عنه ذلك الخوف واعاده الى ما كان عليه من القوة وطيب القلب
فاللفظ محتمل لهذه الوجوه ولا حاجة الى حمله على تلك الوجوه
الركيكة فان قيل لولا تقدم الذنب لما قال رب اغفر لي اجيب بان
الانسان لا ينفك عن ترك الافضل وحينئذ يحتاج الى طلب المغفرة
لان حسنات الابرار سيات المقربين ولانه ابدا في مقام هضم
النفس واظهار الندم والخضوع كما قال صلى الله عليه وسلم اني لا
استغفر الله تعالى في اليوم والليلة سبعين مرة مع انه صلى الله

عليه

عليه وسلم غفر له ما تقدم من ذنبه وما تاخر فلا يبعد ان يكون المراد
من هذه الكلمة هذا المعنى واختلف في قول سليمان وهب لي ملكا
لا ينبغي لاحد من بعدي اي سواي نحو فمن يهديه من بعد الله
اي سوى الله فقال عطا ابن رباح يريد هب لي ملكا لا تسلبنيه في باقي
عمري انك انت الوهاب وقال مقاتل بان الشيطان استولى على
مملكته هو ايعطيه الله ملكا لا يقدر الشيطان على ان يقوم فيه مقا
البتة وقال من انكر ان الشيطان لم يستول على ذلك على ذلك
محتمل الوجوه الاول بان الملك هو القدرة فكان المراد اقدرني على
اشيا لا يقدر عليها غيري البتة ليصير اقتداري عليها معجزة تدل
على صحة نبوتي ورسالتي ويدل على صحة هذا القول قوله تعالى
فسخرنا اي بما لنا من العظمة له الريح تجري بامره رخاء اي حال
كونها لينة غاية اللين منقادة يدرك بها ما لا تدرك الخيل عند
شهر ورواحها شهر حيث اصاب اي اراد فكون الريح جارية بامر
قدرة عجيبة وملك عجيب دال على صحة نبوته لا يقدر احد على معار
و قد جعل الله تعالى لسيدنا محمد صلى الله عليه وسلم اعظم من ذلك وهي
ان العدو يرعب منه الى مسيرة شهر من جوانبه الاربعة فهي
اربعة اشهر الثاني انه صلى الله عليه وسلم لما مرض ثم عاد الى الصحة
عرف ان خيرات الدنيا صايرة الى الغير ان فسال ربه ملكا لا
ينتقل مني الى غيري الثالث ان الاحتراز عن طيبات الدنيا
مع القدرة عليها اشق من الاحتراز عنها حال عدم القدرة
فكانه قال يا الهي اعطني مملكة فايقة على ممالك البشر بالكلية
حتى احترز عنها مع القدرة عليها ليصير ثوابي اكمل وافضل الرا
سادس ذلك ليكون علما على قبول توبته حيث اجاب الله دعاه
ورد عليه ملكه وزاده فيه وعن ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم
قال ان عفريتا من الجن تاتي الليلة ليقطع على صلاتي فامكنني الله

مه
بان حم
له
وها
ه
منته
بع

فالخذته فاردت ان اربطه على سارية من سواري المسجد حتى تنظروا
اليه فذكرت دعوة اخي سليمان وهب لي ملكا لا ينبغي لاحد من بعدي
فرددته خاسيا فعلم من هذه الاوجه انه ليس في كلام سليمان
عليه السلام ما يشبه الحسد وهو طلب ما لا ينبغي لاحد غيره واجاب
الزمخشري باجوبة غير ذلك منها ان سليمان كان ناشيا في بيت
الملك والنبوة ووارثا لهما فاراد ان يطلب من ربه معجزة فطلب على
حسب الفه ملكا زايدا على الممالك زيادة للعادة بالغة حد الاعجاز
ليكون ذلك دليلا على نبوته قاهرا للمبعوث اليهم ثم قال وعن الحجاج
انه قيل له انك حسود فقال احسد مني من قال وهب لي ملكا لا ينبغي
لاحد من بعدي قال وهذا من جراته على الله تعالى وشيطنته كما حكي
عنه طاعتنا اوجب من طاعة الله لانه شرط في طاعته فقال فاتقوا
الله ما استطعتم واطلق في طاعتنا فقال واولي الامر منكم
فان قيل قوله تعالى رخاء منافية قوله تعالى في اية اخرى ولسليمان
الريح عاصفة اجيب عن ذلك بوجهين الاول بان المراد ان تلك
الريح كانت في قوة الرياح العاصفة الا انها لما امرت بامره كانت
لذيذة طيبة وكانت رخاء الثاني ان تلك الريح كانت لينة
مرة وعاصفة اخرى فلا منافاة بين الايتين تنبيه قوله
تعالى حيث ظرف لتجري او لسخرنا فايدة روي ان رجلين جرحا
يقصدان رؤيته يستاذنه عن صفتي اصلي فقال لهما امن تيبكما
فوقا وقالا هذا بغيتنا وقوله تعالى والشياطين عطف
على الريح وقوله تعالى كل بناء بدل من الشياطين كانوا يبنون
له ما شاء من الابنية روي ان سليمان عليه السلام امر
الجان فبنت له اصطخر وكان فيها قرار مملكة الترك قديما
وبنت له الجان ايضا تدمر وبيت المقدس وباب جيرون
وباب البريد اللذين بدمشق على احد الاقوال وبنوا له ثلاث

قصور

قصور باليمن غمدان وسالحين وبينون ومدينة صنعاء وقوله
تعالى وغواص عطف على بناء اي يغوصون له في البحر فيستخرجون
اللؤلؤ وهو اول من استخرج اللؤلؤ من البحر وقوله تعالى واخرين
مقرنين اي مشدودين في الاصفاد اي القيود يجمع ايديهم الى اعناقهم
عطف على كل فهو داخل في حكم البدل فكانه فصل الشياطين الى عمله
استعملهم في الاعمال الشاقة كالبناء والغوص ومردة قرن بعضهم مع
بعض في السلاسل ليكفوا عن الشر فان قيل اجسامهم اما ان تكون
كثيفة او لطيفة فان كانت كثيفة وجب ان يراها صحيح الحاسة
وان كانت لطيفة فلا تقوى على العمل ولا يمكن تقييدها اجيب بان
اجسامهم شفافة صلبة فلا ترى وتقوى على العمل ويمكن تقييدها
او ان المراد تمثيل كفهم عن الشرور بالاقتران في الصفد وهو القيد
ويسمى به العطاء لانه يربط المنعم عليه وفرقوا بين فعل الصفد بمعنى
القيد وفعله بمعنى العطاء فقالوا صفده قيده واصفده اعطاه
عكس وعد واوعد في الخير والشر وفي ذلك نكتة وهي ان القيد
ضيق فناسبه تقليل حروف فعله والعطاء واسع فناسبه تكثير
حروف فعله والوعد خير وهو خفيف فناسبه تقليل حروفه ولا
يعاد شر ثقيل فناسبه تكثير حروفه هذا اي وقلنا هذا الامر الكبير
عطاؤنا اي على ما لنا من العظمة فامنن او امسك قال ابن عباس
اعط من شئت قال المفسرون لا حرج عليك فيما اعطيت وفيما
امسكت قال الحسن ما انعم الله تعالى على احد نعمة الا عليه تبعة
الا سليمان فانه ان اعطى اجر وان لم يعط لم يكن عليه تبعة و
قال مقاتل هذا في امر الشياطين يعني خل من شئت منهم وامسك
من شئت في وثاقك لا تبعة عليك فيما تتعاطاه وقوله تعالى
بغير حساب فيه ثلاثة اوجه احدها انه متعلق بعطاؤنا
اي اعطيناك بغير حساب ولا تقدير وهو دال على كثرة الاعطاء

ثالثها انه حال من اعطيناه اي في حال كونه غير محاسب عليه لانه
جم كثير يعسر على الحاسب ضبطه ثالثها انه متعلق بامنن او امسك
ويجوز ان يكون حالا من فاعلهما اي غير محاسب عليه ولما ذكر تعالى
ما انعم الله عليه به في الدنيا اتبعه بما انعم عليه به في الاخرة
بقوله سبحانه وتعالى وان له عندنا في الاخرة مع ما له من
الملك العظيم في الدنيا لزلفى اي قربى عظيمة وحسن مآب
وهو الجنة القصة الثالثة قصة ايوب عليه السلام المذكورة في
قوله تعالى واذكر عبدنا اي الذي هو اهل الاضافة الى جنابنا
وبيدنا منه ايوب وهو ابن الروم ابن عيص ابن اسحاق
وامراته ليا بنت يعقوب وقوله تعالى اذ نادى ربه بدل من عبد
نا بدل اشتمال وايوب عطف بيان له وقوله اني اي بانى مسني
الشيطان اي المحترق باللعنة البعيد من الرحمة بنصب اي بمشقة
وضر وعذاب اي الم جي به على حكاية كلامه الذي نادى بسببه ولو
لم يحكه لقيل انه مسه لانه غايب وقال قتادة رضي الله تعالى عنه
النصب في الجسد والعذاب في المال واختلف العلما في هذه الالام
والاسقام الحاصلة في جسده على قولين احدهما انها حصلت
بفعل الشيطان والثاني انها حصلت بفعل الله تعالى والعذاب
المضاف في هذه الاية الى الشيطان هو عذاب الوسوسة والقاء
الخواطر الفاسدة اما تقرير القول الاول فهو ما روي ان ابليس
لعنه الله سال ربه فقال هل في عبيدك من لو سلطتني عليه يمتنع
مني فقال الله تعالى نعم عبدي ايوب فجعل ياتيه بوساوسه وهو
يرى ابليس ولا يلتفت اليه فقال رب انه قد امتنع علي فسلطني
على ماله فكان الشيطان يجيبه ويقول له يا ايوب هلك من مالك
كذا وكذا فيقول الله اعطى والله اخذ ثم يحمد الله تعالى فقال يا رب
ان ايوب لا يبالي بماله فسلطني على جسده فاذن له فيه فنفخ في

جلد

جلد ايوب فحدث اسقام عليه والالام الشديد فمكث في ذلك البلا
سنين حتى استقذره اهل بلده فخرج الى الصحرا وما كان يقرب
منه احد فجا الشيطان الى امراته وقال ان زوجك ان استغاث بي
خلصته من هذا البلا فذكرت المراة ذلك لزوجها فحلف بالله لين عافاه
الله تعالى ليجلدنها مائة جلدة وعند هذه الواقعة قال اني مسني
الشيطان بنصب وعذاب فاجاب الله تعالى دعاءه واوحى اليه ان ار
كض برجلك الى اخر الاية واما تقرير القول الثاني فان الشيطان لا قدرة
له البتة على ايقاع الناس في الامراض والاسقام ويدل عليه وجوه
الاول انا لو جوزنا حصول الموت والحياة والصحة والمرض من الشيطان
فلعل الواحد منا انما وجد الحياة بفعل الشيطان ولعل ما عندنا
من الخيرات والسعادات قد حصل بفعله وحينئذ لا سبيل الى معرفة
ان معطي الحياة والموت والصحة والسقم هو الله تعالى ام الشيطان
ثانيها ان الشيطان لو قدر على ذلك فلم لا يسعى في قتل الانبيا
والاوليا ولم لا يخرب دورهم ولم لا يقتل اولادهم ثالثها ان الله
تعالى حكى عن الشيطان انه قال وما كان لي عليكم من سلطان الا
ان دعوتكم فاستجبتم لي فصرح بانه لا قدرة له في حق البشر الا
على القاء الوساوس والخواطر الفاسدة فدل ذلك على فساد القول
بان الشيطان هو الذي القاه في تلك الامراض فان قيل لم لا يجوز
ان يقال ان الفاعل لهذه الاحوال هو الله تعالى لكن على وفق التماس
الشيطان اجيب بانه اذا كان لا بد من الاعتراف بان خالق تلك
الالام والاسقام هو الله تعالى فاي فايدة في جعل الشيطان واسطة
في ذلك بل الحق ان المراد بقوله اني مسني الشيطان بنصب وعذاب
انه بسبب القاء الوساوس الفاسدة كان يلقيه في انواع العذاب
والقايلون بهذا القول اختلفوا في تلك الوساوس كيف كانت وذكروا
اوجها اولها ان علته كانت شديدة الالم ثم طالت تلك العلة و

استقذره

الناس ونفروا عن مجاورته ولم يبق له مال البتة وامراته كانت تخدم الناس
وتحصل قدر القوت ثم بلغت نفرة الناس عنه الى ان منعوا امراته من الدخول
عليهم ومن خدمتهم والشيطان كان يذكره النعمة التي كانت عليه والآفات
التي حصلت له وكان يحتال في دفع تلك الوساوس فلما قويت تلك الو
ساوس في قلبه خاف وتضرع الى الله تعالى وقال مسني الشيطان بنصب و
عذاب لانه كلما كثرت تلك الخواطر كان تالم قلبه منها اشد ثانيها
انه لما طالت مدة المرض جاء الشيطان فكان يقنطه مدة ويزلزله ان
يجزع فخاف من خاطر القنوط في قلبه فتضرع الى الله تعالى وقال اني مسني
الشيطان بنصب وعذاب ثالثها قيل ان امراته كانت تخدم الناس
وتاخذ منهم قدر القوت وتجيء به الى ايوب فاتفق لها انهم لما استخد
موها طلب بعض النساء منها قطع احدى ذوائبها على ان تعطيها قدر
القوت ففعلت ثم في اليوم الثاني فعلت مثل ذلك فلم يبق لها ذ
وابة وكان ايوب عليه السلام اذا اراد ان يتحرك على فراشه تعلق بتلك
الذوابة فلما لم يجد الذوابة وقعت الخواطر الردية في قلبه فعند
ذلك قال مسني الشيطان بنصب وعذاب رابعها روي انه عليه السلام
قال في بعض الايام يا رب لقد علمت اني ما اجتمع علي امران الا اثرت
طاعتك ولما اعطيتني المال كنت للارامل قيما ولابن السبيل معينا و
لليتامى ابا فنودي يا ايوب ممن كان ذلك التوفيق فاخذ ايوب التراب فو
ضعه على راسه وقال منك يا رب ثم خاف من الخواطر الاولى فقال مسني
الشيطان بنصب وعذاب وذكروا اقوال لا اخر في سبب بلائه ان رجلا
استغاث على ظالم فلم يغثه وقيل كانت مواشيه في ناحية ملك كافر فدا
هنه ولم يغزه وقيل اعجب بكثرة ماله واعلم ان داود وسليمان
عليهما السلام كان ممن اخصه الله بانواع البلاء والمقصود من جميع هذه
القصص الاخبار كان الله تعالى قال يا محمد اصبر على سفاهة قومك
فانه ما كان في الدنيا اكثر من الانبياء نعمة ومالا وجاها من داود

وسليمان

وسليمان وما كان فيهم اكثر بلاء ومحنة من ايوب فتامل في احوال هؤ
لتعرف ان احوال الدنيا لا تنتظم لاحد وان العاقل لا بد له من الصبر على المكا
ولما استشكى ايوب عليه السلام الشيطان وسال ربه يزيل عنه تلك
البلية اجاب الله تعالى له بان قال له اركض اي اضرب برجلك اي الارض
فضرب فنبعت عين ماء فقيل له هذا مغتسل بارد اي ما تغتسل منه
فيبرا ظاهرك وشراب اي وتشرب منه فيبرا باطنك وظاهر اللفظ يدل
على انه نبعت له عين واحدة من الماء فاغتسل منه وشرب منه واكثر
المفسرين قالوا نبعت له عينان فاغتسل من احداهما وشرب من الاخرى
فذهب الداء من ظاهره ومن باطنه باذن الله تعالى وقيل ضرب برجله
اليمين فنبعت عين حارة فاغتسل منها ثم باليسرى فنبعت عين ماء
فشرب منها وقيل ضرب الارض فنبعت له عين ماء فذهب كل داء كان بظاهره
ثم مشى اربعين خطوة فركض برجله الارض مرة اخرى فنبعت عين ماء
عذب فشرب منه فذهب كل داء كان في باطنه ووهبنا بما لنا من العظمة
له اهله اي بان جمعناهم عليه بعد تفرقهم واحييناهم بعد موتهم وقيل
وهبنا له اهله مثلهم والاول هو ظاهر الاية فلا يجوز العدول عنه من
غير ضرورة ومثلهم معهم حتى كان له ضعف ما كان وقوله تعالى رحمة اي
نعمة منا مفعول لاجله اي وهبناهم له لاجل رحمتنا اياه وذكرى
اي وتذكيرا بحاله لاولي الالباب اي اصحاب العقول فيعلمون ان من
صبر ظفر وان رحمة الله تعالى واسعة وهو عند القلوب المنكسرة فما بينه
وبين الاجابة الاحسن الانابة فمن دام اقباله عليه اغناه عن غيره
لكل شيء اذا فارقته عوض وما عن الله ان فارقت من عوض
وهذا تسلية لنبيه صلى الله عليه وسلم كما مر وقوله تعالى وخذ بيدك
ضغثا معطوف على اركض والضغث الحزمة الصغيرة من الحشيش
والقضبان فيها مائة عود كشمراخ النخلة وقيل الحزمة الكبيرة من
القضبان قوله سبحانه وتعالى واضرب به ولا تحنث بدل

تقدم

بيبن منه واختلفوا في سبب حلفه عليها وبعيد ما قيل انها رغبته في طاعة
الشيطان وبعيد ايضا ما روي ان زوجته انها قطعة ذوابتيها لان ه
المضطر يباح له ذلك على الاقرب اصح ما روي ان زوجته ليا بنت يعقوب
وقيل رحمة بنت افرايثيم ابن يوسف عليه السلام ذهبت لحاجة فابطأ
عليه فحلف في مرضه ليضربنها مائة اذا برئ ولما كانت حسنة الخدمة
جعل الله تعالى يمينه باهون شي عليه وعليها وهذه الرخصة باقية
في الحدود لما روي انه صلى الله عليه وسلم اتي برجل ضعيف فذ زنا بامة فقال
صلى الله عليه وسلم خذوا مائة شمراخ واضربوه بها ضربة واحدة
انا وجدناه صابرا اي فيما اصابه في النفس والاهل والمال فان قيل
كيف وجده صابرا وقد شكي اليه اجيب باوجه احدها ان شكواه الى الله
تعالى كتمني العافية فلا يسمى جزعا ولهذا قال يعقوب عليه السلام انما
اشكو بثي وحزني الى الله وكذلك شكوى العليل وذلك ان صبر الناس على
البلا لا يخلو من تمني العافية وطلبها فاذا صح ان يسمى صابرا مع تمني
العافية فليس صابرا مع اللجا الى الله تعالى والدعاء بكشف ما به من
مع التعالج ومشاورة الاطبا ثانيها ان الالام حين كانت على الجسد
لم يذكر شيئا فلما عظمت الوساوس على القلب تضرع الى الله تعالى ثالثها ان
الشيطان عدو والشكاية من العدو الى الحبيب لا تقدح في الصبر ويروى
انه قال في مناجاته الهي قد علمت انه لم يخالف لساني قلبي ولم يتبع
قلبي بصري ولم اكل الا ومعي يتيم ولم ابت شبعانا ولا كاسيا ومعي جائع
او عريانا فكشف الله تعالى عنه ثم استانف قوله تعالى نعم العبد اي
ايوب ثم علل بقوله تعالى موكدا لبلا بظن ان بلاه قادح في ذلك
انه اواب اي رجاع الى الله تعالى ويروى انه لما نزل قوله تعالى نعم العبد
في حق سليمان تارة وفي حق ايوب اخرى عظم في قلوب امة محمد
صلى الله عليه وسلم وقالوا ان قوله تعالى نعم العبد تشريف عظيم فا
ن احتجنا الى تحمل بلا مثل ابتلا ايوب لم نقدر عليه فكيف السبيل
الى

49

الى تحصيله فانزل الله تعالى قوله سبحانه وتعالى نعم المولى ونعم
النصير والمراد انك ايها الانسان ان لم تكن نعم العبد فانا نعم المولى
فان كان منك غير الفضل فمني الفضل وان كان منك التقصير
فمني الرحمة والتيسير القصة الرابعة قصة ابراهيم واسحاق
ويعقوب المذكورة في قوله تعالى واذكر عبادنا ابراهيم واسحاق
ابني ابراهيم ويعقوب ابن اسحاق اولي الايدي اي اصحاب القوة
في العبادة وقال ابن عباس اولي القوة في طاعة الله تعالى والابصار
في المعرفة بالله اي البصائر في الدين او اولي الاعمال الجليلة و
العقائد الشرعية فعبر بالايدي عن الاعمال لان اكثرها بما شرتها
وبالابصار عن المعارف لانها اقوى مبادئها وفيه تعريض بكل
من لم يكن من عمال الله تعالى ولا من المستبصرين في دين الله وتو
بيخ على تركهم المجاهدة والتامل مع كونهم متمكنين منهما
فهم في حكم الزمنا الذين لا يقدرون على اعمال جوارحهم و
الناقصي العقول الذين لا استبصار لهم وقال قتادة ومجاهد
اعطوا قوة في العبادة وبصرا في الدين وقرا ابن كثير بفتح
العين وسكون الباء الموحدة ولا الف بعدها على التوحيد
على انه ابراهيم وحده لمزيد شرفه وابراهيم عطف بيان واسحاق
ويعقوب عطف على عبدنا والباقون بكسر العين وفتح الموحدة
والف بعدها على الجمع انا اخلصناهم بخالصة اي اصطفيناهم و
جعلناهم لنا خالصين بخصلة خالصة لا شوب فيها وهي ذكرى
الدار الاخرة اي ذكرها والعمل لها لان مطمح نظرهم الفوز بلقائه
وذلك في الاخرة واطلاق الدار للاشعار بانها الدار الحقيقية
والدنيا معبر وقرا نافع وهشام خالصة بغير تنوين بالاضافة
للبيان او ان خالصة مصدر بمعنى الخلوص فاضيف الى فاعله و
الباقون بالتنوين من غير اضافة فمعناه اخلصناهم بذكرى الدار الاخرة

وان يعلموا انها والذكرى يعني الذكر قال مالك ابن دينار نزعنا من
قلوبهم حب الدنيا وذكرها واخلصناهم بحب الاخرة وذكرها وقال قتادة
كانوا يدعون الى الاخرة والى الله عز وجل وقال السدي اخلصوا الخوف الا
خرة وقال ابن زيد اخلصناهم بافضل ما في الاخرة ومن قرا بالتنو
ين فمعناه بخلة خالصة هي ذكرى الدار فيكون ذكرى الدار بدلا
من الخالصة او جعلناهم مخلصين بما اخبرنا من ذكرى الاخرة والمراد
بالدار الذكر الجميل الرفيع لهم في الاخرة وقيل انه ابقى لهم الذكر الجميل
في الدنيا وقيل هو دعاوه واجعل لي لسان صدق في الاخرين وانهم
عندنا لمن المصطفين اي اصطفا لا يقدح فيه قادح فصاروا في غاية
الرسوخ في هذا الوصف الاخيار اي المختارين من ابنا جنسهم والا
خيار جمع خير بالتشديد او خير بالتخفيف كاموات في جمع ميت او ميت
واحتج العلما بهذه الاية على اثبات عصمة الانبيا عليهم السلام
لانه تعالى حكم عليهم بكونهم اخيارا على الاخلاق وهذا يفيد
حصول الخيرية في جميع الافعال والصفات تدليل صحة الاستثنا
منه القصة الخامسة قصة اسماعيل واليسع وذا الكفل عليهم السلام
المذكورة في قوله تعالى واذكر يا اشرف الخلق اسماعيل اي اباك
وما صبر عليه من البلا بالغربة والانفراد والوحدة والاشراف
على الموت في الله غير مرة وما صار اليه بعد ذلك البلا من الفرج
والرياسة والذكر الحسن في هذه البلدة واليسع وهو ابن اخطوب
استخلفه الياس على بني اسرائيل ثم استنبي واللام كما قوله
رايت الوليد ابن اليزيد مباركا وقرا حمزة والكسائي بتشديد
اللام وسكون اليا بعدها والباقون بسكون اللام وفتح اليا بعدها
وذا الكفل وهو ابن عم اليسع او بشر ابن ايوب واختلف في نبوته و
لقبه فقيل فر اليه ماية نبي من بني اسرائيل من القتل فاواهم وكفلهم
وقيل كفل بعمل رجل صالح كان يصلي كل يوم ماية صلاة وكل اي وكلهم

من

من الاخيار من الاخيار فهم قوم اخرون من الانبيا تحملوا الشدايد
في دين الله تعالى وصبروا فاذكرهم يا افضل الخلق بفضلهم وصبر
لتسلك طريقتهم ولما اخرى تعالى ذكر الانبيا واتمه قال موكدا
لشانهم وشرف ما ذكر من اعمالهم هذا اي ما تلوناه عليك من
ذكرهم وذكر غيرهم ذكر اي شرف في الدنيا وموعظة من ذكر
القران ذي الذكر ثم عطف على قوله تعالى ان الذين يضلون عن
سبيل الله لهم عذاب شديد ما لاضدادهم فقال تعالى ردا على من
ينكر ذلك من كفار العرب وغيرهم وان للمتقين لحسن مآب اي
مرجع ولما شوق سبحانه الى هذا الخبر ابدل منه او بينه بقوله
تعالى جنات عدن اي اقامة في سرور وطيب عيش ثم انه تعالى
وصف اهل الجنة باشيا اولها قوله تعالى مفتحة لهم الابواب
اي ان الملايكة يفتحون لهم ابواب الجنة ويحيونهم بالسلام كما
قال تعالى حتى اذا جاوها وفتحت ابوابها وقال لهم خزنتها
سلام عليكم طبتم فادخلوها خالدين وقيل المعنى انهم كلما ارا
دوا انفتاح الابواب انفتحت لهم وكلما ارادوا انغلاقها انغلقت
لهم وقيل المراد من هذا الفتح وصف تلك المساكن بالسعة وقرة
العيون فيها ثانيها قوله تعالى متكئين فيها وقد ذكر في ايات
اخر كيفية تلك الاتكا فقال تعالى في اية على الارائك متكئون وقال
في اية اخرى متكئين على رفرف خضر ثالثها يدعون فيها اي الجنا
ت بفاكهة كثيرة وشراب اي كثير فيدعون فيها بالوان الفاكهة
والوان الشراب ولما تبين المشرب المسكن والماكول والمشروب
ذكر ما هو المنكوح تتميما للنعمة بقوله سبحانه وتعالى وعندهم
قاصرات الطرف اي حابسات الطرف العين على ازواجهن اتراب
اي اسنانهن واحدة وهن بنات ثلاث وثلاثين سنة وا
حدها ترب وعن مجاهد متواخيات لا يتباغضن ولا يتغايرن

وقيل اترابا للازواج فلا العقال والسبب في اعتبار هذه الصفة لما
تشابهن في الصفة.. والسن والحلية كان الميل اليهن على السوية و
ذلك يقتضي عدم الغيرة وقرا قوله تعالى هذا ما يوعدون ابن كثير
وابو عمرو بالياء التحتية على الغيبة والباقون بالفوقية على الخطاب
وجه الغيبة تقدم ذكر المتقين ووجه الخطاب الالتفات اليهم و
الاقبال عليهم اي قل للمتقين هذا ما توعدون ليوم الحساب اي في
يوم الحساب او لاجله فان الحساب علة الوصول الى الجزاء ان هذا
اي المشار اليه اشارة الحاضر الذي لا يغيب لرزقنا ما له من نفاد
اي انقطاع وهذا اخبار عن دوام هذا الثواب تنبيه من نفاد
فاعل ومن مزيدة والجملة في نصب على الحال من رزقنا اي غير نافد و
يجوز ان يكون خبرا ثانيا لان اي دائم ولما وصف تعالى ثواب
المؤمنين وصف بعده عقاب الظالمين ليكون الوعيد مذكورا عقب
الوعد والترغيب عقب الترهيب بقوله تعالى وان للطاغين لشر مآب
اي مرجع هذا في مقابلة قوله تعالى وان للمتقين لحسن مآب والمراد بالطا
غين الكفار وقال الجبائي على مذهبه الفاسد هم اصحاب الكبائر سوا
كانوا كفارا ام لا واحتج الاول بان هذا ذم مطلقا فلا يحمل الا على
الكامل في الطغيان وهو الكافر واحتج هو بقوله تعالى ان الانسان
ليطغى ان راه استغنى فدل على ان الوصف بالطغيان قد يحصل
لصاحب الكبيرة لان من تجاوز حد تكاليف الله تعالى وتعداها فقد
طغى ورد هذا بان المراد بالانسان هنا هو الكافر ايضا تنبيه
هذا يحتمل ان يكون مبتدا او الخبر مقدر اي كما ذكر كما قدره الزمخشري
وقدرها ابو علي بقوله هذا للمؤمنين وقال الجلال المحلي هذا المذكور
للمؤمنين ويحتمل ان يكون خبر مبتدا مضمر اي هذا الامر هذا وقوله
تعالى جهنم اي الشديدة الاضطرام الملاقية لمن يدخلها بغاية العبوسة
والتجهم فيه اعراب جنات المتقدم وقوله تعالى يصلونها اي يدخلونها

فيباشرون



فيباشرون شدائدها حالا من جهنم فبئس المهاد المهد والفرش
مستعار من فرش النائم وهذا معنى قوله تعالى لهم من جهنم مهاد ومن
فوقهم غواش شبه الله تعالى ما تحتهم من النار بالمهاد الذي يفرش للنائم
والمخصوص بالذم محذوف اي هي وفي قوله تعالى هذا اي العذاب المفهوم
مما بعده اوجه من الاعراب احدها انه خبر مبتدا مضمر اي الامر هذا
ثم استانف فقال فليذوقوه ثانيها انه مبتدا وخبره حميم وغساق
واسم الاشارة يكتفى بواحده في المثنى كقوله تعالى عوان بين ذلك
او يكون المعنى هذا جامع بين الوصفين ويكون قوله تعالى فليذوقوه
جملة اعتراضية ثالثها انه مبتدا والخبر محذوف اي هذا كما ذكر
او هذا للطاغين وقيل غير ذلك وقيل هذا على التقديم والتاخير
والتقدير هذا حميم وغساق فليذوقوه وقيل التقدير جهنم يصلونها
فبئس المهاد هذا فليذوقوه ثم يبتدا فيقول حميم وغساق اي منه
حميم وغساق والحميم الحار الذي انتهى حره والغساق ما يسيل
من صديد اهل النار وقال كعب هو عين في جهنم يسيل اليها كل ذوات
حمة وعقرب وقال ابن عمر وهو القيح الذي يسيل من اهل النار
يجتمع فيسقونه وقال قتادة هو ما يغسق اي يسيل من القيح
والصديد من جلود اهل النار ولحومهم وفروج الزناة وقيل هو المنتن
بلغة الترك حكى الزجاج لو قطرت منه قطرة بالمغرب لانتنت اهل
المشرق وقرا حمزة والكسائي وحفص بتشديد السين والباقون
بالتخفيف وقرا ابو عمرو واخر بضم الهمزة على جمع اخرى مثل الكبرى
والكبر اي اصناف اخر من العذاب من شكله اي مثل المذكور
من الحميم والغساق والباقون بفتح الهمزة ممدودة على التوحيد
على انه لما ذكر واختار ابو عبيدة الجمع لان تعالى نعته بالجمع
فقال سبحانه وتعالى ازواج اي اصناف اي عذابهم من انواع مختلفة
ويقال لهم عند دخولهم النار باتباعهم هذا فوج اي جمع كثيف

مقتحم اي داخل ومفعول محذوف اي داخل مقتحم النار معكم
بشدة فيقول المتبوعون لا مرحبا بهم اي لا سعة عليهم او لا سمعوا
مرحبا وقوله انهم صالوا النار اي داخلون النار باعمالهم مثلنا ٥٥
تعليل لاستجابة الدعا عليهم ونظير الاية قوله تعالى كلما دخلت
امة لعنت اختها وقال الكلبي انهم يضربون بالمقامع حتى لو
قعوا انفسهم في النار خوفا من تلك المقامع قالوا اي الاتباع بل
انتم لا مرحبا بكم اي ان الدعاء الذي دعوتم به علينا ايها الرؤساء
انتم احق به منا وعللوا ذلك بقولهم انتم قدمتموه اي الكفر
لنا اي بدأتم به قبلنا وشرعتموه وحسنتموه لنا وقيل انتم قدمتم
هذا العذاب لنا بدعائكم ابانا الى الكفر فبئس القرار اي النار لنا
ولكم قالوا اي الاتباع ايضا ربنا من قدم لنا هذا اي شرعه وحسنه
لنا فزده عذابا ضعفا اي مثل عذابه على الكفر في النار قال ابن
مسعود يعني حياة وافاعي وقالوا اي الطاغون وهم في النار ما لنا لا
نرى رجالا كنا نعدهم من الاشرار يعنون فقراء المؤمنين
كعمار وخباب وصهيب وبلال وسلمان الذين كانوا يسترذلونهم
ويسخرون بهم قولهم اتخذناهم سخريا صفة اخرى لرجالا
اي كنا نسخر بهم في الدنيا وقرا نافع وحمزة والكسائي بضم السين
والباقون بكسرها ام زاغت اي مالت عنهم الابصار اي فلا
نراهم حين دخلوها وقال ابن كيسان اي ام كانوا خيرا منا و
نحن لا نعلم فكانت ابصارنا تزيغ عنهم في الدنيا فلا نعدهم
ان ذلك اي الذي حكيناه عنهم لحق اي واجب وقوعه فلا بد ان
يتكلموا به ثم بين ذلك الذي حكاه عنهم بقوله تعالى تخاصم
اهل النار اي في النار وانما سماه تخاصما لان قول القادة للا
تباع لا مرحبا بهم وقول الاتباع للقادة بل انتم لا مرحبا بكم
من باب الخصومة تنبيه يصح في تخاصم اوجه من الاعراب احدها

انه بدل من لحق الثاني انه عطف بيان الثالث انه خبر ثان لان
الرابع انه خبر مبتدا مضمر اي هو تخاصم ولما شرح سبحانه نعيم
اهل الثواب وعقاب اهل العذاب عاد الى تقرير التوحيد والنبوة
والبعث المذكورات اول السورة بقوله تعالى قل يا افضل الخلق
للمشركين انما انا منذر اي مخوف بالنار لمن عصى ولا بد من الا
قرار بانه وما من اله الا الله اي الجامع لجميع الاسماء الحسنى الوا حد
القهار فكونه واحدا يدل على عدم الشريك وكونه قهارا مشعر
بالترهيب والتخويف ولما ذكر ذلك اردفه بما يدل على الرجا
والترغيب بقوله تعالى شانه رب السماوات اي مبدعها و
حافظها على علوها وسعتها وضخامتها بما لها من الزينة
والمنافع والارض اي على سعتها وضخامتها وكثافتها وما فيها
من العجايب وما بينهما اي الخافقين من الفضا والهوا وغير هما
من العناصر والنبات والحيوانات العقلا وغيرها ربي كل شي من
ذلك ايجادا وابقاء على ما يريد وان كره ذلك المربوب فدل ذلك
على قهره وتفرده العزيز اي الغالب على امره الغفار فكونه ربا يشعر
بالتربية والكرم والاحسان والجود وكونه غفارا يشعر بان العبد
لو اقدم على المعاصي والذنوب ثم تاب اليه فانه يغفرها برحمته و
هذا الموصوف بهذه الصفات هو الذي تجب عبادته لانه هو الذي
يخشى عقابه ويرجى ثوابه وقوله تعالى قل اي لهم هو نبا عظيم
يعود على القران وما فيه من القصص والاخبار وقيل تخاصم اهل النا ر
وقيل على تقدم من اخباره صلى الله عليه وسلم بانه نذير مبين وبان الله
تعالى اله واحد متصف بتلك الصفات الحسنى وقوله تعالى
انتم عنه معرضون صفة النبا اي لتمادي غفلتكم فان العا قل
لا يعرض عن مثله كيف وقد قامت عليه الحجج الواضحة اما على
التوحيد فما مر واما على النبوة فقوله تعالى ما كان لي من علم

بالملا الاعلا اي الملايكة فقوله بالملا متعلق بقوله من علم وضمن
معنى الاحاطة فلذالك تعدي بالبا اذ يختصمون اي في شان
ادم عليه السلام حين قال الله عز وجل اني جاعل في الارض خليفة الي
اخره فان قيل الملايكة لا يجوز ان يقال انهم اختصموا بسبب
قولهم اتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدما فالمخاصمة مع
الله تعالي كفر اجيب بانه لا شك انه جري هناك سوال و
جواب وذالك يشبه المخاصمة والمناظرة والمشابهة علة المجاز
فلهذا السبب حسن اطلاق لفظ المخاصمة عليه ولما امر الله تعالي
محمدا صلي الله عليه وسلم ان يذكر هذا الكلام علي سبيل الزجر امره ان
يقول ان اي ما يوحي الي الا انما انا نذير مبين اي بين
الانذار غايتي لكم ما تاتونه وما تجتنبونه وروي انه صلي الله
عليه وسلم قال رايت ربي في احسن صورة قال ابن عباس احسبه قال
في المنام فقال يا محمد هل تدري فيم يختصم الملا الاعلي قلت انت
اعلم اي رب مرتين قال فوضع يده بين كتفي فوجدت بردها بين
ثديي او قال في نحري فعلمت ما في السموات وما في الارض وفي رواية
ثم تلي هذه الاية وكذالك نري ابرهيم ملكوت السموات والارض
وليكون من الموقنين ثم قال يا محمد اهل تدري فيم يختصم الملا
الاعلي قلت نعم في الدرجات والكفارات قال وما هنا قلت المشي
علي الاقدام الي الجماعات والجلوس في المساجد بعد الصلوات و
اسباغ الوضو في المكاره قال من يفعل ذالك يعيش بخير ويموت
بخير وكان من خطيته كيوم ولدته امه وقال يا محمد اذا صليت
فقل اللهم اني اسالك فعل الخيرات وترك المنكرات وحب المساكين
وان تغفر لي وترحمني واذا اردت بعبادك فتنة فاقبضني اليك
غير مفتون قال ومن الدرجات افشاء السلام واطعام الطعام
والصلاة بالليل والناس نيام وفي رواية فقلت لبيك وسعديك

في

في المرتين وفيهما فعلمت ما بين المشرق والمغرب اخرجه الترمذي و
قال حديث حسن غريب وللعلما في هذا الحديث وامثاله من احاديث
الصفات مذهبان احدهما مذهب السلف وهو امراره كما جا من غير
تكييف ولا تشبيه ولا تعطيل والايمان به من غير تاويل له والسكوت
عنه مع الاعتقاد بان ليس كمثله شي وهو السميع البصير والمذهب
الثاني مذهب الخلف وهو تاويل الحديث فقوله صلي الله عليه وسلم اتاني
ربي في احسن صورة يحتمل وجهين احدهما وانا في احسن صورة كانه زاده
جمالا وكمالا وحسنا عند رويته لربه وانما التغيير وقع بعده التشديد الوحي
وثقله الثاني ان الصورة بمعني الصفة ويرجع ذالك الي الله تعالي
والمعني انه اتاه في احسن صفاته من الانعام عليه والاقبال اليه والله
تعالي تلقاه بالاكرام والاعظام فاخبر صلي الله عليه وسلم عن عظمته وكبريا
وبهايه وبعده عن شبهه بالخلق والتنزيه عن صفات النقص وانه
ليس كمثله شي وهو السميع البصير وقوله صلي الله عليه وسلم فوضع
يده بين كتفي الي اخره فالمراد باليد النعمة والمنة والرحمة وذالك
شايع في لغة العرب فيكون معناه علي هذا الاخبار باكرام الله تعالي
اي انعامه عليه بان شرح صدره ونور قلبه وعرفه ما لم يعرفه حتي
وجد برد النعمة والرحمة والمعرفه في قلبه وذالك لما نور قلبه
وشرح صدره فعلم ما في السموات وما في الارض باعلام الله تعالي اياه
فانما امره اذا اراد شيا ان يقول له كن فيكون اذ لا يجوز علي الله تعالي
ولا علي صفات ذاته سبحانه هاسة او جسما شرح او نقص وهذا اللبق
بتنزيهه وحمل الحديث عليه واذا حملنا الحديث علي المنام وان ذالك
كان في المنام فقد زال الاشكال لان روية الباري سبحانه وتعالي
في المنام علي الصفات الحسنة دليل علي البشارة والخير والرحمة للرايي
وسبب اختصام الملا الاعلي وهم الملايكة في الكفارات وهي الخصال
في الحديث ايها افضل وسميت هذه الخصال كفارات لانها تكفر الذنوب

بايه

لي

تبارك صح

لي

عن فاعلها فهي من باب تسمية الشيء باسم لازمه وسمي ذلك
مخاصمة لما مر في السؤال والجواب المتقدم فمن قوله تعالى إذ يجوز ان
تكون بدلا من اذ الاولى كما قاله الزمخشري وان يكون منصوبا باذكر
كما قال ابو البقاء أي واذكر اذ **قال ربك للملائكة اني خالق** اي جاعل
بشرا من طين هو آدم عليه السلام فان قيل كيف صح ان يقول لهم اني
خالق بشرا وما عرفوا ما البشر ولا عهدوا به قبل اجيب بانه قد يكون
قال لهم اني خالق خلقا من صفته كيت وكيت ولكنه حين حكاه اقتصر
على الاسم فاذا سويته اي تممت خلقه ونفخت اي اجريت فيه من روحي
فصار حيا حساسا متنفسا واضافة الروح اليه تعالى اضافة تشريف
لآدم عليه السلام والروح جسم لطيف يحيى به الانسان بنفوذه فيه
ويسري في بدن الانسان سريان الضوء في الفضاء وكسريان النار في
الفحم والماء في العود الاخضر **فقعوا** اي خروا له ساجدين فسجد الملائكة
وقوله تعالى كلهم اجمعون فيه تأكيدان وقال الزمخشري كل للاحاطة
واجمعون للاجتماع افادا معا انهم سجدوا عن آخرهم ما بقي منهم
ملك الا سجد واجمعوا في وقت واحد غير متفرقين في اوقات انتهى
فان قيل كيف ساغ السجود لغير الله تعالى اجيب بان الممنوع هو السجود
لغير الله تعالى على وجه العبادة فاما على وجه التكرمة والتبجيل فلا يأباه
العقل الا ان يكون فيه مفسدة فينهى الله تعالى عنه والاولى في
الجواب انه سجود تحية بالانحناء كما قاله الجلال المحلي **الا ابليس
استكبر** اي تكبر وتعظم عن السجود فان قيل كيف استثني من
الملائكة وهو من الجن اجيب بانه قد امر بالسجود منهم فغلبوا
عليه في قوله فسجد الملائكة ثم استثني كما يستثنى الواحد منهم
استثناء متصلا وقال الجلال المحلي هو ابو الجن وكان مع الملائكة
وعلى هذا فلا سؤال **وكان** اي وصار **من الكافرين** باستكباره
عن امر الله تعالى او كان من الكافرين في الازمنة الماضية في علم

الله

الله تعالى **تنبيه** المقصود من ذكر هذه القصة المنع من الحسد
والكبر لان ابليس انما وقع فيما وقع فيه بسبب الحسد والكبر فذكرها
الله تعالى هذه القصة هاهنا ليصير سماعها زاجرا عن هاتين الخصلتين
المذمومتين **قال** الله تعالى **يا ابليس** سماه بهذا الاسم لكونه من
الابلاس وهو انقطاع الرجا اشارة الى تحتم العقوبة له **ما منعك
ان تسجد** وبين ما يوجب عنه ولو امر بتعظيم ما لا يعقل بقوله
تعالى معبرا باداة ما لا يعقل عمن كان عند السجود له عاقلا كامل
العقل **لما خلقت بيدي** اي توليت خلقه من غير توسط سبب كاب
وام والتثنية في اليد لما في خلقه من مزيد القدرة وقوله تعالى **استكبرت**
استفهام توبيخ اي تعظمت بنفسك الان عن السجود له ام كنت من
العالين اي من القوم الذين يتكبرون فتكبرت عن السجود لكونك
منهم فاجاب ابليس بقوله قال انا خير منه اي لو كان مساويا له في
الشرف لكان يقبح ان يسجد له فكيف وانا خير منه ثم بين كونه خيرا
منه بقوله خلقتني من نار وخلقته من طين والنار اشرف من الطين
بدليل ان الاجرام الفلكية افضل من الاجرام العنصرية والنار اقرب العناصر
من الفلك والارض ابعد عنه فوجب كون النار افضل من الارض وايضا
النار خليفة الشمس والقمر في اضاءة العالم عند غيبتهما والشمس و
القمر اشرف من الارض فخليفتهما في الاضاءة افضل من الارض و
ايضا فالكيفية الفاعلة الاصلية اما الحرارة واما البرودة والحرارة
افضل من البرودة لان الحرارة تناسب الحياة والبرودة تناسب
الموت وايضا فالنار لطيفة والارض مظلمة واللطافة افضل
من الكثافة وايضا فالنار مشرقة والارض مظلمة والنور خير
من الظلمة وايضا فالنار خفيفة تشبه الروح والارض كثيفة
تشبه الجسد والروح افضل من الجسد فالنار افضل من الارض
والدليل على ان الارض افضل من النار انها امينة مصلحة

فاذا اودعها حبة ردتها اليك شجرة مثمرة والنار خاينة مفسدة
لكل ما سلمته ايها اليها وايضا فالنار بمنزلة الخادم وان استغني
عنها طرد دن وايضا فالارض مستولية علي النار لانها تطفي النار و
ايضا فان استدلال ابليس بكون اصله خيرا من اصله استدلال لان
اصل الرماد النار واصل البساتين المزهرة والاشجار المثمرة هو الطين
ومعلوم بالضرورة ان الاشجار المثمرة خير من الرماد وايضا هب ان
اعتبار هذه الجهة توجب الفضيلة الا ان هذا يمكن ان يعارض
بجهة اخري توجب الرجحان مثل انسان نسيب عاري عن كل الفضا
بل فان كل نسبه يوجب رجحانه الا ان الذي لا يكون نسيبا قد يكون
كثير العلم والزهد فيكون افضل من النسيب بدرجات لا حد لها
فكذبت مقدمة ابليس فان قيل هب ان ابليس اخطا في القياس لكن
كيف لزمه الكفر في بلاد المخالفة وتقرير السوال من وجوه الاول
ان قوله تعالي اسجدوا وهو امر يحتمل الوجوب والندب فكيف
يلزم العصيان فضلا عن الكفر الثاني هب انه للوجوب وقلتم ان
ابليس ليس من الملايكة فامر الملايكة بالسجود لادم لا يدخل فيه
ابليس الثالث هب انه تناوله الا ان تخصيص العام بالقياس جايز
فجاز ان يخصص نفسه من عموم ذلك الامر بالقياس الرابع هب انه
لم يسجد مع علمه بانه كان مامورا به الا ان هذا التقدير يوجب
العصيان ولا يوجب الكفر اجيب بان صيغة الامر وان لم تدل علي
علي الوجوب يجوز ان ينضم اليها من القراين ما يدل عليه وههنا
حصلت تلك القراين وهي قوله تعالي استكبرت ام كنت من العالين
فعلم بذلك ان الامر للوجوب وانه مخاطب بالسجود فلما اتي بقيا
سه الفاسد دل ذلك علي انه انما ذكر القياس ليتوصل به الي القدح
في الله تعالي وتكليفه وذلك يوجب الكفر ولما ذكر ابليس لعنه الله
تعالي هذا القياس الفاسد قال الله تعالي له اخرج اي بسبب تكبرك

وتبينك

وتبينك الحكم الذي لا اعتراض عليها الي الوجود منها اي من الجنة
وقيل من الخلقة التي انت فيها لانه كان يفتخر بخلقته فغير الله
تعالي خلقته فاسود بعد ما كان ابيض وقبح بعدما كان حسنا و
اظلم بعد ما كان نورانيا وقيل من السموات فانك رجيم اي مطرو
لان من طرد رمي بالحجارة فلما كان الرجم من لوازم الطرد جعل
الرجم كناية عن الطرد فان قيل الطرد هو اللعن فيكون
قوله تعالي وان عليك لعنتي مكررا اجيب بحمل الطرد علي
ما تقدم وتحمل اللعنة علي الطرد من رحمة الله تعالي وايضا قوله
تعالي وان عليك لعنتي الي يوم الدين اي الجزا فاد امرا وهو طرد
الي يوم القيامة فلا يكون تكرارا وقيل المراد بالرجم كون
الشياطين مرجومين بالشهب فان قيل كلمة الي تنتهي الغاية
فكان لعنة ابليس غايتها يوم الدين ثم تنقطع اجيب بانها
كيف تنقطع وقد قال الله تعالي فاذن موذن بينهم ان لعنة الله
علي الظالمين ولكن ان عليه اللعنة في الدنيا فاذا كان يوم القيا
اقترن له باللعنة من العذاب ما تنسي عنده اللعنة فكانها
انقطعت تنبيه قال تعالي هنا لعنتي وفي اية اخري اللعنة
وهما وان كانا في اللفظ عاما وخاصا الا انهما من حيث المعني
عامان بطريق اللازم لان من كانت عليه لعنة الله تعالي كانت عليه
لعنة كل احد لا محالة وقال تعالي اولئك عليهم لعنة الله والملا
والناس اجمعين ولما صار ابليس ملعونا مطرودا قال رب فانظرني
الي يوم يبعثون اي الناس طلب الانظار الي يوم البعث لاجل
ان يتخلص من الموت لانه اذا انظر الي يوم البعث لم يمت قبل
البعث وعند مجي البعث لا يموت فحينيذ يتخلص من الموت
فلذلك قال تعالي فانك من المنظرين الي يوم الوقت المعلوم
اي وقت النفخة الاولي فيموت فيها فلم يجبه الي دعايه كما قال

د
له
ه
مة
بكة
٧ الحجر

تعالى وما دعا الكافرين الا في ضلال ومعنى المعلوم انه معلوم عند
الله تعالى معين لا يستقدم ولا يستأخر فلما انظره الله تعالى
الى ذلك الوقت قال فبعزتك اقسم بعزة الله تعالى وهي
قهره وسلطانه لاغوينهم اجمعين ثم استثنى من ذلك ما
ذكره الله بقوله الا عبادك منهم المخلصين اي الذين اخلصهم
الله تعالى لطاعته وعصمهم من ضلاله او اخلصوا قلوبهم على
اختلاف القرائتين فان نافع والكوفيين قرأوا بفتح اللام بعد
الخاء والباقون بالكسر قيل انما غرض ابليس من هذا الا
ستثنى وادعى انه يغوي الكل لظهر كذبه حين يعجز عن اغواء
عباد الله تعالى المخلصين وعند هذا يقال ان الكذب شي يستنكف
منه ابليس فليس يليق بالمسلم وهذا يدل على ان ابليس لا يغوي
عباد الله المخلصين وقد قال تعالى في صفة يوسف عليه السلام
انه من عبادنا المخلصين فيحصل من مجموع الايتين ان ابليس
ما اغوى يوسف عليه السلام وما نسب اليه من القبايح كذب و
افترا ولما قال ابليس ذلك قال تعالى فالحق اي فبسبب اغوائك
وغوايتهم اقول الحق والحق اقول اي لا اقول الا الحق فان كل شي
قلته ثبت فلم يقدر احد على نقضه ولا نقصه وقرأ عاصم وحمزة برفع
الاول ونصب الثاني والباقون بنصبهما فنصب الثاني بالفعل بعده
ونصب الاول بالفعل المذكور او على الاغرا اي الزموا الحق او
على المصدر اي احق الحق او على نزع حرف القسم ورفعه على انه
مبتدا محذوف الخبر اي فالحق مني او فالحق قسمي وجواب القسم
لاملان جهنم منك اي بنفسك وذريتك وممن تبعك منهم
اي من الناس وقوله تعالى اجمعين فيه وجهان اظهرهما انه توكيد
للضمير في منك ولمن عطف عليه في قوله تعالى وممن تبعك والمعنى
لاملان جهنم من المتبوعين والتابعين لا اترك منهم احدا وجوز

الزمخشري

الزمخشري ان يكون تاكيدا للضمير في منهم خاصة فتقدير لاملان
جهنم من الشياطين وممن تبعهم من جميع الناس لا تفاوت في ذا
بين ناس وناس ثم قال تعالى لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم قل اي لقومك
ما اسالكم عليه اي على تبليغ الرسالة او القران من اجر اي جعل
وما انا من المتكلفين اي المتصنعين بما لست من اهله على ما عرفتم من
حالي فانتحل النبوة وا تقول القران وكل من قال شيئا من تلقاء
نفسه فهو متكلف له وعن مسروق قال دخلنا على عبد الله ابن مسعود
فقال يا ايها الناس من علم شيا فليقل به ومن لم يعلم فليقل الله اعلم
فان من العلم ان يقول من لم يعلم الله اعلم قال الله تعالى لنبيه صلى الله
عليه وسلم قل ما اسالكم عليه من اجر وما انا من المتكلفين وقيل
المعنى ان هذا الذي ادعوكم اليه ليس يحتاج في معرفة صحته الى
التكليفات الكثيرة بل هو دين يشهد صريح العقل بصحته ان اي ما
هو اي ما القران الا ذكر اي عظة وشرف للعالمين اي للخلق
اجمعين ولتعلمن جواب قسم مقدر ومعناه لتعرفن يا كفار مكة
نبأه اي خبر صدقه وهو ما فيه من الوعد والوعيد او صدقه بانبا
ذلك بعد حين قال ابن عباس وقتادة بعد الموت وقال عكرمة
يوم القيامة وقال الحسن ابن ادم عند الموت يأتيك الخبر اليقين
وفي البيضاوي تبعا للزمخشري عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ
سورة ص كان له بوزن كل جبل سخر الله لداود عشر حسنات وعصمه
ان يصر على ذنب صغيرا وكبير حديث موضوع سورة الزمر مكية
الا قوله تعالى قل يا عبادي الذين اسرفوا على انفسهم الاية
وهي خمس وسبعون اية والف ومائة واثنتان وتسعون كلمة واربعة
الالف وسبعماية وثمانية احرف بسم الله الذي له صفات الكمال
الرحمن الذي انعم على عباده بانواع النعم الرحيم بانواع المغفرة على
المؤمنين من عباده المؤمنين تنزيل الكتاب اي القران مبتدا

وقوله تعالى من الله اي المتصف بجميع صفات الكمال خبره اي تنزيل
الكتاب كاين من الله تعالى وقيل تنزيل خبر مبتدا امضمر تقديره هذا
تنزيل الكتاب من الله العزيز اي الغالب في ملكه الحكيم اي في
صنعه ففي ذالك دلالة على انه تعالى عالم بجميع المعلومات غني
عن جميع الحاجات فان قيل ان الله تعالى وصف القران بكونه
تنزيلا ومنزلا وهذا الوصف لا يليق الا بالمحدث المخلوق اجيب
بان ذالك محمول على الصيغ والحروف انا اي بما لنا من العظمة
انزلنا اليك يا اشرف الخلق خاصة بواسطة الملك الكتاب
اي القران الجامع لكل خير وقوله تعالى بالحق يجوز ان يتعلق
بالانزال اي بسبب الحق وان يتعلق بمحذوف على انه حال من الفا
عل او المفعول وهو الكتاب اي ملتبسين بالحق او ملتبسا با
لحق والصدق والصواب والمعنى ان كل ما فيه من اثبات التوحيد
والنبوة والمعاد وانواع التكاليف فهو حق يجب العمل به وفي
قوله تعالى انا انزلنا اليك الكتاب تكرير تعظيم بسبب ابرازه
في جملة اخرى مضافا انزاله الى المعظم نفسه فان قيل لفظ
تنزيل يشعر بانه تعالى انزله نجما نجما على وفق المصالح على
سبيل التدريج ولفظ الانزال يشعر بانه انزله دفعة واحدة
اجيب بان طريق الجمع ان يقال انا حكمنا حكما كليا انا نوصله
اليك هذا الكتاب وهذا هو الانزال ثم اوصلناه اليك نجما
نجما على وفق المصالح ولما بين تعالى ان هذا الكتاب مشتمل
على الحق والصدق اردفه ببيان بعض ما فيه من الحق والصدق
وهو ان يشتغل الانسان بعبادة الله تعالى على سبيل الا
خلاص فقال سبحانه وتعالى فاعبد الله اي الحايز لجميع صفات
الكمال حال كونك مخلصا له الدين اي ممحضا له الدين من
الشرك والريا بالتوحيد وتصفية السر الا لله اي الملك الاعلى

وحده

وحده الدين الخالص اي لا يستحقه غيره فانه المنفرد بصفا
ت الالوهية والاطلاع على الاسرار والضماير قال قتادة الدين
الخالص شهادة ان لا اله الا الله وقال الاية متناولة لكل ما كلف
الله به من الاوامر والنواهي لان قوله تعالى فاعبد الله عام وروي ان
المراة الفرزدق لما قربت وفاتها اوصت ان يصلي الحسن البصري عليها
فلما دفنت قال الحسن البصري يا ابا فراس ما الذي اعددت
لهذا الامر قال شهادة ان لا اله الا الله قال الحسن هذا العمود
اين الطنب قال ابن عادل فبين بهذا اللفظ الوجيز ان عمود
الخيمة لا ينتفع به الا مع الطنب حتى يمكن الانتفاع بالخيمة
اي الانتفاع الكامل والا فهي ينتفع بها ولكن راس العبادة الا
خلاص في التوحيد واتباع الاوامر واجتناب النواهي والذين
اتخذوا من دونه اي من دون الله اوليا وهم كفار مكة اتخذوا
الاصنام وقالوا ما نعبدهم اي لشيء من الاشيا الا ليقربونا الى
الله اي الذي له معاقد العز ومجامع العظمة زلفى وذالك انهم كانوا
اذا قيل لهم من ربكم من خلقكم ومن خلق السموات والارض قالوا
الله فيقال فما عبادتكم لهم قالوا ليقربونا الى الله زلفى اي قربى وهو
اسم اقيم مقام المصدر كانهم قالوا الا ليقربونا الى الله تقريبا ويجلبنا
سهلا وتشفع لنا عند الله تعالى ان الله اي الذي له جميع صفات
الكمال يحكم بينهم اي وبين المسلمين فيما هم فيه يختلفون
اي من امر الدين فيدخل المومنين الجنة والكافرين النار ان الله
اي الملك القادر لا يهدي اي لا يرشد من هو كاذب اي في قوله
ان الالهة تشفع لهم مع علمه بانها جمادات خسيسة وفي نسبة
الولد الى الله تعالى كفار اي بعبادته غير الله تعالى لو اراد الله
اي الذي له الاحاطة بصفات الكمال ان يتخذ ولدا اي كما قالوا
اتخذ الرحمن ولدا لاصطفى اي اختار مما يخلق ما يشا اي يتخذ

ولدا غير من قالوا قالوا الملائكة بنات الله وعزير ابن الله والمسيح
ابن كما قال تعالى لو اردنا ان نتخذ لهوا اي كما زعموا لاتخذ
ناه من لدنا اذ لا موجود سواه الا وهو مخلوقه ومن البين ان
المخلوق لا يماثل الخالق فيقوم مقام الولد له ثم نزه نفسه
فقال تعالى شانه سبحانه اي تنزيها له عن ذلك وعما لا
يليق بطهارته ثم اقام الدليل على هذا التنزيه المقتضي لتفرده
فقال تعالى هو اي الفاعل لهذه الفعال القايل لهذه الاقوال
الله اي الجامع لجميع صفات الكمال ثم ذكر من الاوصاف ما هو
كالعلة لذلك فقال الواحد اي في ملكه الذي لا شريك له ولا
ولد ولا والد له القهار اي الغالب الكامل القدرة فكل شي عن قدرته
ولما ثبتت هذه الصفات التي نفت ان يكون له شريك او ولد و
اثبتت له الكمال المطلق استدل على ذلك بقوله تعالى خلق
السموات والارض اي ابدعهما من العدم وقوله تعالى بالحق
متعلق بخلق لان الدلايل التي يذكرها الله تعالى في اثبات الا
لهية اما ان تكون فلكية او ارضية اما الفلكية فاقسام احدها
خلق السموات والارض وثانيها اختلاف الليل والنهار وكما قال
تعالى يكور اي يدخل الليل على النهار ويكور النهار على الليل
قال الحسن ينقص من الليل فيزيد في النهار وينقص من النهار
فيزيد في الليل فما نقص من الليل دخل في النهار وما نقص من
النهار دخل في الليل قال البغوي ومنتهى النقص تسع ساعات
ومنتهى الزيادة خمس عشر ساعة وقال قتادة يغشي هذا
هذا كما قال يغشي الليل النهار وقال الرازي ان النور والظلمة
عسكران عظيمان وفي كل يوم يغلب هذا ذاك وذاك هذا
وذلك يدل على ان كل واحد مغلوب مقهور ولا بد من غالب قاهر
لهما يكونان تحت تدبيره وقهره وهو الله تعالى التناهي وورد في

الحديث

الحديث نعوذ بالله من الحور بعد الكور اي النقصان بعد الزيادة وقيل من
الادبار بعد الاقبال وسخر اي ذلل واكره وقهر وطوع لما يريد من نفعه
للمسخر الشمس والقمر فان الشمس سلطان النهار والقمر سلطان الليل
واكثر مصالح هذا العالم مربوطة بهما كل اي منهما يجري لاجل مسمى
الى يوم القيامة لا يزالان يجريان الى هذا اليوم فاذا كان يوم القيا
ذهبا والمراد من هذا التسخير ان هذه الافلاك تدور كدوران
المنجنون حاشية هو الدولاب الذي يسقى عليه على حد واحد الا هو العزيز
اي الغالب على امره المنتقم من اعدايه الغفار اي الذي له صفة
الستر على الذنوب متكررة يمحو ذنوب من يشاء عينا واثرا بمغفرته
ثم انه تبارك وتعالى لما ذكر الدلايل الفلكية اتبعها بذكر الدلايل
السفلية فقال تعالى خلقكم ايها الناس المدعوون النهيبة غيره
من نفس واحدة هي ادم عليه السلام وجعل منها اي من تلك
النفس زوجها حوا وانما بدا منها بذكر الانسان لانه اغرب واكثر
دلالة واعجب وفيه ثلاث دلالات خلق ادم اولا من غير اب وام
ثم خلق حوا من قصيراه ثم تشعبه الخلق الغاية للحصر منهما
فيهما ايتان الان احداهما جعلها الله تعالى عادة مستمرة والاخرى
لم تجر بها العادة ولم يخلق انثى غير حوا من قصيري رجل ثم
في ثم هذه اوجه احدها على انها على بابها من الترتيب بمهلة و
ذلك يروى ان الله تعالى اخرج ذرية ادم من ظهره كالذر ثم
خلق حوا بعد ذلك بزمان ثانيها انها على بابها ايضا لكن
لمدرك اخر وهو ان يعطف بها ما بعدها على ما فهم من الصفة في
قوله تعالى واحدة اذ التقدير من نفس وحدت اي انفردت ثم جعل
منها زوجها ثالثها انها على الترتيب في الاخبار لا في الزمان الو
جودي كانه قيل كان من امرها قبل ذلك ان جعل منها زوجها
رابعها انها للترتيب في الاحوال والترتيب وقال الرازي ان

اي
مة

ثم كما تجيء ببيان كون احدي الواقعتين متاخرة عن الثانية
فكذلك تجيء لبيان تاخر احدي المكانين عن الاخر كقول القايل
بلغني ما صنعت اليوم ثم ما صنعت امس اعجب واعطيتك اليوم
شيا ثم الذي اعطيتك امس اكثر وقوله تعالي وانزل لكم من
الانعام عطف علي خلقكم والانزال يحتمل الحقيقة بروي ان الله
تعالي خلقها في الجنة ثم انزلها ويحتمل المجاز وله وجهان احدهما
انها لما لم تعش الا بالنبات والنبات انما يعيش بالما والما ينزل
من السحاب اطلق الانزال عليها وهو في الحقيقة يطلق علي
سبب السبب كقول القايل ٥ اذا نزل السما بارض قوم ٥ رعيناه
وان كانوا غضابا ٥ والثاني ان قضاياه واحكامه منزلة
من السما من حيث كتبها في اللوح المحفوظ وهو ايضا سبب في
ايجادها وقال البغوي بمعني الانزال هاهنا الاحداث والا
نشا كقوله تعالي انزل عليكم لباسا وقيل انه انزل الماء الذي
هو سبب نبات القطن والكتان وغيرهما الذي يجعلون منه
اللباس وقيل معناه انزل لكم من الانعام جعلها نزلا لكم و
رزقا ومعني ثمانية ازواج اي ثمانية اصناف وهي الابل
والبقر والضان والمعز من كل زوجان ذكر وانثي كما بين في سورة
الانعام وقوله تعالي يخلقكم في بطون امهاتكم بيان الكيفية
خلق ما ذكر من الاناسي والانعام اظهار الما فيها من عجايب
القدرة غير انه تعالي غلب اولي العقل او خصهم بالخطاب لا
نهم المقصودون وقرا حمزة والكساي في الوصل بكسر الهمزة ٥
والباقون بالضم وفي الابتدا الجمع بالضم وكسر حمزة الميم و
فتحها الباقون ومعني قوله تعالي خلقا من بعد خلق ما ذكره
الله تعالي بقوله ولقد خلقنا الانسان من سلالة من طين ثم
جعلناه نطفة في قرار مكين الايات واما قوله تعالي في ظلمات

ثلاث

ثلاث فقال ابن عباس ظلمة البطن وظلمة الرحم وظلمة المشيمة
وقيل الصلب والرحم والبطن ذلكم اي العالي المراتب بشهادتكم
ايها الخلق كلكم بعضكم بلسان قاله وبعضكم بناطق حاله
الذي جميع ما ذكر من اول السورة الي هنا من افعاله ولما اشار
الي عظمته باداة البعد اخبر عن اسم الاشارة بقوله تعالي الله اي
الذي خلق هذه الاشيا ربكم اي المالك والمربي لكم بالخلق والر
زق فهو المستحق لعبادتكم وقوله تعالي له الملك يفيد الحصر اي له
الملك لا لغيره ولما ثبت انه لا ملك الا له وجب القول بانه لا
اله الا هو اي لا يشاركه في الخلق غيره ولما تبين بهذه الدلايل
كمال قدرته ورحمته زيف طريق المشركين بقوله تعالي فاني اي فكيف
ومن اي وجه تصرفون عن طريق الحق بعد هذا البيان ان تكفروا
فان الله اي الذي له الكمال كله غني عنكم لانه تعالي ما كلف ه
المكلفين ليجر الي نفسه منفعة او ليدفع عن نفسه مضرة لانه
تعالي غني علي الاطلاق فيمتنع في حقه جر المنفعة ودفع المضرة
لانه تعالي واجب الوجود لذاته وواجب الوجود لذاته في جميع صفا
ته يكون غنيا علي الاطلاق وايضا فالقادر علي خلق السموات والارض
والشمس والقمر والنجوم والعرش والكرسي والعناصر الاربعة ٥
يمتنع ان ينتفع بصلاة زيد وصيام عمرو وان يستضر بعدم صلاة
هذا وعدم صيام ذلك ولا يرضي لعباده اي لاحد منهم الكفر اي
بالاقبال علي سواه وانتم لا ترضون ذلك لعبيدكم مع ان ملككم
لهم في غاية الضعف ومعني عدم الرضا به لا يفعل فعل الراضي با
ن ياذن فيه ويقر عليه ويثيب فاعله ويمدحه بل يفعل فعل السا
خط بان ينهي عنه ويذم عليه ويعاقب مرتكبه وان كان بارادته اذ
لا يخرج شي عنها وهذا قول قتادة والسلف اجروه علي عمومه
وقال ابن عباس ولا يرضي لعباده المومنين الكفر وهم الذين

قال الله تعالى فيهم ان عبادي ليس لك عليهم سلطان فيكون عاما
في اللفظ وخاصا في المعنى كقوله تعالى عينا يشرب بها عباد الله
يريدون بعض العباد وان تشكروا الله تعالى فتؤمنوا بربكم وتطيعوه
يرضه لكم اي يثيبكم عليه لانه سبب فلاحكم وقرا السوسي في الو
صل بسكون الهاء وللدوري وجهان السكون والكسر وصلة الها
بواو للدوري وابن كثير وابن ذكوان والكسائي والباقون بالسكون
وهو لغة فيه ولا تزر اي نفس وازرة وزر اي وزر نفس اخرى
اي لا تحمل بل وزر كل نفس عليه لا يتعداها يحفظ عليها مدة كونها
في دار العمل واحتج بهذا من انكر وجوب الدية على العاقلة ورد
بان السنة خصصت ذلك واما الاثم الذي يكتب على الانسان
بسبب ترك الامر بالمعروف والنهي عن المنكر فليس وزر غيره وانما هو
وزر نفسه فوزر الفاعل على الفعل ووزر الساكت على الترك لما لزمه
من الامر والنهي وقوله تعالى ثم الى ربكم مرجعكم يدل على اثبات
البعث والقيامة فينبئكم بما كنتم تعملون فيه تهديد للعاصي
وبشارة للطايع وقوله تعالى انه عليم اي بالغ العلم بذات الصدور
اي بما في القلوب كالعلة لما سبق اي انه ينبئكم باعمالكم لانه عالم
بجميع المعلومات فيعلم ما في قلوبكم من الدواعي والصوارف قال
صلى الله عليه وسلم ان الله لا ينظر الى صوركم ولا اموالكم ولكن ينظر
قلوبكم واعمالكم ولما بين تعالى فساد القول بالشرك وبين
تعالى انه الذي يجب ان يعبد بين ان طريقة الكفار متناقضة
بقوله تعالى واذا مس الانسان اي هذا النوع الانسان بنفسه
ضر دعا ربه لانهم اذا مسهم الضر طلبوا رفعه من الله تعالى واذا زال
ذلك الضر عنهم رجعوا الى عبادة الاصنام فكان الواجب عليهم
ان يتعرفوا بالله تعالى في جميع الاحوال لانه القادر على ايصال
الخير ودفع الشر فظهر تناقض طريقتهم والمراد بالانسان الكافر

وقيل

وقيل المومن والكافر وقيل المراد اقوام معينين كعتبة ابن ربيعة
وغيره والمراد بالضر جميع المكاره في جسمه او ماله او اهله او ولده
لعموم اللفظ وقوله تعالى منيبا حال من فاعل دعا وقوله تعالى
اليه متعلق بمنيبا اي راجعا اليه في ازالة ذلك الضر لان الانابة
الرجوع ثم اذا خوله اي اعطاه نعمة مبتداة منه اي من غير مفتقر
ولا يستعمل في الجزا بل ابتدا العطية قال زهير هنالك ان
يستخولوا المال يخولوا ويروى ان يستخيلوا المال يخيلوا
وقال ابو النجم اعطى فلم يبخل ولم يبخل كوم الذرى من خول المخول
وحقيقة خول من احدى معنيين اما من قولهم هو خائل مال
اذا كان متعهدا له حسن القيام عليه واما من خال يخول اذا
اختال وافتخر ومنه قول العرب ان الغني طويل الذيل مياس
نسي اي ترك ما اي الامر الذي كان يدعوا اي يتضرع اليه من قبل
اي قبل النعمة تنبيه يجوز في ما هذه اوجه احدها ان تكون
موصولة بمعنى الذي مرادا بها الضر الذي كان يدعوا الى كشفه
اي ترك دعاه كانه لم يتضرع الى ربه ثانيها انها بمعنى الذي
مرادا بها الباري تعالى اي نسي الله الذي كان يتضرع اليه وهذا
عند من يجيز وقوع ما على اولي العلم وقال الرازي ما بمعنى من
كقوله تعالى وما خلق الذكر والانثى وقوله ولا انتم عابدون
ما اعبد وقوله فانكحوا ما طاب لكم ثالثها ان تكون مصدرية
اي نسي كونه داعيا وجعل اي ذلك الانسان زيادة على الكفر
بالنسيان للاحسان لله اي الذي له مكافي له بشهادة الفطر
والسمع والعقل اندادا اي شركاء ليضل عن سبيله اي دين
الاسلام وقرا ابن كثير وابو عمرو بفتح اليا بعد اللام اي ليفعل
الضلال بنفسه حتى يحمل غيره عليه فمفعوله محذوف واللام
يجوز ان تكون للعلة وان تكون لام العاقبة كقوله تعالى فالتقطه

والباقون بضمها اي ليضل غيره بضلاله في نفسه

الى فرعون ليكون لهم عدوا وحزنا واختلف في سبب نزول قوله
تعالى لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم قل اي لهذا الذي قد حكم بكونه
تمتع اي في هذه الدنيا بكفرك قليلا اي بقية اجلك فقال
مقاتل نزلت في ابي حذيفة بن المغيرة المخزومي وقيل في عتبة
ابن ربيعة وقيل عام في كل كافر وهذا امر تهديد وفيه اقناط
للكافر من التمتع في الآخرة ولذلك علله بقوله تعالى انك من
اصحاب النار اي الذين لم يخلقوا الا لها على سبيل الاستثنا
للمبالغة قال تعالى ولقد ذرانا لجهنم كثيرا من الجن والا
نس لهم قلوب لا يفقهون بها الآية ولما شرح الله تعالى صفات
المشركين وتمسكهم بغير الله تعالى اردفه بشرح المخلصين فقال
تعالى امن هو قانت اي قائم بوظائف الطاعات اناء الليل اي
جميع ساعاته ومناطه في القنوت على القيام فقوله صلى الله عليه وسلم
افضل الصلاة صلاة القنوت وهو القيام فيها ومنه القنوت
لا يدعو قائما وعن ابن عمر انه قال لا اعلم القنوت الا قراءة القرآ
وطول القيام وتلا امن هو قانت وعن ابن عباس القنوت هو
الطاعة لقوله تعالى كل له قانتون اي مطيعون وقرا نافع وابن
كثير وحمزة بتخفيف الميم والباقون بتشديدها وفي القراءة
الاولى وجهان احدهما ان الهمزة همزة استفهام دخلت على من
بمعنى الذي والاستفهام للتقرير ومقابله محذوف تقديره
امن هو قانت كمن جعل لله اندادا او امن هو قانت ككفره واما القرا
ءة الثانية فام داخلة على من الموصولة ايضا فادغمت الميم في الميم
وفي ام حينئذ قولان احدهما انها متصلة ومعادلها محذوف
تقديره الكافر خير ام الذي هو قانت والثاني انها منقطعة فتقدير
بل والهمزة اي بل امن هو قانت ككفره او الكافر المقول له تمتع
بكفرك وقوله تعالى ساجدا اي راكعا وقائما اي وقاعدا في صلاته

حالان

حالان من ضمير قانت تنبيه في هذه الآية دلالة على ان قيام
الليل افضل من قيام النهار واختلف في سبب نزولها فقال ابن
عباس نزلت في ابي بكر الصديق وقال الضحاك في ابي بكر وعمر
وقال ابو عمر في عثمان وقال الكلبي في ابن مسعود وعمار وسلمان
وقوله تعالى يحذر الآخرة اي عذاب الآخرة يجوز ان يكون حا
لا من الضمير في ساجدا وقائما ومن الضمير في قانت وان يكون
مستانفا جوابا لسوال مقدر كانه قيل ما شانه يقنت اناء الليل
ويتعب نفسه ويكدها فقيل يحذر الآخرة ويرجو رحمة اي
جنة ربه اي الذي لم يزل يتقلب في نعامه وفي الكلام حذف و
التقدير كمن لا يفعل شيئا من ذلك وانما حسن هذا الحذف لدلا
لة ذكر الكافر قبل هذه الآية وذكر بعدها هل يستوي اي في الرتبة
الذين يعلمون اي وهم الذين صفتهم انهم يقنتون اناء الليل
ساجدا وقائما والذين لا يعلمون اي وهم الذين صفتهم عند
البلاء والخوف يوحدون وعند الراحة والفراغ يشركون وانما
وصف الله تعالى الكفار بانهم لا يعلمون لان الله تعالى وان اعطاهم
آلة العلم الا انهم اعرضوا عن تحصيل العلم فلهذا جعلهم تعالى
كانهم ليسوا من اولي الالباب من حيث انهم لم ينتفعوا بقولهم
بعقولهم وقلوبهم وفي هذا تنبيه على فضيلة العلم قيل
لبعض العلماء انكم تقولون العلم افضل من المال ثم نرى العلماء
عند ابواب الملوك ولا نرى الملوك عند ابواب العلماء فاجاب
بان هذا ايضا يدل على فضيلة العلم لان العلماء علموا ما في المال
من المنافع فطلبوه والجهال لم يعرفوا ما في العلم من المنافع
فلا جرم تركوه وقال في الكشاف واراد بالذين يعلمون العاملين
من العلماء الديانة كانه جعل من لا يعمل غير عالم قال وفيه ازدراء
عظيم للذين يقتنون العلوم ثم لا يقنتون ويفتنون فيها ثم

يفتنون بالدنيا فهم عند الله تعالى جهلة حيث جعل تعالى الغافلين
هم العلما قال ويجوز ان يرد على سبيل التعظيم التشبيه اي كما لا يستوي
العالمون والجاهلون كذلك لا يستوي الغافلون والعاصون
انتهى وعن الحسن انه سيل عن رجل يتمادى في المعاصي ويرجوا
فقال هذا تمنٍ وانما الرجا قوله تعالى وتلا هذه الاية انما يتذكر اي
يتعظ اولوا الالباب اي اصحاب العقول الصافية والقلوب المنيرة
وهم الموصوفون في اخر سورة ال عمران بقوله تعالى الذين يذكرون
الله قياما وقعودا وعلى جنوبهم الى اخرها ولما نفى تعالى المساواة بين
من يعلم وبين من لا يعلم امر نبيه صلى الله عليه وسلم بان يخاطب المو
منين فقال سبحانه قل اي لهم يا عبادي الذين امنوا اي اوجدوا
هذه الحقيقة اتقوا ربكم اي بطاعته واجتناب معاصيه ثم بين تعالى
لهم ما في هذا الاتقا من القول ~~ثبل~~ الفوايد بقوله تعالى للذين
احسنوا في هذه الدنيا اي بالطاعة حسنة اي في الاخرة وهي الجنة
والتنكير في حسنة للتعظيم اي حسنة لا يصل العقل الى كنه كمالها
فقوله تعالى في هذه الدنيا متعلق باحسنوا وقيل متعلق
بحسنة وعلى هذا قال السدي معناه في هذه الدنيا حسنة يعني
الصحة والعافية وقال الرازي والاولى يحمل على الثلاثة المذكورة
في قوله صلى الله عليه وسلم ثلاثة ليس لها نهاية الامن والصحة والكفا
ية انتهى ورد بانه ينبغي حمله على حسنة الاخرة لان ذلك حاصل
الكفار اكثر من حصوله للمومنين كما قال صلى الله عليه وسلم الدنيا
سجن المومن وجنة الكافر واختلف في قوله تعالى وارض الله اي
الذي له الملك كله والعظمة الشاملة واسعة فقال ابن عباس يعني
ارتحلوا من مكة وفيه حث على الهجرة من البلد الذي تظهر فيه
المعاصي ونظيره قوله تعالى قالوا فيما كنتم قالوا كنا مستضعفين
في الارض قالوا الم تكن ارض الله واسعة فتهاجروا فيها وقيل نزلت

في

في مهاجري الحبشة وقال سعيد ابن جبير من امر بالمعاصي فليهرب
وقال ابو مسلم لا يمتنع ان يكون المراد من الارض ارض الجنة كما قال تعا
لي
جنة عرضها كعرض السموات والارض اعدت للمتقين انما يوفى الله اي
التوفية العظيمة الصابرون اجرهم اي على الطاعة وما يبتلون
به وقيل نزلت في جعفر ابن ابي طالب واصحابه حيث لم يتركوا دينهم لما
اشتد بهم البلا وصبروا وهاجروا ومعنى بغير حساب اي بغير نهاية بكيل
او وزن لان كل شي دخلت تحت الحساب فهو متناهي فما لا نهاية له
كان خارجا عن الحساب وعن ابن عباس لا يهتدي اليه حساب ولا
يعرف وقال علي كرم الله وجهه كل مطيع يكال كيلا او يوزن له وزنا الا
الصابرون فانه يحثى لهم حثيا وروى الشعبي لكن بسند ضعيف
عن النبي صلى الله عليه وسلم ان الموازين تنصب يوم القيامة لاجل الصلاة و
الصدقة والحج فيوفون اجورهم ولا ينصب لاهل البلا بل يصب عليهم
الاجر صبا حتى يتمنى اهل العافية في الدنيا ان اجسادهم تقرض بالمقار
بض
مما يذهب به اهل البلا من الفضل ولما كان للعبادة ركنان عمل
القلب وعمل الجوارح وعمل القلب اشرف من عمل الجوارح فقدمه سبحانه
بقوله تعالى قل اي يا اشرف المرسلين اني امرت بفتح اليا وقرا نافع
والباقون بسكونها ان اعبد الله مخلصا له الدين اي مخلصا له
التوحيد لا اشرك به شيا ثم ذكر عقبه الادون وهو عمل الجوارح
وهو الاسلام المذكور في قوله وامرت لان اي لاجل ان او بان
اكون اول المسلمين اي من هذه الامة وبهذا ازال التكرار وقال
الزمخشري فان قلت كيف عطف امرت على امرت وهما واحد قلت
ليسا بواحد لاختلاف جهتيهما ولما ذكر ان الامر بالاخلاص وتكليفه
شي والامر به ليحوز قصب السبق في الدين شي اخر واذا اختلف وجها
كيف
الشي وصفاته ينزل بذلك منزلة شيين مختلفين ولما دعا المشر
النبي صلى الله عليه وسلم الى دين ابايه امره الله تعالى بقوله سبحانه قل

اني اخاف ان عصيت ربي اي المحسن الي المربي لي بكل جميل وعبدت غيره
عذاب يوم عظيم والمقصود من هذا الامر المبالغة في زجر الغير عن المعاصي
وقرا نافع وابن كثير وابو عمرو اني بفتح الياء والباقون بسكونها قل الله
اي المحيط بصفات الكمال وحده اعبد مخلصا له وحده ديني من الشرك
قال الرازي فان قيل ما معنى التكرير في قوله تعالى قل اني امرت ان اعبد
الله مخلصا له الدين وقوله تعالى قل الله اعبد مخلصا له ديني قلنا ليس هذا
تكريرا لان الاول اخبار بانه مامور من جهة الله تعالى بالاتيان بالعبادة والثاني
اخبار بانه امر ان لا يعبد احدا غير الله تعالى وذلك ان قوله امرت ان اعبد الله
لا يفيد الحصر وقوله تعالى قل الله اعبد يفيد الحصر اي الله اعبد ولا اعبد احدا سواه
ويدل عليه انه لما قال قل الله اعبد قال بعده فاعبدوا اي انتم ايها الداعون في و
قت الضرا الموصوفون في وقت الرخا ما شئتم من دونه اي غيره وفي هذا تهديد
وزجر لهم وايذان بانهم لا يعبدون الله تعالى ثم بين تعالى كمال الزجر بقوله
سبحانه قل ان الخاسرين اي الكاملين في الخسران الذين خسروا انفسهم اي
اوقعوها في هلاك لا يعقل هلاك اعظم منه وخسروا اهليهم يوم القيامة
ايضا لانهم ان كانوا من اهل النار فقد خسروهم كما خسروا انفسهم وان كانوا
من اهل الجنة فقد ذهبوا ذهابا لا رجوع بعده البتة وقوله تعالى الا ذا
لك اي الامر العظيم البعيد الرتبة في الخسارة هو الخسران المبين اي البين
يدل على غاية المبالغة من وجوه احدها انه وصفهم بالخسران ثم اعاد ذلك
بقوله تعالى الا ذلك هو الخسران المبين وهذا التكرار لاجل التاكيد وثانيها
ذكر حرف الا وهو للتنبيه وذكر التنبيه يدل على التعظيم كان قال بلغ في العظم
الى حيث لا تصل عقولكم اليه فتنبهوا له وثالثها قوله تعالى هو الخسران ولفظة
هو تفيد الحصر كانه قيل كمال خسران يصير في مقابلته كلا خسران ورابعها وصفه
تعالى بكونه خسرانا مبينا يدل على التهويل ولما شرح الله تعالى خسرانهم و
صف ذلك الخسران بقوله تعالى لهم من فوقهم ظلل اي طباق من النار ومن
تحتهم ظلل اي فرش ومهاد نظيره قوله تعالى لهم من جهنم مهاد ومن

فوقهم

فوقهم غواش فان قيل الظلة ما علا الانسان فكيف سمي ما تحته ظلة
اجيب باوجه احدها انه من باب اطلاق اسم احد الضدين على الاخر كقوله تعالى
وجزاء سيئة سيئة مثلها ثانيها ان الذي تحته يكون لغيره لان النار دركات
كما ان الجنة درجات ثالثها ان الظلة التحتانية لما كانت مشابهة
الظلة الفوقانية في الحرارة والاحراق والايذاء اطلق اسم احدهما على الا
خر لاجل المماثلة والمشابهة وقيل المراد احاطة النار بهم من جميع
الجهات ذلك اي العذاب المعد للكفار يخوف الله به عباده اي المومنين
ليجتنبوا ما يوقعهم فيه وقيل يخوف الكفار والضلال ويدل للاول
قوله تعالى يا عباد فاتقون اي ولا تتعرضوا لما يوجب سخطي وهذه
عظة من الله تعالى ونصيحة بالغة ووجه الدلالة ان اضافة العبيد
الى الله تعالى في القران تختص باهل الايمان والذين اجتنبوا الطاغوت
اي البالغين غاية الطغيان والطاغوت فعلوت من الطغيان كالملكوت
والرحموت الا ان فيها قلبا بتقديم اللام على العين اذ اصله طغيوت
قدمت الياء على الغين ثم قلبت الفا لتحركها وانفتاح ما قبلها
اطلقت على الشيطان او الشياطين لكونها مصدرا وفيها مبالغات
وهي التسمية بالمصدر كان عين الشيطان طغيان وان البنا بناء مبالغة
فان الرحموت الرحمة الواسعة والملكوت الملك المبسوط والقلب وهو
الاختصاص قال في الكشاف اذ لا يطلق على غير الشيطان والمراد به
ههنا الجمع انتهى لكن ابن الخازن فسر الطاغوت بالاوثان وتبعه
الجلال المحلي فان قيل يبقى هذا التفسير لانهم انما عبدوا الصنم
لا الشيطان اجيب بان الداعي الى عبادة الصنم الشيطان فلما
كان هو الداعي كانت عبادة الصنم عبادة له فان قيل ما وجه
تسمية الصنم بالطاغوت على التفسير الثاني مع انه لا يطلق الا على
الشيطان كما مر اجيب بانه اطلق عليه على سبيل المجاز لان الطغيان
لما حصل بسبب عبادته والتقرب منه وصفه بذلك اطلاقا لاسم

السبب على المسبب حسب الظاهر وقوله تعالى ان يعبدوها بدل اشتمال
من الطاغوت لان الطاغوت مونث كانه قيل اجتنبوا عبادة الطاغوت
فان قيل على التفسير الاول انما عبدوا الصنم لا الشيطان اجيب بانه الداعي
الى عبادة الصنم فايدة نقل في التواريخ ان الاصل في عبادة الاصنام
ان القوم مشبهة واعتقدوا في الاله انه نور عظيم وان الملايكة
انوار مختلفة في الصغر والكبر فوضعوا تماثيل صور على وفق تلك
الخيالات فكانوا يعبدون تلك التماثيل على اعتقادهم انهم يعبدون
الله والملايكة وانابوا اي رجعوا الى الله اي الى عبادة الله بكليتهم و
تركوا ما كانوا عليه من عبادة غيره ثم انه تعالى وعد هولاء باشيا احدها
قوله تعالى لهم البشرى اي في الدنيا والاخرة اما في الدنيا فالثناء
عليهم بصالح اعمالهم وعند نزول الموت وعند الوضع في القبر واما في الاخرة
فعند الخروج من القبور وعند الوقوف للحساب وعند جواز الصراط وعند
دخول الجنة ففي كل موقف من هذه المواقف تحصل لهم البشارة
بنوع من الخير والراحة والروح والريحان تنبيه يحتمل ان يكون
المبشر لهم هم الملايكة لانهم يبشرونهم عند الموت لقوله تعالى الذين
تتوفاهم الملايكة طيبين سلام يقولون سلام عليكم وعند دخول
الجنة لقوله تعالى والملايكة يدخلون عليهم من كل باب سلام عليكم
بما صبرتم فنعم عقبى الدار ويحتمل ان يكون هو الله تعالى لقوله تعالى
تحيتهم يوم يلقونه سلام ولا مانع ان يكون من الله تعالى ومن الملا
يكة عليهم السلام فان فضل الله سبحانه واسع وقوله تعالى فبشر
عبادي قراة السوسي بياء بعد الدال مفتوحة في الوصل ساكنة في
الوقف والباقون بغير ياء الذين يستمعون اي بجمع قلوبهم القول
فيتبعون اي بكل عزايمهم بعد انقياده احسنه اي بما دلتهم عليه عقولهم
من غير عدول الى ادنى تنبيه في هذا وضع الظاهر موضع مضمر الذين
اجتنبوا للدلالة على مدا احسانهم وانهم انقادوا في الذين يميزون بين

الحسن

الحسن والاحسن والفاضل والافضل فاذا اعترضهم امران واجب ومندوب
اختاروا الواجب او مباح وندب اختاروا الندب حرصا على ما هو اقرب عند
الله واكثر ثوابا ويدخل تحت ذلك ابواب التكاليف وهي قسمان عبا
دات ومعاملات فاما العبادات فكقولنا الصلاة التي يذكر في تحريمها الله
اكبر مع اقتران النية ويقرا فيها بالفاتحة ويوتى فيها بالطمانينة
في مواضعها الخمسة ويتشهد فيها ويخرج منها بالسلام لا شك انها
احسن من الصلاة التي لا يراعى فيها شي من هذه الاحوال قال الرازي
فوجب على العاقل ان يختار هذه الصلاة دون غيرها انتهى وكذا
القول في جميع ابواب العبادات قال في الكشاف ويدخل تحته المذاهب
واختيار اثبتها على السبك واقواها عند السبر وابينها دليلا او امارة
وان لا تكن في مذهبك كما قال لا تكن مثل عيره قيد فانقادا
يريد التقليد انتهى واما المعاملة فكانظار المعسر وابراوه فالابرا
اولى وان كان الاول واجبا والثاني مندوبا وكذا القول في جميع المعا
ملات وقيل يستمعون القرآن وغيره فيتبعون القرآن وقيل يستمعون اوامر
الله تعالى فيتبعون احسنها نحو القصاص والعفو قال تعالى وان
تعفوا اقرب للتقوى وعن ابن عباس هو الرجل يجلس مع القوم
فيسمع الحديث فيه محاسن ومساو فيحدث باحسن ما يسمع و
يكف عما سواه وروي عن ابن عباس رضي الله تعالى عنه امن ابو بكر
بالنبي صلى الله عليه وسلم فجاه عثمان وعبد الرحمن ابن عوف وطلحة
والزبير وسعد ابن ابي وقاص وسعيد ابن زيد فسالوه فاخبر
هم بايمانه فامنوا فنزل فيهم فبشر عبادي اوليك اي العالون الرتبة
والرتبة الذين هداهم الله اي بماله من صفات الكمال لدينه واو
ليك هم اولوا الالباب اي اصحاب العقول السليمة عن منازعة الو
هم والعادة وقال ابو زيد نزل والذين اجتنبوا الطاغوت الاية
في ثلاثة نفر كانوا في الجاهلية يقولون لا اله الا الله زيد ابن
عمرو وابو ذر الغفاري وسلمان الفارسي والاحسن لا اله الا الله

وفي هذه الاية لطيفة وهي ان حصول الهداية في العقل والروح حادث
فلا بد من فاعل وقابل فاما الفاعل فهو الله تعالى وهو المراد من قوله
تعالى اوليك الذين هداهم الله واما القابل فاليه الاشارة بقوله
تعالى واوليك هم اولوا الالباب فان الانسان ما لم يكن عاقلا
كامل الفهم امتنع حصول هذه المعارف الحقيقية في قلبه واختلف
في معنى قوله تعالى **افمن حق** واسقط الثانية الثابتة الدالة على
الكين تاكيدا للنهي عن الاسى عليهم **عليه كلمة العذاب** فقال ابن
عباس معنى الاية من سبق في علم الله انه في النار وقيل كلمة العذاب
قوله تعالى لاملان جهنم الاية وقيل قوله تعالى هولاء في النار ولا ابالي
افانت تنقذ اي تخرج **من في النار** جواب الشرط واقيم فيه الظاهر
مقام المضمر اذ كان الاصل افانت تنقذه وانما وقع موقعه شهادة
عليه بذلك والهمزة للانكار والمعنى لا تقدر على هدايته فتنقذه
من النار وقال ابن عباس يريد ابا لهب وولده وتجوز ان تكون من موصولة
في محل رفع بالابتدا وخبره محذوف واختلف في تقديره فقدر
ابو البقا كمن نجا وقدره الزمخشري فانت تخلصه قال حذف لدلالة
افانت تنقذ عليه وقدره غيرهما تتاسف عليه وقدر اخرون
يتخلص منه اي من العذاب وقوله تعالى **لكن الذين اتقوا ربهم**
استدراك بين شبهين نقيضين او ضدين وهما المومنون والكا
فرون اي جعلوا بينهم وبين المحسن اليهم وقاية في كل حركة وسكون
فلم يجعلوا شيا من ذلك الا بنظر يدلهم على رضاهم وقوله تعالى
لهم غرف شديدة العلو مقابل لما ذكر في وصف الكفار من فوقهم ظلل
من النار ومن تحتهم ظلل والمعنى لهم منازل في الجنة رفيعة ومن فوقها
منازل ارفع منها فان قيل ما فايدة قوله تعالى **مبنية** اجيب بان المنزل
اذا بني على منزل اخر كان الفوقاني اضعف بناء من التحتاني فقوله
تعالى مبنية فايدته انه وان كان فوق غيره لكنه في القوة والشدة

مساو

مساوٍ للمنزل الاسفل ولما كانت المنازل لا تطيب الا بالماء وكان الجاري
احسن واشرف قال تعالى **تجري من تحتها** اي تلك الغرف الفوقانية
والتحتانية **الانهار** اي المختلفة كما قال تعالى فيها انهار من ماء غير
اسن وانهار من لبن لم يتغير طعمه وانهار من خمر لذة للشاربين
وانهار من عسل مصفى وقوله تعالى **وعد الله** مصدر موكد لمضمون الجملة
فهو منصوب بفعله المقدر لان قوله تعالى لهم غرف في معنى وعدهم
الله ذلك **لا يخلف الله الميعاد** لان الخلف نقص وهو على الله سبحانه
محال وعن ابي سعيد الخدري عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ان اهل الجنة
يتراءون اهل الغرف من فوقهم كما تتراءون الكوكب الدري الغابر في الافق
من المشرق والمغرب لتفاضل ما بينهم قالوا يا رسول الله تلك منازل الانبيا
لا يبلغها غيرهم قال بلى والذي نفسي بيده رجال امنوا بالله وصدقوا المرسلين
وقوله الغابر اي الباقي في الافق اي في ناحية المشرق ولما وصف الله تعالى
الاخرة بوصف يوجب الرغبة العظيمة فيها وصف الدنيا بصفات توجب
اشتداد النفرة عنها بقوله تعالى **الم تر** اي تعلم **ان الله** اي الذي له
كمال القدرة **انزل من السماء** اي الذي لا يستمسك الماء فيها الا بقدرة
باهرة تقهر الماء على ذلك والمراد بالسماء البحر او السحاب **ماء** و
هو المطر قال الشعبي كل ماء في الارض فمن السماء نزل ثم الله تعالى
ينزله الى بعض المواضع ثم يقسمه **فسلكه** اي ادخل ذلك الماء
في خلال التراب حال كونه **ينابيع في الارض** اي عيونا ومجاري
ومسالك كالعروق في الاجساد **ثم يخرج** الله تعالى **به** اي بالماء **زرعا**
مختلفا الوانه من خضرة وحمرة وصفرة وبياض وغير ذلك و
مختلفا اصنافه من بر وشعير وسمسم وغيرها **ثم يهيج** اي
ييبس **فتراه** بعد الخضرة مثلا **مصفرا** من يبسه لانه اذا تم
جفافه حان له ان ينفصل عن منابته **ثم يجعله حطاما** اي فتاتا
ان في ذلك اي التدبير على هذا الوجه **لذكرى** اي تذكيرا و

لاولي الالباب اي اصحاب العقول الصافية جدا فيتذكرون هذه
الاحوال في النبات فيعلمون به دلالته على وحدانية الله تعالى شانه
وقدرته واحوال الحيوان والانسان وانه وان طال عمره فلا بد من الا
نتهاء الى ان يصير مصفر اللون منحطم الاعضاء والاجزاء ثم تكون عاقبته
الموت فاذا كانت مشاهدة هذه الاحوال في النبات مذكرة حصول
مثل هذه الاحوال في نفسه في حياته وحينئذ تعظم نفرته عن الدنيا
ولذاتها ولما بين تعالى الدلايل على وجوب الاقبال على طاعة الله تعالى
ووجوب الاعراض عن الدنيا ولذاتها ذكر ان الانتفاع بهذه البيا
نات لا يكمل الا اذا شرح الصدور ونور القلوب فقال سبحانه
افمن شرح الله اي الذي له القدرة الكاملة صدره للاسلام اي
وسعه لقبول الحق فاهتدى فهو اي بسبب ذلك على نور من ربه
اي المحسن اليه كمن اقسى الله تعالى قلبه دل على هذا فويل كلمة عذاب
للقاسية قلوبهم من ذكر الله قال مالك ابن دينار ما ضرب عبد
بعقوبة اعظم من قسوة القلب وما غضب الله تعالى على قوم الا
نزع منهم الرحمة وما نور الله تعالى فهو لطفه روي ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم قرا هذه الاية فقيل يا رسول الله فما علامة ذلك
قال الانابة الى دار الخلود والتجافي عن دار الغرور والتاهب للموت قبل
نزول الموت فان قيل ان ذكر الله تعالى سبب لحصول النور و
الهداية وزيادة الاطمئنان قال تعالى الا بذكر الله تطمئن القلوب
فكيف جعله في هذه الاية سببا لحصول القسوة في القلب اجيب بان
النفس اذا كانت خبيثة الجوهر كدرة العنصر بعيدة عن مناسبة
الروحانيات شديدة الميل الى الطباع البهيمية والاخلاق الذ
ميمة فان سماعها لذكر الله يزيدها قسوة وكدرة مثاله ان
الفاعل الواحد تختلف افعاله بحسب اختلاف القوابل كنور الشمس
يسود وجه القصار ويبيض ثوبه وحرارة الشمس تلين الشمع

ونعقد

ونعقد الملح وقد نرى انسانا واحدا يذكر كلاما واحدا في مجلس واحد
فيستطيبه واحد ويستكرهه غيره وما ذاك الا بحسب اختلاف جواهر
النفوس ولما نزل قوله تعالى ولقد خلقنا الانسان من سلالة من طين
وعمر ابن الخطاب حاضر وانسان اخر فلما انتهى رسول الله صلى الله عليه
وسلم الى قوله تعالى ثم انشاناه خلقا اخر قال كل واحد منهما تبارك
الله احسن الخالقين فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اكتب فهكذا نزلت
فازداد عمر ايمانا على ايمانه وارتد ذلك الانسان واذا عرف ذلك لم
يبعد ان يكون ذكر الله تعالى يوجب النور والهداية والاطمئنان
في النفوس الطاهرة الروحانية ويوجب القنوط والبعد عن الحق في
النفوس الخبيثة وقيل من بمعنى عن اي قست قلوبهم عن
قبول ذكر الله وجرى على ذلك الجلال المحلي اولئك اي هولاء البعد
في ضلال مبين اي بين قيل نزلت هذه الاية في ابي بكر وفي ابي
ابن خلف وقيل في علي وحمزة وابي لهب وولده وقيل في رسول
الله صلى الله عليه وسلم وفي ابي جهل الله الفعال لما يريد الذي له مجامع
العظمة والاحاطة بصفات الكمال نزل اي بالتدريج للتدريب وللجواب
عن كل شبهة احسن الحديث اي القران روي ان اصحاب رسول الله صلى
الله عليه وسلم ملوا ملة فقالوا حدثنا فنزلت وكونه احسن الحديث لو
احدهما من جهة اللفظ والاخر من جهة المعنى اما الاول فلان القران
افصح الكلام وابلغه واجزله وليس هو من جنس الشعر ولا من جنس
الخطب ولا من جنس الرسايل بل هو نوع يخالف الكل في اسلوبه مع ان
كل طبع سليم يستلذه ويستطيبه واما من جهة المعنى فهو منزه
عن التناقض والاختلاف قال جل ثناؤه ولو كان من عند غير الله لو
فيه اختلافا كثيرا ومشتمل على اخبار الماضيين وقصص الاولين وعلى
اخبار الغيوب الكثيرة في الماضي والمستقبل وعلى الوعد والوعيد
والجنة والنار وفي ايقاع الله تعالى مسندا لبناء نزل عليه تفخيم

لاحسن الحديث واستشهاد على حسنه وتاكيد لاستناده الى الله تعالى
وانه من عنده وان مثله لا يجوز ان يصدر الا عنه وتنبيه على انه وحي
معجز مباين لساير الاحاديث وقوله تعالى كتابا اي جامعا لكل خبر بدل
من احسن الحديث وقيل حال منه بنا على ان احسن الحديث لاضا
فته الى معرفة وافعل التفضيل اذا اضيف الى معرفة فيه خلاف فقيل
اضافته محضة وقيل غير محضة والصحيح الاول وقوله تعالى
متشابها نعت لكتاب وهو المسوغ لمجي الجامد حالا لانه في قوة
مكتوب ويتشابه بعضه بعضا في الاعجاز والبلاغة والموعظة
الحسنة لا تفاوت فيه اصلا في لفظ ولا معنى مع كونه نزل مفرقا في
نيف وعشرين سنة واما كلام الناس فلا بد فيه من التفاوت وان
طال الزمان في التهذيب سوا اتخذ زمانه ام لا وقوله تعالى مثاني
جمع مثنى بمعنى مردد ومكرر لما ثني من قصصه وانبايه واحكامه
واوامره ونواهيه ووعده ووعيده ومواعظه او جمع مثنى مفعل
من التثنية بمعنى التكرير والاعادة وقيل لانه يثنى في
التلاوة فلا يمل كما جا في وصفه لا يخلق على كثرة الرد فان قيل
كيف وصف كتاب وهو مفرد بالجمع اجيب بان الكتاب جملة ذات
تفاصيل وتفاصيل الشي هي جملته لا غير الا ترى انك تقول القران
اسباع واخماس وسور وايات فكذلك تقول اقاصيص واحكام
ومواعظ مكررات ونظيره قولك الانسان عظام وعروق واعصاب
الا انك نزلت الموصوف الى الصفة واصله كتابا متشابها فصولا
مثاني ويجوز ان يكون مثاني منتصبا على التمييز من متشابها
كما تقول رجلا حسنا شمايل فان قيل ما فايدة التثنية والتكرير
اجيب بان النفوس انفر شي عن حديث الوعظ والنصيحة فما لم يكرر
عليها عودا عن بدء لم يرسخ فيها ولم يعمل عمله ومن ثم كانت عادة
رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يكرر عليهم ما كان يعظ به وينصح ثلاث

مراة وسبعا ليركزه في قلوبهم ويغرسه في صدورهم تقشعر اي تضطرب
وتشمئز منه عند ذكر وعيده جلود اي ظواهر اجسام الذين
يخشون اي يخافون ربهم والمعنى اذا ذكرت ايات الرحمة لانت و
سكنت قلوبهم كما قال الا بذكر الله تطمئن القلوب روي عن
رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال اذا اقشعر جلد العبد من خشية الله
تعالى تحاتت عنه ذنوبه كما يتحات عن الشجرة اليابسة ورقها
وفي رواية حرمه الله على النار قال قتادة هذا نعت اوليا الله تعالى
نعتهم الله تعالى بان تقشعر جلودهم وتطمين قلوبهم بذكر الله ولم
ينعتهم بذهاب عقولهم والغشيان عليهم انما ذلك في اهل البدع وهو
من الشيطان وعن عبد الله ابن عروة ابن الزبير قال قلت لجدتي
اسما بنت ابي بكر كيف كان اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يفعلون
اذا قرئ عليهم القران قالت كانوا كما نعتهم الله تعالى تدمع اعينهم
وتقشعر قلوبهم قال فقلت لها ان ناسا اليوم اذا قرئ عليهم القران
خر احدهم مغشيا عليه قالت اعوذ بالله من الشيطان الرجيم
وروي ان ابن عمر مر برجل من اهل العراق ساقط فقال ما بال هذا فقالوا
انه اذا قرئ عليه القران او سمع ذكر الله سقط فقال انا لنخشى الله تعالى
وما نسقط وقال ابن عمر ان الشيطان يدخل في جوف احدهم ما كان هذا
صنيع اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وذكر ابن سيرين الذين يصر
اذا قرئ عليهم القران فقال بيننا وبينهم ان يقعد احدهم على ظهر بيت
باسطا رجليه ثم يقرا عليه القران من اوله الى اخره فان رمى بنفسه
فهو صادق فان قيل لم ذكرت الجلود وحدها اولا في جانب الخوف
ثم قرنت بها القلوب ثانيا في جانب الرجا اجيب بان الخشية التي محلها
القلوب اذا ذكرت فقد ذكرت القلوب فكانه قيل تقشعر جلودهم
من ايات الوعيد وتخشى قلوبهم في اول وهلة واذا ذكر الله تعالى ومبنى
امره على الرافة والرحمة استبدلوا بالخشية رجا في قلوبهم وبالقشعر

لوا
عوث
برغ

ينا في جلودهم فان قيل ما وجه تعدية لان بالي الي ذكر الله تعالي فا
ن قيل قال تعالي الي ذكر الله ولم يقل الي رحمة الله اجيب بان من
احب الله تعالي لاجل رحمته فهو ما احب الله تعالي وانما احب شيئا
غيره واما من احب الله تعالي لا لشي سواه فهو المحب الحق وهي الدرجة
العالية كما قال تعالي الا بذكر الله تطمئن القلوب ذلك اي القران
الذي هو احسن الحديث هدي الله الذي له صفات الكمال يهدي به من
يشاء اي وهو الذي شرح الله صدره تعالي اولا لقبول الهداية ومن
يضلل الله اي يجعل قلبه قاسيا مظلما فما له من هاد اي يهديه وقرا
ابن كثير في الوقف باثبات اليا بعد الدال والباقون بغير ياء واتفقوا
في الوصل علي عدم اليا ولما حكم الله تعالي علي القاسية قلوبهم بحكم في
الدنيا وهو الضلال التام حكم عليهم في الاخرة بحكم اخر وهو العذاب
الشديد فقال افمن يتقي بوجهه سوء اي شدة العذاب اي يجعله
درقة يتقي به نفسه لانه تكون يداه مغلولة الي عنقه يوم القيامة
فلا يتعذر ان يتقي الا بوجهه وقال مجاهد يجر علي وجهه في النار وقال
عطا يرمي به في النار منكوسا فاول شي يلقي في النار وجهه وقيل
يلقي في النار مغلولة يداه الي عنقه وفي عنقه صخرة عظيمة من كبريت
مثل الجبل العظيم فتشتعل النار في تلك الصخرة وفي عنقه فحرها و
وهجها علي وجهه لا يطيق دفعها عنه للاغلال التي في يديه وعنقه و
قيل المراد بالوجه الجملة وقيل نزلت في ابي جهل ومعني
الاية افمن يتقي بوجهه سوء العذاب كمن امن من العذاب بدخول
الجنة فحذف الخبر كما حذف في نظايره وقيل اي تقول الخزنة للظا
لمين اي الكافرين وكان الاصل لهم فوضع الظاهر موضعه تسجيلا
عليهم بالظلم ذوقوا ما اي وبال الذي كنتم تكسبون اي تعملون
في الدنيا من المعاصي ولما بين الله تعالي كيفية عقاب القاسية قلوبهم
في الاخرة وبين كيفية وقوعهم في العذاب قال تعالي كذب الذين

واشار

واشار الي قرب زمان المعذبين من زمانهم بادخال الجار فقال تعالي من
قبلهم اي من قبل كفار مكة اي مثل سبا وقوم تبع كذبوا رسلهم فاتيا
العذاب فاتاهم العذاب من حيث لا يشعرون اي من جهة لا يخطر ببالهم
ان الشر ياتيهم منها فاذاقهم الله الذي له القدرة الكاملة الخزي الذل
والهوان من المسخ والقتل وغيرهما في الحياة الدنيا اي العاجلة الدنية
ولعذاب الاخرة اي المعد لهم اكبر اي من ذلك الذي وقع بهم في الد
لو كانوا يعلمون اي عذابها ما كذبوا ولكن لا علم لهم اصلا بل هم كالانعام
بل هم اضل سبيلا ولما ذكر تعالي هذه الفوايد الكثيرة في هذه المطالب بين
ان هذه البيانات بلغت حد الكمال والتمام فقال ولقد ضربنا اي جعلنا
للناس اي عامة لان رسالته صلي الله عليه وسلم عامة في هذا القران الجا
لكل علم وخير من كل مثل اي يحتاج اليه الناظر في امر دينه لعلهم يتذكرون
يتعظون به وقرا قالون وابن كثير وعاصم باظهار الدال عند الضاد
والباقون بالادغام وقوله تعالي قرانا عربيا فيه ثلاثة اوجه احدها
ان يكون منصوبا علي المدح لانه لما كان نكرة امتنع اتباعه للقران ثا
ان ينتصب بيتذكرون اي يتذكرون قرانا ثالثها ان ينتصب
علي الحال من القران علي انها حال موكدة وتسمي حالا موطية لان الحال
في الحقيقة عربيا وقرانا توطية له نحو جاء زيد رجلا صالحا غير ذي
عوج اي مستقيما بريا من التناقض والاختلاف نعت لقرانا او
حال اخري فان قيل هلا قيل مستقيما او غير معوج اجيب بان في
ذلك فايدتين احداهما نفي ان يكون فيه عوج قط كما قال تعالي
ولم يجعل له عوجا ثانيهما ان لفظ العوج يختص بالمعاني دون الا
عيان وقيل المراد بالعوج الشك واللبس قال القايل ٥ وقد اتاك
يقين غير ذي عوج ٥ من الاله وقوله غير مكذوب ٥ لعلهم يتقون
اي الكفر ولما وصف تعالي القران بثلاث صفات اولها كونه
قرانا والمراد كونه متلوا في المحاريب الي قيام الساعة ثانيها كونه

ن
نيا
اي المكذبون هم
مع
نيها

عربيا اي انه اعجز الفصحا والبلغا عن معارضته كما قال تعالى قل لين
الانس والجن على ان ياتوا بمثل هذا القران لا ياتون بمثله ثنا انتها كونه
غير ذي عوج قال مجاهد غير ذي لبس وقال ابن عباس غير مختلف وقال
السدي غير مخلوق ويروى ذالك عن مالك ابن انس وحكى شقيق
وابن عيينة عن سبعين من التابعين ان القران ليس بخالق ولا
مخلوق ولما شرح الله تعالى وعيد الكفار مثل لما يدل على فساد مذهبهم
وقبيح طريقتهم بقوله تعالى ضرب الله اي الذي له المدح كله مثلا
اي للمشرك والموحد وقوله تعالى رجلا بدل من مثلا وقوله تعالى
فيه شركاء يجوز ان تكون الجملة من مبتدا وخبر في محل نصب صفة
لرجل ويجوز ان يكون الوصف الجار وحده وشركا فاعل به قال ابن
عادل وهو اولى لقربه من المفرد وقوله تعالى متشاكسون صفة
لشركا والتشاكس التخالف واصله سوء الخلق وعسره وهو سبب
التخالف اي متنازعون مختلفون سيئة اخلاقهم يقال رجل
شكس شرس اذا كان سيء الخلق مخالفا للناس لا يرضى بالانصاف
ورجلا سالما اي خالصا من نزاع لرجل اي خالصا له لا شريك فيه
ولا منازع وقرا ابن كثير وابو عمرو بالف بعد السين وكسر اللام بعدها
والباقون بغير الف وفتح اللام وهو الذي لا ينازع فيه من قولهم هو
لك سلم اي مسلم لا منازع لك فيه وقوله تعالى هل يستويان
استفهام انكاري اي لا يستويان وقوله تعالى مثلا تمييز والمعنى
اضرب لقومك مثلا وقل لهم ما تقولون في رجل مملوك لشركا بينهم
اختلاف وتنازع وكل واحد يدعي انه عبده فهم يتجاذبونه حوايجهم
وهو متحير في امره وكلما رضي احدهم غضب الباقون واذا احتاج
اليهم كل واحد يرده الى الاخر فبقي متحيرا لا يعرف ايهم اولى بان يطلب
رضاه وايهم يعينه في حاجاته فهو بهذا السبب في عذاب اليم واخر
له مخدوم واحد يخدمه على سبيل الاخلاص وذلك المخدوم يعينه

على

على مهماته فاي هذين العبدين احسن حالا لا شك ان هذا اقرب الى
الصلاح من حال الاول فان الاول مثل المشرك والثاني مثل الموحد وهذا
في غاية الحسن في تحسين المشرك وتحسين الموحد فان قيل هذا
المثال لا ينطبق على عبادة الاصنام لانها جمادات فليس بينها منا
زعة ولا تشاكس اجيب بان عبدة الاصنام مختلفون منهم من يقو
ل هذه الاصنام تماثيل الكواكب السبعة فهم في الحقيقة انما يعبد
ون الكواكب السبعة وهم يثبتون بينها منازعة ومشاكسة الا
ترى انهم يقولون زحل هو النحس الاعظم والمشتري هو السعد الاعظم
ومنهم من يقول هذه الاصنام تماثيل الارواح الفلكية والقايلون
بهذا القول زعموا ان كل نوع من انواع حوادث هذا العالم يتعلق
بروح من الارواح السماوية وحينئذ يحصل بين تلك الارواح منا
زعة ومشاكسة فيكون المثال مطابقا ومنهم من يقول هذه الاصنام تما
ثيل الاشخاص من العلما والزهاد فهم يعبدون هذه التماثيل
ليصيروا اولئك الاشخاص من العلما والزهاد شفعاء لهم عند الله
تعالى والقايلون بهذا القول تزعم كل طايفة ان المحق هو ذلك
الرجل الذي هو على دينه وان من سواه مبطل على هذا التقدير ايضا
ينطبق المثال ولما بطل القول باثبات الشركا والانداد وثبت انه
لا اله الا الواحد الاحد الحق قال تعالى الحمد اي الاحاطة باوصاف الكمال
لله اي كل الحمد لله الذي مكافي له لا يشاركه فيه على الحقيقة سواه لانه
المنعم بالذات والمالك على الاطلاق بل اكثرهم اي اهل مكة لا يعلمون
اي ما يصيرون اليه من العذاب فيشركون به غيرهم من فرط جهلهم
وقول البغوي والمراد بالاكثر الكل ليس بظاهر ولما كان كفار مكة
يتربصون موت رسول الله صلى الله عليه وسلم اخبر الله تعالى بان الموت
يعمهم جميعا بقوله تعالى انك ميت اي ستموت وخصه الله تعالى
بالخطاب لان الخطاب اذا كان للرئيس كان اصداعا لاتباعه فكان

موضع كان للاتباع وخص نبيه صلى الله عليه وسلم بالخطاب دونهم فهم المخا
طبون في الحقيقة على وجه ابلغ وانهم ميتون اي سيموتون فلا
معنى للتربص وشماتة الفاني بالفاني فايدة قال الفرا الميت
بالتشديد من لم يمت وسيموت والميت بالتخفيف من فارقته الروح و
لذالك لم يخفف هنا وقوله تعالى ثم انكم فيه تغليب المخاطب على
الغايب يوم القيامة عند ربكم اي المربي لكم بالخلق والرزق ٥
تختصمون فتحتج انت عليهم بانك بلغت وكذبوا واجتهدت
في الارشاد والتبليغ فلجوا في التكذيب والعناد ويعتذرون
بالا باطيل فيقول الاتباع اطعنا سادتنا وكبرانا ويقول السا
دات اغوتنا اباونا الاقدمون والشياطين ويجوز ان يكون ٥
المراد به الاختصام العام وجرى عليه الجلال المحلي وهو اولى وان
رجح الاول الكشاف لما روي عن عبد الله ابن الزبير لما نزلت هذه
الاية قال يا رسول الله انكون علينا الخصومة بعد الذي كان علينا في الد
قال نعم فقال ان الامر اذا لشديد وقال ابن عمر عشنا برهة من الدهر
وكنا نرى ان هذه الاية نزلت فينا وفي اهل الكتابين قلنا كيف
تختصم ودينا واحد وكتابنا واحد حتى رايت بعضنا يضرب وجوه
بعض بالسيف فعرفت ان فينا نزلت وعن ابي سعيد الخدري في
هذه الاية قال كنا نقول ربنا واحد ودينا واحد فما هذه الخصو
فلما كان يوم صفين وشد بعضنا على بعض بالسيوف قلنا هو هذا
وعن ابراهيم النخعي قال لما نزلت قالت الصحابة كيف تختصم ونحن
اخوان فلما قتل عثمان قالوا هذا خصومتنا وعن ابي العالية نزلت
في اهل القبلة وعن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
من كانت لاخيه عنده مظلمة من عرض او مال فليستحله اليوم قبل
ان يوخذ منه يوم لا دينار ولا درهم فان كان له عمل صالح اخذ منه ٥
بقدر مظلمته وان لم يكن له اخذ من سياته فجعلت عليه وعن ابي ٥

هريرة

هريرة ايضا قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اتدرون من المفلس قالوا
المفلس فينا من لا درهم له ولا متاع قال ان المفلس من اتى من يا تي يوم
القيامة بصلاة وصيام وزكاة وكان قد شتم هذا وقذف هذا واكل
مال هذا وسفك دم هذا وضرب هذا فيعطى هذا من حسناته وهذا
من حسناته فان فنيت حسناته قبل ان يقضي ما عليه اخذ من خطايا
فطرحت عليه ثم طرح في النار ثم انه تعالى بين نوعا اخر من قبايح
افعالهم بقوله تعالى فمن اي لا احد اظلم اي منهم هكذا كان الاصل و
لكنه كان قال تعالى ممن كذب تعميما على الله اي الذي الكبريا رداوه
والعظمة ازاره بنسبة الولد والشريك اليه وكذب اي اوقع التكذ
لكل من اخبره بالصدق اي بالامر الذي هو الصدق بعينه وهو ما جا به
محمد صلى الله عليه وسلم اذ جاءه اي فاجاه بالتكذيب كما سمعه من غير
وقفة ولا اعمال روية بتمييز بين حق وباطل كما يفعل اهل النصفة
فيما يسمعون وقرا نافع وابن كثير وابن ذكوان وعاصم باظهار الذا
عند الجيم والباقون بالادغام ثم اردف ذالك بالوعيد فقال اليس
في جهنم اي النار التي تلقى داخلها بالتجهم والعبوسة كان بلغ الحق
واهله مثوى اي ماوى للكافرين اي لهولا الذين كذبوا على الله وكذ
بالصدق واللام في للكافرين اشارة اليهم والاستفهام بمعنى التقر
التقرير ولما ذكر من افترى وكذب ذكر مقابله وهو الذي جا بالصد
وصدق به بقوله تعالى والذي جا بالصدق قال قتادة ومقاتل هو
النبي صلى الله عليه وسلم وصدق به هم المومنون فالذي بمعنى الذين
ولذا لذا روعي معناه فجمع في قوله تعالى اولئك اي العالون الرتبة
هم المتقون اي الشرك كما روعي معنى من في قوله تعالى للكافرين
فان الكافرين ظاهر واقع موقع المضمر اذ الاصل مثوى لهم وكما
في قوله تعالى مثلهم كمثل الذي استوقد نارا ثم قال تعالى ذهب
الله بنورهم قال الزمخشري ويجوز ان يريد الفوج او الفريق الذي

جاء

بالصدق وصدق به وهم الرسول الذي جا بالصدق وصحابته الذين
صدقوا به انتهى قال ابو حيان وفيه توزيع للصلة والموصول هو
الموصول فهو كقولك جاء الفريق الذي شرف وشرق والاظهر عدم
التوزيع بل المعطوف على الصلة صلة لمن له الصلة الاولى وفيل
بل الاصل والذين جاء بالصدق فحذفت النون تخفيفا كقوله تعالى
كالذي خاضوا قال ابن عادل وهذا وهم اذ لو قصد ذلك لجا بعده
ضمير الجمع فكان يقال والذي جاؤا لقوله تعالى كالذي خاضوا ويدل
عليه ان نون التثنية اذا حذفت عاد الضمير مثنى كقوله ابني
كليب ان عمي اللذا ❊ قتل الملوك وفككا الاغلالا ❊ وقال ابن
عباس والذي جاء بالصدق يعني ان رسول الله صلى الله عليه وسلم بلا
له الا الله وصدق به الرسول ايضا بلغه الى الخلق وقال السدي
والذي جا بالصدق جبريل عليه السلام جا بالقران وصدق به محمد
صلى الله عليه وسلم تلقاه بالقبول وقال ابو العالية والكلبي والذي
جا بالصدق رسول الله صلى الله عليه وسلم وصدق به ابو بكر رضي الله عنه
وقال عطا والذي جا بالصدق الانبيا وصدق به الاتباع و
قال الحسن هم المومنون صدقوا به في الدنيا وجاؤا به في الاخرة و
قوله تعالى لهم ما يشاؤن اي من انواع الكرامات عند ربهم اي
في الجنة يدل على حصول الثواب على اكمل الوجوه ذلك اي هذا الجزا
جزا المحسنين لانفسهم بايمانهم وقوله تعالى ليكفر الله عنهم يدل
على سقوط العذاب عنهم على اكمل الوجوه ومعنى تكفيرها اي يسترها
عليهم بالمغفرة تنبيه في تعلق هذه اللام وجهان احدهما
انها متعلقة بمحذوف اي يسر لهم ذلك ليكفر ثانيهما انها
متعلقة بنفس المحسنين كانه قيل الذين احسنوا ليكفر اي لاجل
التكفير وقوله تعالى اسوا الذي اي العمل الذي عملوا فيه مبالغة
فانه اذا كفر كان غيره اولى بذلك او للايذان بان الشي الذي يفرط

منهم

منهم من الصغاير والزلات المكفرة هو عندهم الاسوا لاستعظامهم
المعصية او انه بمعنى السي كما جرى عليه الجلال المحلي كقولهم الناقص و
الاشج اعدلا بني مروان اي عادلاهم اذ ليس المراد انه التفضيل
والناقص هو محمد الخليفة سمي بذلك لانه نقص اعطية القوم
والاشج هو عمر ابن عبد العزيز سمي بذلك لانه لشجة اصابته را سه
ويجزيهم اجرهم اي ويعطيهم ثوابهم باحسن الذي اي العمل الذي
كانوا يعملون اي فيعد لهم محاسن اعمالهم باحسنها في زيادة الاجر
الحسن وقوله تعالى اليس الله اي الجامع لصفات الكمال كلها المنعوت
بنعوت العظمة والجلال بكاف عبده اي الخالص له استفهام انكار النفي
مبالغة في الاثبات وقرا حمزة والكسائي بكسر العين وفتح البا الموحدة
والف بعدها على الجمع وقرا الباقون بفتح العين وسكون البا على
الافراد فقراة الافراد محمولة على النبي صلى الله عليه وسلم وقراة ا
لجمع على جميع الانبيا عليهم الصلاة والسلام فان قومهم قصدو هم
بالسوا كما قال تعالى وهمت كل امة برسولهم لياخذوه وكفاهم الله شر
من عاداهم ويحتمل ان يراد بقراة الافراد الجنس فيساوي قراة
الجمع وقيل المراد ان الله تعالى كفى نوحا عليه السلام الغرق
وابراهيم عليه السلام الحرق ويونس عليه السلام بطن الحوت
فهو سبحانه وتعالى كافيك يا محمد كما كفى هولا الرسل قبلك ويخو
فونك اي عبدة الاصنام بالذين من دونه وذلك ان قريشا
خوفوا النبي صلى الله عليه وسلم معادات الاوثان وقالوا لتكفن
عن شتم الهتنا او ليصيبنك منهم خبل او جنون فانزل الله تعالى
هذه الاية ويروى انه صلى الله عليه وسلم بعث خالدا الى العزى ليكسرها
فقال له سادنها اي خادمها احذركها يا خالد ان لها شدة لا يقوم
لها شي فعمد خالد اليها فهشم انفها فنزلت هذه الاية ولما شرح الله
الوعد والوعيد والترغيب والترهيب ختم الكلام بخاتمة هي الفصل

فقال تعالى شأنه ومن يضلل الله اي الذي له الامر كله فما له من هاد
اي يهديه الى الرشاد ومن يهد الله فما له من مضل اي فهذه الدلايل
والبينات لا تنفع الا اذا خص الله العبد بالهداية والتوفيق اذ لا راد
لفعله كما قال تعالى أليس الله الذي بيده كل شيء بعزيز اي غالب على امره
ذي انتقام اي من اعدايه بلى هو كذلك وفي هذا تهديد للكفار
ولما بين تعالى وعيد المشركين ووعد الموحدين عاد الى اقامة الدليل
على تزييف طريق عبدة الاوثان وهذا الترتيب مبني على اصلين
الاول ان هولا المشركين مقرون بوجود الاله القادر العالم الحكيم
الرحيم وهو المراد من قوله تعالى ولئن سألتهم اي من اثبت منهم
افرادي او مجموعين واللام لام القسم من خلق السموات اي على
ما لها وعليها من الاتساع والعظمة والارتفاع والارض اي على ما لها
من العجايب وفيها من الانتفاع ليقولن الله اي وحده لوضوح البر
هان على تفرده بالخالقية قال بعض العلما العلم بوجود الاله
القادر الحكيم الرحيم علم متفق عليه بين جمهور الخلايق لا نزاع بينهم
فيه وفطرة العقل شاهدة بصحة هذا العلم فان من تامل في عجايب
بدن الانسان وما فيه من انواع الحكم الغريبة والمصالح العجيبة
علم انه لا بد من الاعتراف بالاله القادر الحكيم الرحيم والاصل الثاني
ان هذه الاصنام لا قدرة لها على الخير والشر وهو المراد من قوله تعالى
قل افرأيتم اي بعدما تحققتم ان خالق العالم هو الله تعالى ما
تدعون اي تعبدون من دون الله اي الذي هو ذي الجلال والاكرام ان
ارادني الله اي الذي لا راد لامره بضر اي بشدة وبلا هل هن كاشفات
ضره اي لا تقدر على ذلك او ارادني برحمة اي بعافية وبركة
هل هن ممسكات رحمته اي لا تقدر على ذلك فثبت انه لا بد من الا
قرار بوجود الاله القادر الحكيم الرحيم قال مقاتل فسألهم النبي صلى
الله عليه وسلم عن ذلك فسكتوا وقرا ابو عمرو بتنوين التاء من كاشفات

وممسكات

وممسكات ونصب الواقع ضره ونصب التا ورفع الهاء من رحمته والباقون
بغير تنوين فيهما وكسر الرا والها من ضره والتا والهاء من رحمته واذا
كانت هذه الاصنام لا قدرة لها على الخير والشر كانت عبادة الله تعالى
كافية والاعتماد عليه كافيا وهو المراد من قوله تعالى قل حسبي الله
اي ثقتي به واعتمادي عليه يتوكل المتوكلون اي يثق الواثقون
فان قيل قال تعالى كاشفات وممسكات على التانيث بعد قوله
تعالى ويخوفونك بالذين من دونه اجيب بانه انثها تحقير المعابد
من دونه ولانهم كانوا يسمونها باسماء الاناث وهي اللات والعزى
ومناة قال الله تعالى افرأيتم اللات والعزى ومناة الثالثة الاخرى
الكم الذكر وله الانثى وقوله تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم قل يا قوم
اي الذين ارجوهم عند الملمات وفيهم كفاية في القيام بما يحاولون
اعملوا على مكانتكم اي على حالتكم فيه تهديد اي الكم تعتقدون
في انفسكم انكم في نهاية القوة والشدة فاجتهدوا في انواع مكركم
وكيدكم وقرا شعبة بالف بعد النون جمعا والباقون بغير الف افرادا اني
عامل اي في تقرير ديني فسوف تعلمون اي بوعد لا خلف فيه من ياتيه منا
ومنكم بسبب اعماله عذاب يخزيه فان خزي اعدايه دليل عليه و
يحل اي ينزل عليه عذاب مقيم اي دايم وهو عذاب النار تنبيه
المكانة بمعنى المكان فاستعيرة عن العين للمعنى كما استعار لفظ هنا
وحيث للزمان وهما للمكان فان قيل حق الكلام اني عامل على
مكانتي فلم حذف اجيب بانه حذف للاختصار وللايذان بان حاله
لا تقف وتزداد كل يوم قوة وشدة لان الله تعالى ناصره ومعينه و
مظهره على الدين كله الا ترى قوله تعالى فسوف تعلمون توعدهم بكونه
منصورا عليهم غالبا عليهم في الدنيا والاخرة ولما بين تعالى في هذه
الايات فساد مذاهبهم اي المشركين تارة بالدلايل وتارة بضرب
الامثال وتارة بذكر الوعد والوعيد وكان صلى الله عليه وسلم يعظم عليه

اصرارهم علي الكفر كما قال تعالي فلعلك باخع نفسك علي اثارهم وقال
تعالي فلا تذهب نفسك عليهم حسرات اردفه بكلام يزيل ذلك الحزن
العظيم عن قلب رسول الله صلي الله عليه وسلم فقال تعالي انا انزلنا اي بما لنا
من العظمة والقدرة التامة عليك يا اشرف الخلق الكتاب الكا
مل الشرف للناس اي لاجلهم فانه مناط مصالحهم في معاشهم ومعادهم
فهو للناس عامة لان رسالتك عامة وجعلنا انزاله مقرونا بالحق
اي بالصدق وهو المعجز الذي يدل علي انه من عند الله فمن اهتدي اي
طاوع الهادي فلنفسه فنفعه يعود الي نفسه ومن ضل اي وقع
في الضلال بمخالفته فانما يضل عليها اي فضرر ضلاله يعود اليه
ولما دل السياق علي ان التقدير فما انت عليهم بجبار لتقهرهم علي الهدي
عطف عليه قوله تعالي وما انت عليهم بوكيل اي لست مامورا بان
تحملهم علي الايمان علي سبيل القهر بل القبول وعدم القبول مفوض
اليهم واذ ذلك تسلية لرسول الله صلي الله عليه وسلم ولان الهداية
والضلال من العبد لا يحصلان الا من الله تعالي لان الهداية
تشبه الحياة واليقظة والضلال يشبه الموت والنوم فكما ان
الحياة واليقظة لا يحصلان الا بخلق الله تعالي كذلك الضلال لا
يحصل الا من الله تعالي ومن عرف هذه الدقيقة فقد عرف سر الله تعالي
في القدر ومن عرف سر الله تعالي في القدر هانت عليه المصايب ولما
بين سبحانه ان الهداية والضلال يتعلقان به قال تعالي الله اي الذي
له مجامع الكمال وليس لشيء من النقص اليه سبيل يتوفي الانفس
اي الارواح حين موتها اي موت اجسادها وتوفيها اماتتها
وهي ان تسلب ما هي به حية حساسة دراكة من صحة اجزائها وسلا
متها لانها عند سلب الصحة كان ذاتها قد سلبت وقوله تعالي والتي
لم تمت في منامها عطف علي الانفس اي يتوفي الانفس حين موتها
ويتوفي ايضا الانفس التي لم تمت في منامها ففي منامها ظرف

يتوفي

نسخة ومن ضل

يتوفي اي يتوفاها حين تنام تشبيها للنائمين بالموتي ومنه قوله
تعالي وهو الذي يتوفاكم بالليل حتي تتميزون ولا تتصرفون كما ان الموتي
كذلك فالذي تتوفي عند النوم هي النفس التي يكون بها العقل والتمييز
ولكل انسان نفسان احداهما نفس الحياة وهي التي تفارقه عند الموت
ويزول بزوالها النفس والاخري هي النفس التي تفارقه اذا نام وهو
بعد النوم يتنفس فيمسك التي قضي عليها الموت فلا يردها الي
جسدها وقرا حمزة والكسائي بضم القاف وكسر الضاد وفتح اليا
بعد الضاد ورفع التاء من الموت والباقون بفتح القاف والضاد و
سكون اليا بعد الضاد ونصب الموت ويرسل الاخري اي يردها
الي جسدها وهي التي لم يقض عليها الموت الي اجل مسمي اي الي الو
قت الذي ضرب لموتها وقيل يتوفي الانفس يستوفيها ويقبضها
وهي النفس التي تكون معها الحياة والحركة ويتوفي الانفس
التي لم تمت في منامها وهي انفس التمييز قالوا والتي يتوفي في
النوم هي نفس التمييز لا نفس الحياة ولان نفس الحياة اذا زالت
زال معها النفس والنائم يتنفس وروي عن ابن عباس في ابن
ادم نفس وروح بينهما مثل شعاع الشمس فالنفس التي بها العقل
والتمييز والروح التي بها النفس والتحريك فاذا نام العبد
قبض الله تعالي نفسه ولم يقبض روحه قال الزمخشري ما ذكر ولا
لان الله تعالي علق التوفي والموت والمنام جميعا بالانفس وما عنو
بنفس الحياة والحركة ونفس العقل والتمييز غير متصف بالموت
والنوم وانما الجملة هي التي تموت وهي التي تنام انتهي ويروي
عن علي قال يخرج الروح عند النوم ويبقي شعاعه في الجسد فبذلك
يري الرويا فاذا انتبه من النوم عاد الروح الي جسده باسرع
من لحظة ويقال ان ارواح الاحيا والاموات تلتقي في المنام
فتتعارف ما شا الله فاذا ارادت العود الي جسدها امسك الله

تعالى ارواح الاموات عنده وارسل ارواح الاحيا حتى ترجع الى اجا دها
اي الى اجل مدة حياتها وعن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم اذا اوى احدكم الى فراشه فليقض فراشه بداخل
ازاره فانه لا يدري ما خلفه عليه ثم يقول اللهم باسمك
ربي وضعت جنبي وبك ارفعه ان امسكت نفسي فارحمها وان
ارسلتها فاحفظها بما تحفظ به الصالحين ان في ذلك اي
التوفي والامساك والارسال لايات اي دلالات على كمال قد
رته وحكمته ورحمته وقال مقاتل لعلامات لقوم يتفكرون
اي فيعلمون ان القادر على ذلك قادر على البعث فان قيل
قوله تعالى الله يتوفى الانفس يدل على ان المتوفي هو الله تعالى و
يؤيده قوله تعالى الذي خلق الموت والحياة وقوله تعالى عن ابرا
هيم ربي الذي يحيي ويميت وقال تعالى في اية اخرى اذا جا احدكم
الموت توفته رسلنا فكيف الجمع اجيب بان المتوفي في الحقيقة
الله تعالى الا انه تعالى فوض كل نوع الى ملك من الملائكة ففو هو
ض قبض الارواح الى ملك الموت وهو الرئيس وتحته اتباع
وخدم فاضيف التوفي في اية الى الله تعالى وهي الاضافة الحقيقة
وفي اية الى ملك الموت لانه الرئيس في هذا العمل وفي اية الى
اتباعه ثم ان الكفار اوردوا على هذا الكلام سوالا قالوا نحن
لا نعبد هذه الاصنام لاعتقاد انها تضر وتنفع وانما نعبدها
لاجل انها تماثيل لاشخاص كانوا عند الله تعالى من المقربين فنحن
نعبدها ليشفع لنا اوليك المقربون عند الله تعالى فاجاب الله
سبحانه عنه بقوله تعالى ام اتخذوا اي كلفوا انفسهم بعد وضو ح
الدلايل عندها ان اتخذوا من دون الله اي الذي لا مكافي له و
لا مداني شفعاء اي تشفع لهم عند الله تنبيه ام منقطعة
فتقدر ببل والهمزة قل يا اشرف الخلق لهولاء البعدا اولوا اي

ايشفعوا

ايشفعوا ولو كانوا لا يملكون شيا اي من الشفاعة وغيرها ولا يعقلو ن
اي انكم تعبدونهم ولا غير ذلك وجواب هذا محذوف تقديره و
ان كانوا بهذه الصفة يتخذونهم قل اي لهم لله اي الذي له كمال
القدرة والعظمة الشفاعة جميعا اي هو مختص بها فلا يشفع
احد الا باذنه ثم قرر ذلك فقال له ملك السموات والارض
اي فانه مالك الملك كله لا يملك احد ان يتكلم دونه اذنه ورضا ه
ثم اليه ترجعون اي يوم القيامة فيكون الملك له ايضا حينئذ ثم
ذكر تعالى نوعا اخر من اعمال المشركين القبيحة بقوله تعالى واذ
كر الله اي لا اله غيره وحده اي دون الهتهم اشمازت قال
ابن عباس ومجاهد انقبضت وقال قتادة استكبرت واصل
الاشمئزاز النفور والاستكبار اي انفردة واستكبرت قلوب الذ ين
لا يومنون بالاخرة اي لا يومنون بالبعث واذا ذكر الذين من
دونه اي الاصنام اذا هم يستبشرون اي يفرحون لفرط افتتا نهم
ونسيانهم حق الله تعالى ولقد بالغ في الامرين حد الغاية فيهما
فان الاستبشار ان يمتلي قلبه سرورا حتى تنبسط له بشرة
وجهه والاشمئزاز ان يمتلي غيظا وهما حتى ينقبض اديم
وجهه قال مجاهد ومقاتل وذلك حين قرا النبي صلى الله عليه وسلم
سورة النجم والقى الشيطان في امنيته تلك الغرانيق العلا ففر
ح به المشركون وقد تقدم الكلام على ذلك في سورة الحج تنبيه
قال الزمخشري فان قلت ما العامل في اذا ذكر قلت العامل في اذا
المفاجاة تقديره وقت ذكر الذين من دونه فاجاوا وقت الاستبشار
قال ابو حيان اما قول الزمخشري فلا اعلمه من قول من ينتمي
الى النحو وهو ان الظرفين معمولان لفاجاوا ثم اذا الاولى تنتصب
على الظرفية والثانية على المفعول به ولما حكى الله تعالى عن هولا الكفا ر
هذا الامر العجيب الذي تشهد فطرة العقل بفساده اردفه بذ كر

الدعا العظيم فقال تعالى قل اللهم اي يا الله فاطر السموات والارض
اي مبدعهما من العدم اي التجا الى الله في الدعا لما تحيرت في امره و
عجزت في عنادهم وشدة شكيمتهم فانه القادر على الاشيا والعالم
بالاحوال كلها عالم الغيب والشهادة وصف تعالى نفسه بكمال القدرة
وكمال العلم انت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون اي
من امر الدين وعن الربيع ابن خيثم وكان قليل الكلام اخبر بقتل
الحسين وسخط على قاتله وقالوا الان يتكلم فما زاد على ان قال آه
او قد فعلوا وقرا الاية وروي انه قال على اثرها وقتل من كان رسول
الله صلى الله عليه وسلم يجلسه في حجره ويضع فاه على فيه وعن ابي سلمة
قال سالت عايشة بم كان يفتتح رسول الله صلى الله عليه وسلم صلاته
بالليل قالت كان يقول اللهم رب جبريل وميكائيل واسرافيل فاطر
السموات والارض عالم الغيب والشهادة انت تحكم بين عبادك
فيما كانوا فيه يختلفون اهدني لما اختلف فيه من الحق باذنك
انك تهدي من تشا الى صراط مستقيم ولما حكى الله تعالى عنهم
هذا المذهب الباطل ذكر في وعيدهم اشيا اولها قوله تعالى
ولو ان للذين ظلموا اي انفسهم بالكفر ما في الارض جميعا اي من الاموال ل
ومثله معه لافتدوا اي اجتهدوا في طلب ان يفدوا انفسهم به من
سوء العذاب يوم القيامة وهذا الوعيد شديد واقناط كلي لهم
من الخلاص روى الشيخان عن انس ان النبي صلى الله عليه وسلم قال يقول
تعالى لاهون اهل النار عذابا لو ان لك ما في الارض من شي لكنت
تفتدي به فيقول نعم فيقول الله قد اردت منك وفي رواية سالتك
اهون من هذا وانت في ظهر ادم ان لا تشرك بي شيا فابيت الا ان
تشرك قوله اردت اي فعلت معك الامر فعل المريد وهو معنى قوله
في رواية قد سالتك ثانيها قوله تعالى وبدا لهم اي الملك الاعظم
مالم يكونوا يحتسبون اي ظهر لهم انواع من العذاب لم تكن في

حسابهم

حسابهم وفي هذا زيادة مبالغة هو نظير قوله تعالى في الوعد فلا
تعلم نفس ما اخفي لهم من قرة اعين وقوله صلى الله عليه وسلم في الجنة
ما لا عين رات ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر وقال مقاتل
ظهر لهم حين بعثوا ما لم يحتسبوا في الدنيا انه نازل بهم في الا
خرة وقال السدي ظنوا ان اعمالهم حسنات فبدت لهم سيات ت
لانهم كانوا يتقربون الى الله تعالى بعبادة الاصنام حسنات فبدت ت
لهم سيات ثالثها قوله تعالى وبدا لهم اي ظهر ظهورا تاما سيا ت
ما كسبوا اي مساوي اعمالهم من الشرك وظلم اولياء الله تعالى
وحاق اي نزل بهم ما كانوا به يستهزءون اي يطلبون ويوجدون
الهزء من العذاب ثم حكى الله تعالى عنهم طريقة اخرى من طرا
يقهم الفاسدة بقوله تعالى فاذا مس الانسان اي الجنس ضر
اي فقر او مرض او غير ذلك دعانا اي في دفع ذلك فان قيل
ما السبب في عطف هذه الاية بالفا وعطف مثلها في اول السورة
بالواو اجيب بان السبب في ذلك ان هذه وقعت مسببة عن
قوله تعالى واذا ذكر الله وحده اشمازت على معنى انهم يشمئزون ون
عن ذكر الله ويستبشرون بذكر الهتهم فاذا مس احدهم ضر دعا من
اشماز من ذكره دون من استبشر بذكره فقوله تعالى فاذا
مس الانسان معطوف على قوله تعالى واذا ذكر الله وحده وما
بينهما اعتراض موكد لانكار ذلك عليهم هذا محصل كلام
الزمخشري واعترضه ابو حيان بان ابا علي يمنع الاعتراض بجملتين
فكيف بهذه الجمل الكثيرة ثم قال والذي يظهر في الربط انه لما قال
ولو ان للذين ظلموا الاية كان ذلك اشعارا بما ينال الظالمين
من شدة العذاب وانه يظهر لهم يوم القيامة من العذاب اتبع
ذلك بما يدل على ظلمه وبغيه اذ كان اذا مسه ضر دعا الله فاذا ا
حسن اليه لم ينسب ذلك اليه كما قال ثم اذا خولناه اي اعطيناه

نعمة منا اي تفضلا فان التخويل يختص به قال انما اوتيته اي
المنعم به على علم اي على علم من الله تعالى اني له اهل وتحول ان كان
ذلك سعادة في المال او عافية في النفس يقول انما حصل ذلك
بجده واجتهاده وان كان تحنن قال انما حصل بسبب العلاج
العلاجي وان حصل مال يقول حصل بكسبي وهذا تناقض ايضا لانه
لما كان عاجزا محتاجا اضاف الكل الى الله تعالى وفي حال السلامة
والصحة قطعه عن الله تعالى واسنده الى كسب نفسه وهذا تناقض
قبيح بل هي فتنة اي بلية يبتلي بها العبد فان قيل كيف ذكر النعمة
بمعنى المنعم اولا في قوله انما اوتيته ثم استثنا ثانيا اجيب بانه ذكر
اولا لان النعمة بمعنى المنعم به كما مر وقيل تقديره شيا من النعمة
وانث ثانيا اعتبارا بلفظها او لان الخبر لما كان مونثا اعني فتنة
ساغ تانيث المبتدا لاجله لانه في معناه كقولهم ما جاءت حاجتك
وقيل هي اي الحالة او المقولة كما جرى عليه الجلال المحلي او العطية
والنعمة كما قاله البقاعي ولكن اكثرهم اي اكثر هؤلاء القايلين هذا
الكلام لا يعلمون ان التخويل استدراج وامتحان قد قالها اي
القولة المذكورة وهي قوله انما اوتيته على علم لانها كلمة او جملة من
القول الذين من قبلهم اي من الامم الماضية قال الزمخشري هم قارون
وقومه حيث قال انما اوتيته على علم عندي وقومه راضون به فكانهم
قالوها قال ويجوز ان يكون في الامم الماضية اخرون قايلون مثلها فما
اغنى عنهم اي اوليك الماضين ما كانوا يكسبون اي من متاع الدنيا ويجمعون
منه فاصابهم سيئات ما كسبوا اي جزاوها من العذاب ثم اوعد كفار مكة فقال
تعالى والذين ظلموا اي بالعتو من هؤلاء اي من مشركي قومك ومن للبيان
او للتبعيض سيصيبهم سيئات ما كسبوا اي كما اصاب اوليك وما هم
بمعجزين اي فايتين عذابنا فقتل صناديدهم يوم بدر وحبس عنهم
الرزق فقحطوا سبع سنين فقيل لهم اولم يعلموا ان الله اي الذي له الجلال

والجمال

ل

والجمال يبسط الرزق اي يوسعه لمن يشاء وان كان لا حيلة له ولا
قوة امتحانا ويقدر اي يضيق لمن يشاء وان كان قويا شديد الحيلة و
يدل على ذلك انا نرى الناس مختلفين في سعة الرزق وضيقه فلا بد لذا
من سبب وذلك السبب ليس هو عقل الرجل وجهله فانا نرى العاقل
القادر في اشد الضيق ونرى الجاهل الضعيف في اعظم السعة وليس ذلك
ايضا لاجل الطبايع والافلاك لان في الساعة التي ولد فيها ذلك الملك
السلطان القاهر قد ولد فيها ايضا عالم من الناس وعالم من الحيوان
غير الانسان وتولد ايضا في تلك الساعة عالم من النبات فلما شاهدنا
حدوث هذه الاشيا الكثيرة في تلك الساعة الواحدة مع كونها
مختلفة في السعادة والشقاوة علمنا ان الفاعل لذلك هو الله تعالى
فصح بهذا البرهان العقلي القاطع صحة قوله تعالى الله يبسط الرزق
لمن يشا ويقدر قال الشاعر ۞ فلا السعد يقضي به المشتري ۞ ولا
النحس يقضي زحل ۞ ولكنه حكم رب السما ۞ وقاضي القضاة
تعالى وجل ۞ ان في ذلك اي البيان الظاهر لايات اي دلالات لقوم
يومنون اي بان الحوادث كلها من الله تعالى بوسط او غيره ولما ذكر
تعالى الوعيد اردفه بشرح كمال رحمته فقال تعالى لنبيه محمد صلى الله عليه
وسلم قل يا محمد ربكم المحسن اليكم يقول يا عبادي الذين اسرفوا على
انفسهم اي فرطوا في الجناية عليها بالاسراف في المعاصي واضافة
العباد تخصصه بالمومنين على ما هو عرف القران لا تقنطوا اي لا تيا
من رحمة الله اي اكرام المحيط بكل صفات الكمال فيمنعكم ذلك العفو
من التوبة التي هي باب الرحمة وقرا ابو عمرو وحمزة والكسائي عبادي بسكون
اليا وتسقط في الوصل وفتحها الباقون وقرا ابو عمرو والكسائي تقنطوا
بكسر النون بعد القاف والباقون بفتحها ان الله اي المتفضل على
عباده المومنين يغفر الذنوب لمن تاب من الشرك جميعا لمن يشا كما قال
تعالى ان الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء واما الكافر اذا

لك
سوا
ط
ن
ل

اذا اسلم فان الله تعالى لا يواخذه بما وقع منه من كفره قال تعالى قل للذين
ان ينتهوا يغفر لهم ما قد سلف تنبيه في هذه الاية انواع من المعاني
والبيان حسنة منها اقباله عليهم ونداوهم ومنها اضافتهم اليه اضافة
تشريف ومنها الالتفات من التكلم الى الغيبة في قوله تعالى من رحمة
الله ومنها اضافة الرحمة لاجل اسمايه الحسنى ومنها اعادة الظاهر
بلفظه في قوله تعالى ان الله ومنها ابراز الجملة من قوله تعالى انه هو
اي وحده الغفور اي البليغ الغفر يمحوا الذنوب عمن يشا عينا واثرا فلا
يعاقب ولا يعاتب الرحيم اي المكرم بعد المغفرة موكدة بان وبالفصل
وباعادة الصفتين اللتين تضمنتهما الاية السابقة روي سعيد ابن
جبير عن ابن عباس ان ناسا من اهل الشرك كانوا قتلوا واكثروا و
زنوا واكثروا فاتوا النبي صلى الله عليه وسلم وقالوا ان الذي تدعوا له
الحسن لو تخبرنا ان لما عملنا كفارة فنزلت هذه الاية وروي عطا
ابن ابي رباح عن ابن عباس انها نزلت في وحشي قاتل حمزة حين بعث
اليه النبي صلى الله عليه وسلم يدعوه الى الاسلام فارسل اليه كيف تد
عوني الى دينك وانت تزعم ان من قتل واشرك وزنا يلقى اثاما
يضاعف له العذاب يوم القيامة وانا قد فعلت ذالك كله فانزل الله
سبحانه وتعالى الا من تاب وامن وعمل صالحا فقال وحشي هذا شرط
شديد لعلي لا اقدر عليه فهل غير ذالك فانزل الله تعالى ان الله لا يغفر
ان يشرك به ويغفر ما دون ذالك لمن يشا فقال وحشي اراني بعد في
شبهة فلا ادري ايغفر لي ام لا فانزل الله تعالى قل يا عبادي الذين اسر
فوا على انفسهم لا تقنطوا من رحمة الله الاية قال نعم هذا فجاء فاسلم فقال
المسلمون هذا له خاصة قال بل للمسلمين عامة وروي عن ابن عمر قال نزلت هذه
الاية في عياش ابن ابي ربيعة والوليد ابن الوليد ونفر من المسلمين كانوا
قد اسلموا ثم فتنوا وعذبوا فافتتنوا وكنا نقول لا يقبل الله من هولاء صرفا
ولا عدلا ابدا قد اسلموا ثم تركوا دينهم لعذاب عذبوا فيه فانزل الله

تعالى

تعالى هذه الايات فكتبها عمر ابن الخطاب بيده ثم بعثها الى ابي عياش
ابن ابي ربيعة والوليد ابن الوليد والى اوليك النفر فاسلموا وهاجروا
وروي عن ابن مسعود انه دخل المسجد واذا قاص يقص وهو يذكر النار
والاغلال فقام على راسه فقال يا مذكر لم تقنط الناس ثم قرا قل يا عبادي
الذين اسرفوا على انفسهم لا تقنطوا من رحمة الله وعن اسما بنت يزيد قالت
سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يا عبادي الذين اسرفوا على انفسهم
لا تقنطوا من رحمة الله ان الله يغفر الذنوب جميعا ولا يبالي وروى الطبراني
انه صلى الله عليه وسلم قال ما احب ان لي الدنيا وما فيها بها اي بهذه الاية
فقال رجل يا رسول الله ومن اشرك فسكت ساعة ثم قال ومن اشرك ثلاث
مرات وعن ابي سعيد الخدري عن النبي صلى الله عليه وسلم قال كان في بني اسرايل
رجل قتل تسعة وتسعين انسانا ثم خرج يسال فاتى راهبا فساله فقال هل
لي توبة فقال لا فقتله وجعل يسال فقال له رجل ايت قرية كذا فادركه
الموت فناى بصدره نحوها فاختصمت فيه ملايكة الرحمة وملايكة
العذاب فاوحى الله تعالى الى هذه ان تقربي والى هذه ان تباعدي
وقال قيسوا ما بينهما فوجدوه الى هذه اقرب بشبر فغفر له وفي رواية
فقال له اني قتلت تسعة وتسعين فهل من توبة فقال لا فقتله فكمل
ماية ثم سال عن اعلم اهل الارض فدل على عالم فقال انه قتل ماية نفس
فهل له من توبة فقال نعم ومن يحول بينه وبين التوبة انطلق الى ارض
كذا الى ان قال فوجدوه ادنى الى الارض التي اراد فقبضته ملايكة
الرحمة وعن ابن عمر قال كنا معشر اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم
نرى او نقول ليس شي من حسناتنا الا وهي مقبولة حتى نزلت اطيعوا
الله واطيعوا الرسول ولا تبطلوا اعمالكم فلما نزلت هذه الاية قلنا ما
هذا الذي يبطل اعمالنا فقيل لنا الكباير والفواحش فكنا اذا راينا من
اصاب منها شيا خفنا عليه وان لم يصب شيا رجونا له واراد بالاسراف
ارتكاب الكباير ولما كان التقدير واقلعوا عن ذنوبكم فانها قاطعة

عن الخير مبعدة عن الكمال عطف عليه استعظاما لقوله قوله تعالى وانيبوا
اي ارجعوا بكلياتكم وكلوا حوايجكم واسندوا اموركم واجعلوا طريقكم
الي ربكم اي الذي لم تروا احسانا الا وهو منه واسلموا اي واخلصوا
له اعمالكم من قبل ان ياتيكم اي وانتم صاغرون العذاب اي القاطع
لكل عذوبة المجرع لكل مرارة وصعوبة ثم لا تنصرون اي لا يتجدد
لكم نوع نصر ابدا ان لم تتوبوا واتبعوا اي عالجوا انفسكم وكلفوها
ان تتبع احسن ما انزل اليكم اي على سبيل العدل كالاحسان الذي
هو اعلى من العفو الذي هو فوق الانتقام باتباع هذا القران الذي هو
احسن ما نزل من كتب الله تعالى واتباع احاسن ما فيه فتصل من قطعك
وتعطي من حرمك وتحسن الي من ظلمك هذا في حق الخلايق ومثله في
عبادة الخالق بان تكون كانك تراه الذي هو اعلا منه استحضار
انه يراك الذي هو اعلا من دابها مع الغفلة عن ذالك ولما كان
هذا شديدا على النفس رغب فيه بقوله تعالى بمظهر صفة الاحسان
موضع الاضمار من ربكم اي الذي لم يزل يحسن اليكم وانتم تبارزونه
بالعظايم وقال الحسن معنى الاية الزموا طاعته واجتنبوا معصيته
فان في القران ذكر القبيح لتجتنبه وذكر الادون لئلا ترغب فيه
وذكر الاحسن لتوثره وقيل الاحسن الناسخ دون المنسوخ لقوله
تعالى ما ننسخ من اية او ننسها نات بخير منها او مثلها وقيل
العزايم دون الرخص وقوله تعالى من قبل ان ياتيكم العذاب بغتة
وانتم لا تشعرون اي ليس عندكم شعور باتيانه بوجه من الوجوه
فيه تهديد وتخويف ولما خوفهم الله تعالى بهذا العذاب بين انهم
بتقدير نزوله عليهم ماذا يقولون فحكى الله تعالى عنهم ثلاثة انوا
من الكلام الاول ذكره بقوله تعالى ان اي كراهة ان تقول نفس اي
عند وقوع العذاب وافرادها وتنكيرها كاف في الوعد لان كل احد يجوز
ان يكون هو المراد يا حسرتى على ما فرطت في جنب الله قال الحسن

قصرت

قصرت في طاعة الله وقال مجاهد في امر الله وقال سعيد بن جبير في حق
الله وقيل ضيعت في ذات الله وقيل معناه قصرت في الجانب الذي يودي الي
رضي الله تعالى والعرب تسمي الجنب جانبا قال في الكشاف وهذا من باب
الكناية لانك اذا اثبت الامر في مكان الرجل وحيزه فقد اثبته فيه
الا ترى الي قول الشاعر ان السماحة والمروة والندى في قبة ضربت
على ابن الحشرج اي فانه لم يصرح بثبوت هذه الصفات المذكورة
لابن الحشرج بل كنى عن ذالك في قبة مضروبة عليه فافاد اثباتها له بلا
فوق الخيمة تتخذها الروسا وقرا حمزة والكسائي
بالامالة محضة والدوري اي عن ابي عمرو بين بين وورش بالفتح
وبين اللفظين والباقون بالفتح وان اي والحال اني كنت اي كان ذالك
في طبعي لمن الساخرين اي المستهزئين المتكبرين المنزلين انفسهم في غير
منزلتها وذالك انه ما كفا في المعصية حتى كنت استسخر من اهل الطا
اي تقول هذا لعله يقبل منها ويعفى عنها على عادة المنز فيقبل في وقت
الشدايد لعلمهم بعاودون الي اجمل العوايد الثاني التي حكاها الله تعالى
عنهم بعد نزول العذاب عليهم ما ذكره الله تعالى بقوله سبحانه
او تقول اي تلك النفس المفرطة لو ان الله اي الذي له القدرة الكا
والعلم الشامل هداني اي ببيان الطريق لكنت من المتقين اي الذين
لا يقدمون على فعل ما يذنبهم عليه دليل الثالث من الكلمات ما ذكره
الله تعالى بقوله سبحانه او تقول اي تلك النفس المفرطة حين
ترى العذاب اي الذي وجها عيانا لو ان اي ياليت لي كرة اي رجعة
الي دار العمل فاكون اي ليتسبب عن رجوعي اليها ان اكون من المحسنين
اي العاملين بالاحسان الذي دعا اليه القران تنبيه في نصبه فاكون
وجهان احدهما عطفه على كرة فانها مصدر فعطف مصدر مؤول
على مصدر مصرح به كقولها للبس عباءة وتقر عيني ه احب الي من لبس
الشفوف والثاني انه منصوب على جواب التمني المفهوم من قوله تعالى

والقبة تكون ح

علة

مثله

لوان لي كرة والفرق بين الوجهين ان الاول يكون الكون متمنيا و
يجوز ان نظران وان نظهر والثاني يكون فيه الكون مترتبا على حصول
المتمني لا متمني ويجران نظران ثم اجاب الله تعالى هذا القايل بقوله
سبحانه بلى قد جاءتك اياتي اي القران وهي سبب الهداية فكذبت
بها اي قلت ليست من عند الله واستكبرت اي تكبرت عن الايمان بها
وكنت من الكافرين فان قيل هلا قرن الجواب بما هو جواب له و
هو قوله لو ان الله هداني ولم يفصل بينهما اجيب بانه لا يخلو اما ان
يقدم على احدى القراين الثلاث فيفرق بينهن واما ان يوخر القرينة
الوسطى فلم يحسن الاول لما فيه من تبتير النظم بالجمع بين القراين
ومن نقض الترتيب وهو التحسر على التفريط في الطاعة ثم التعلل
بفقد الهداية ثم تمني الرجعة فكان الصواب ما جاء عليه وهو انه على
اقوال النفس على ترتيبها ونظمها ثم اجاب من بينها عما اقتضى
ه الجواب فان قيل كيف صح ان يقع جوابا لغير منفي اجيب بان قوله
لو ان هداني بمعنى ما هديت ويوم القيامة ترى الذي لا يصح في الحكمة
تركه ترى ايها المحسن الذين كذبوا على الله اي الى ان يجمع صفات
الكمال بنسبة الشريك والولد اليه وقال الحسن هم الذين يقولون
ان شينا فعلنا وان شينا لم نفعل قال البقاعي وكانه عنى المعتز
لة الذين اعتزلوا مجلسه وابتدعوا قولهم انهم يخلقون افعالهم قال
ويدخل فيه من تكلم في الدين بجهل وكل من كذب وهو يعلم انه كاذب
في اي شيء كان فانه من حيث ان فعله فعل من يظن ان الله تعالى لا يعلم
كذبه اي ولا يقدر على جزائه كانه كذب على الله وقوله تعالى وجوههم
مسودة جملة من مبتدا وخبر في محل نصب على الحال من الموصول لان الرو
ية بصرية وقيل في محل نصب مفعولا ثانيا لان الروية قلبية و
رد بان تعلق الروية البصرية بالاجسام والوانها اظهر من تعلق
القلبية بهما وذكر ان هذا السواد مخالف لساير انواع السواد اليس
في

في جهنم مثوى اي ماوى للمتكبرين اي الذين تكبروا على اتباع اوامر الله
تعالى وهو تقرير لانهم يرونه كذلك ولما ذكر الله تعالى الذين اشقاهم
اتبعهم حال الذين اسعدهم بقوله تعالى وينجي الله اي يفعل بما له من
صفات الكمال في نجاتهم فعل المبالغ في ذلك الذين اتقوا اي بالغوا
في وقاية انفسهم من غضبه فكما وقاهم في الدنيا من المخالفات احماهم
هنا من العقوبات بمفازتهم اي بسبب فلاحهم لان العمل الصالح سبب
الفلاح وهو دخول الجنة ويجوز ان يسمى العمل الصالح في نفسه مفازة
لانه سببها وقرا حمزة والكسائي وشعبة بالالف بعد الزاي جمعا على
ان لكل متق مفازة والباقون بغير الف افرادا وقوله تعالى لا
يمسهم السوء جملة مفسرة لمفازتهم كانه قيل وما مفازتهم فقال
لا يمسهم السوء فلا محل لها ويجوز ان تكون في محل النصب على الحال من
الذين اتقوا ومعنى الكلام لا يمسهم مكروه ولا هم يحزنون اي
ولا يطرق بواطنهم حزن على فائت لانه لا يفوتهم شيء اصلا ولما
كان المخوف منه والمحزون عليه جامعين لكل ما في الكون فكان لا
يقدر على دفعهما الا القادر المبدع المخصوص قال تعالى مستانفا او
معللا مظهرا الاسم الاعظم تعظيما للمقام الله اي المحيط بكل
شيء قدرة وعلما الذي نجاهم خالق كل شيء اي من خير وشر وايمان
وكفر فلا يكون شيء اصلا الا بخلقه ولما دل هذا على القدرة التا
مة وكان لا بد معها من العلم الكامل قال تعالى وهو على كل شيء اي مع القهر
والغلبة وكيل اي حفيظ لجميع ما يريد منه قيوم لا عجز يلم بساحته و
لا غفلة وقوله تعالى له مقاليد السموات والارض جملة مستانفة
والمقاليد جمع مقلاد مثل مفتاح ومفاتيح او مقليد مثل منديل ومنا
ديل اي هو مالك امرها وحافظها وهي من باب الكناية لان حافظ الخزا
ين ومدبرها هو الذي يملك مقاليدها ومنه قولهم فلان القيت اليه
المقاليد وهو المفاتيح والكلمة اصلها فارسية فان قيل الكتاب

ج

المبين والفارسية اجيب بان التعريب احالها عربية كما اخرج
الاستعمال المهمل عن كونه مهملا قال الزمخشري سال عثمان النبي
صلى الله عليه وسلم عن تفسير قوله تعالى له مقاليد السموات والارض فقال
يا عثمان ما سالني عنها احد قبلك تفسيرها لا اله الا الله والله اكبر
وسبحان الله وبحمده واستغفر الله ولا حول ولا قوة الا بالله هو الاول
والاخر والظاهر والباطن بيده الخير يحيي ويميت وهو على كل شيء قدير
انتهى وروى هذا الطبراني بسند ضعيف بل رواه ابن الجوزي في المو
ضوعات ثم قال الزمخشري وتاويله على هذا ان الله تعالى في هذه
الكلمات يوحد بها ويمجد وهي مفاتيح خير السموات والارض من تكلم
بها من المتقين اصابه وقال قتادة ومقاتل ومفاتيح السموات
والارض بالرزق والرحمة وقال الكلبي خزائن المطر والنبات ولما
وصف الله تعالى بصفة الالهية والجلالة وهو كونه خالقا للاشيا
وكونه مالكا لمقاليد السموات والارض باسرها قال بعده والذين
كفروا اي لبسوا ما اتضح من الدلالات وجحدوا بايات الله اي دلايل
قدرته الظاهرة الباهرة اولئك اي البعداء البغضاء هم الخاسرون لانهم
خسروا انفسهم وكل شيء متصل بها على وجه النفع وقال الزمخشري والذين
كفروا متصل بقوله وينجي الله الذين اتقوا واعترض ما بينهما بانه خالق
الاشيا كلها وان له مقاليد السموات والارض واعترضه الرازي بان
وينجي جملة فعلية ~~لا يجوز واعترض الاخر~~ اسمية وعطف الجملة
الاسمية على الفعلية لا يجوز واعترض الاخر بانه لا مانع من ذلك ولما
دعا كفار قريش النبي صلى الله عليه وسلم الى دين ابائه قال الله تعالى قل اي لهم
افغير الله اي الملك الاعظم تامروني اعبد ايها الجاهلون اي
الغريقون في الجهالات الدنيا الغاطه قد قام بان الله تعالى هو المستحق
للعبادة فمن عبد غيره فهو جاهل وقرا نافع بتخفيف النون وفتح اليا
وابن كثير بالتشديد للنون وسكون اليا وابن عامر بنونين الاولى

مفتوحة

مفتوحة والثانية مكسورة وسكون اليا والباقون بتشديد النون و
سكون اليا ولقد اوحي اليك والى الذين من قبلك لئن اشركت
ليحبطن عملك اي الذي عملت قبل الشرك فان قيل الموحى اليهم جماعة
فكيف قال لئن اشركت على التوحيد اجيب بان تقدير الاية اوحي اليك
لئن اشركت ليحبطن عملك والى الذين من قبلك مثله اي اوحي اليك والى
كل واحد منهم لئن اشركت كما تقول كسانا حلة اي كل واحد منا فان
قيل كيف صح هذا الكلام مع علم الله تعالى ان رسله لا يشركون ولا يحبط
اعمالهم اجيب بان قوله لئن اشركت ليحبطن عملك قضية شرطية و
القضية الشرطية لا يلزم من صدقها صدق جزئيها الا ترى ان قولك
لو كانت الخمسة ازواجا لكانت منقسمة بمتساويين قضية صادقة
مع ان كل واحد من جزئيها غير صادق قال تعالى لو كان فيهما الهة الا الله
لفسدتا ولم يلزم من هذا صدق بان فيهما الهة وانهما قد فسدتا
او ان الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم والمراد به غيره كما قاله اكثر المفسر
او ان ذلك على سبيل الفرض المحال ذكر ليكون ردعا للاتباع ولما كان
السياق للتهديد وكانت العبارة شاملة لما تقدم على الشرك من الا
عمال وما تاخر عنه لم يقيده بالاتصال بالموت اكتفا بتقييده في اية
البقرة وهو ومن يرتدد منكم عن دينه فيمت وهو كافر قال تعالى ولتكونن
اي لاجل حبوطه من الخاسرين فانه قد ذهب جميع عمله لا سلف
في خسارته اما من اسلم بعد ردته فانما يحبط ثواب عمله لا عمله كما نص
عليه الشافعي فاللام الاولى موطئة للقسم والاخريان للجواب
ولما كان التقدير فلا تشرك بنا عليه عطف عليه قوله تعالى بل الله
اي المتصف بصفات الكمال وحده فاعبد اي مخلصا له العبادة و
كن من الشاكرين الغريقين في هذا الوصف لانه جعلك خير الخلايق
ولما حكى الله تعالى عن المشركين انهم امروا الرسول بعبادة الاصنام
ثم انه تعالى اقام الدلايل على فساد قولهم وامر الرسول ان يعبد الله

ولا يعبد سواه وبين انهم لو انهم عرفوا الله تعالى حق معرفته لما جعلوا هذه الاشيا الخسيسة مشاركة له في العبودية قال وما قدروا الله اي الملك الاعظم حق قدره اي ما عظموه حق عظمته حين اشركوا به غيره مع انهم لو استغرقوا الزمان في عبادته وحالصه عنه بحيث لم يخل شيا منها عنها لما كان ذلك حق قدره فكيف اذا خلا بعضه عنها فكيف اذا عدل به غيره ولما بين انهم ما عظموه تعظيما لايقا به اردفه بما يدل على كمال عظمته بقوله تعالى والارض جميعا قبضته وهو مبتدا وخبر في محل نصب على الحال اي ما عظموه حق عظمته و الحال انه موصوف بهذه القدرة الباهرة كقوله تعالى كيف تكفرون بالله وكنتم امواتا فاحياكم اي كيف تكفرون بمن هذا وصفه و حال ملكه كذا وجميعا حال وهي دالة على المراد بالارض الارضون لا ن هذا التاكيد لا يحسن ادخاله الا على الجمع وقدم الارض على السموات لمباشرتهم لها ومعرفتهم بحقيقتها ولما كان في هذه الدنيا من يدعي الملك والقهر والالوهية لعظمة والقدرة ام كافه الامر في الاخرة بخلاف هذا الانقطاع الاسباب قال تعالى يوم القيامة ولا قبضة هناك لا حقيقة ولا مجاز وكذا الطي واليمين وانما هو تمثيل وتخييل لتمام القدرة ولما كانوا يعلمون ان السموات سبع مطابقة بما يشاهدونه من سير النجوم جمع لكيلوت مع جمعها كالتصريح في جميع الارض ايضا في قوله تعالى والسماوات مطويات اي مجموعات بيمينه قال الرازي وههنا سوالات الاول العرش اعظم السموات السبع والارضين السبع ثم انه تعالى قال في وصف الملا يكة بكونهم حاملين العرش العظيم صفة العظمة العرش ويحمل عرش ربك فوقهم يومئذ ثمانية فاذا وصف الملايكة بكونهم حاملين العرش العظيم فكيف يجوز تقرير عظمة الله تعالى عز و جل بكونه حاملا للسماوات والارض واجاب بان مراتب التعظيم

كثيرة

كثيرة فاولها تقرير عظمة الله بكونه قادرا على هذه الاجسام العظيمة بكونه قادرا على امساك اوليك الملايكة الذين يحملون العرش السوال الثاني قوله تعالى والارض جميعا قبضته يوم القيامة والسموات مطويات بيمينه شرح حال لا تحصل الا في القيامة والقوم ما شاهدوا ذلك فان كان هذا الخطاب مع المصدقين للانبيا فهم معترفون بانه لا يجوز القول بجعل الاصنام شركا لله فلا فايدة في ايراد هذه الحجة عليهم وان كان الخطاب مع المكذبين بالنبوة فهم ينكرون قوله تعالى والا رض جميعا قبضته يوم القيامة فكيف يمكن الاستدلال به على ابطال القول بالشرك واجاب بان المقصود منه ان المتولي لابقاء السموات والارضين من وجوه العمارة في هذا الوقت هو المتولي لتخريبها وابقائها يوم القيامة واذا ذلك يدل على حصول قدرة تامة على الايجاد والاعدام ويدل ايضا على كونه قادرا غنيا على الاطلاق فانه يدل على انه اذا حاول تخريب الارض فكانه يقبض قبضة وذا لك يدل على كمال الاستغنا السوال الثالث حاصل القول بالقبضة واليمين هو القدرة الكاملة الوافية بحفظ هذه الاجسام العظيمة فكما ان حفظها وامساكها يوم القيامة ليس الا بقدرته تعالى فكذا الان فما فايدة بتخصيص هذه الاحوال بيوم القيامة واجاب بانه انما خصص تلك الحالة بيوم القيامة ليدل على انه كما ظهر كمال قدرته في الايجاد عند عمارة الدنيا يظهر كمال قدرته في الاعدام عند اخراب ولما كان هذا انما هو تمثيل بما يعهد فالمراد به الغاية في القدرة نزه نفسه المقدس عما ربما سبب له الجسم والمشبه فقال تعالى سبحانه اي تنزه من هذه القدرة قدرته عن كل شيا يلبسه نقص وتعالى علوا لا يحاط به عما يشركون معه لانه لو كان له شريك ينازعه في هذه القدرة او بعضها فمنعه شيا منها وهذه معبوداتهم لا قدرة لها على شي روى البخاري في صحيحه في التوحيد وغيره عن

كما ان حفظها وامساكها يوم القيامة عظيم شأنه بعد تقرير عظمته صح

بان

لك

نه

رة

عبد الله ابن مسعود قال جا حبر من الاحبار الي رسول الله صلي الله عليه وسلم
قال اذا كان يوم القيامة جعل الله السموات علي اصبع والارضين علي
اصبع والماء والثري علي اصبع والخلايق علي اصبع ثم يهزهن ثم يقول انا
الملك فلقد رايت النبي صلي الله عليه وسلم يضحك حتي بدت نواجذه
تعجبا وتصديقا لقول الخبر ثم قرا النبي صلي الله عليه وسلم وما قدروا
الله حق قدره الاية وانما ضحك صلي الله عليه وسلم وتعجب لانه لم يفهم
منه الا ما فهم علماء البيان من غير تصور امساك ولا اصبع ولا هز ولا
شيء من ذلك وانما يدل ذلك علي القدرة الباهرة وان الافعال
العظام التي تتحير فيها الاذهان هينة عليه هو انا لا يوصل السامع
الي الوقوف عليه الا اجرا العبارة في مثل هذه الطريقة علي التخييل وروي
الشيخان عن ابن عمر قال قال رسول الله صلي الله عليه وسلم يطوي الله
السموات يوم القيامة ثم ياخذهن بيده اليمين ثم يقول انا الملك
اين الجبارون اين المتكبرون ثم يطوي الارضين ثم ياخذهن بشماله
ثم يقول انا الملك اين الجبارون اين المتكبرون وللبخاري عن ابي
هريرة عن النبي صلي الله عليه وسلم قال يقبض الله الارض يوم القيامة ويطوي
السماء بيمينه ثم يقول الله انا الملك اين ملوك الارض قال ابو سليمان
الخطابي ليس فيما يضاف الي الله عز وجل من وصف اليدين شمال لا
ن الشمال محل النقص والضعف وقد ورد كلتا يديه يمين وليس عندنا
معني اليد الجارحة وانما هي صفة جاء بها التوقيف فنحن نطلقها
علي ما جاءت ولا نكيفها وننتهي حيث انتهي بنا الكتاب والاخبار
الماثورة الصحيحة وهذا مذهب اهل السنة والجماعة وقال سفيان
ابن عيينة كلما وصف الله تعالي به نفسه في كتابه فتفسيره تلاوته
والسكوت عليه التنزيه قد قدمنا ان السلف يجرون المتشابه علي ما
هو عليه وان الخلف يؤولونه والاول اسلم والثاني احكم ولما ذكر
تعالي كمال قدرته وعظمته بما سبق ذكره اردفه بذكر طريق اخر يدل

ايضا

ايضا علي كمال العظمة وهو شرح مقدمات يوم القيامة فقال ونفخ
في الصور اي القرن النفخة الاولي لان نفخ الصور يكون قبل ذلك
اليوم فصعق من في السماوات ومن في الارض اي مات واختلف في من استثني
الله تعالي بقوله سبحانه الا من شاء الله فقال الحسن هو الله وحده و
قال ابن عباس جبريل وميكائيل واسرافيل وملك الموت ثم يميت الله تعالي
ميكائيل واسرافيل وجبريل وملك الموت ثم يميت جبريل ثم يميت ملك
الموت وقيل حملة العرش وقيل الحور والولدان وقيل الشهدا
لقوله تعالي بل احيا عند ربهم يرزقون وروي ابو هريرة عن النبي صلي الله
عليه وسلم انه قال هم الشهدا متقلدون اسيافهم حول العرش وقال
جابر هو موسي عليه السلام لانه صعق ولا يصعق ثانيا وقال قتادة
الله اعلم وليس في القران والاخبار ما يدل علي انهم منهم وهذا اسلم
ثم نفخ فيه اخري اي في الصور نفخة اخري اي نفخة ثانية فاذا هم
اي جميع الخلايق الموتي قيام اي قايمون ينظرون اي يقلبون
ابصارهم في الجهات نظر المبهوت اذا فاجاه خطب عظيم وقيل ينظر
امر الله تعالي فيهم وهذا يدل علي ان هذه النفخة متاخرة عن النفخة
الاولي لان لفظة ثم للتراخي وروي ابو هريرة ان رسول الله صلي الله
عليه وسلم قال ما بين النفختين اربعون قالوا اربعون يوما قال ابو هريرة
ابيت قالوا اربعون شهرا قال ابيت قالوا اربعون سنة قال ابيت قال
ثم ينزل الله تعالي من السماء ماء فينبتون كما ينبت البقل ليس من الا
نسان شيء الا يبلي الا عظم واحد وهو عجب الذنب ومنه يركب الخلق يو
م القيامة وقوله تعالي فاذا هم يدل علي ان قيامهم يحصل عقب
هذه النفخة الاخيرة في الحال من غير تراخ لان الفاء تدل علي التعقيب
ولما ذكر تعالي اقامتهم بالحياة التي هي نور البدن اتبعه بنور ارض القيامة
فقال تعالي واشرقت اي اضاءت اضاءة عظيمة مالت بها الي الحمرة
الارض اي التي اوجدت لحشرهم وليست بارضنا الان لقوله تعالي يوم

نبدل الارض غير الارض بنور ربها اي خالقها وذالك حين ينجلي الرب لفصل القضا بين خلقه قال صلي الله عليه وسلم ستروون ربكم وقال كما لاتضارون في الشمس في اليوم الصحو وقال الحسن والسدي بعدل ربها ووضع الكتاب اي كتاب الاعمال للحساب لقوله تعالي وكل انسان الزمناه طايره في عنقه ونخرج له يوم القيامة كتابا يلقاه منشورا وقوله تعالي مالي هذا الكتاب لايغادر صغيرة ولا كبيرة الا احصاها وقيل الكتاب اللوح المحفوظ تقابل به الصحايف وقيل الكتاب الذي انزل الي كل امة فعمل به واقتصر علي هذا البقاعي وجي بالنبيين اي للشهادة علي اممهم واختلفوا في قوله تعالي والشهدا اي فقال ابن عباس يعني الذين يشهدون للرسل بتبليغ الرسالة وهم محمد صلي الله عليه وسلم واصحابه لقوله تعالي جعلناكم امة وسطا لتكونوا شهدا علي الناس وقال عطا ومقاتل يعني لحفظة لقوله تعالي وجاءت كل نفس معها سايق وشهيد وقيل هم المستشهدون في سبيل الله ولما بين تعالي انه يوصل الي كل واحد حقه عبر عن هذا المعني باربع عبارات اولها قوله تعالي وقضي بينهم اي العباد بالحق اي العدل ثانيها قوله تعالي وهم لايظلمون اي لايزاد في سياتهم ولاينقص من حسناتهم ثالثها قوله تعالي ووفيت كل نفس ما عملت اي جزا ما عملته رابعها قوله تعالي وهو اعلم بما يفعلون اي فلا يفوته شي من افعالهم ثم فصل التوفيه بقوله تعالي معددا ما اهل الغضب وسيق الذين كفروا اي بالعنف والدفع الي جهنم كما يقال يوم يدعون الي نار جهنم دعا اي يدفعون اليها دفعا وقوله تعالي زمرا حال اي جماعات في تفرقة بعضهم علي اثر بعض كل امة علي حدة حتي اذا جاوها اي علي صفة الذل والصغار واجاب اذا بقوله تعالي فتحت ابوابها اي السبعة وكانت مغلقة قبل ذالك وانما تفتح عند وصول الكفار اليها وقرا الكوفيون فتحت وفتحت الاتية بالتخفيف والباقون بالتشديد علي التكثير وقال لهم خزنتها انكارا عليهم

تقريعا

تقريعا وتوبيخا الم ياتكم رسل منكم اي من جنسكم لان قيام الحجة بالجنس اقوي يتلون اي يتلون مرة بعد مرة وشيا في اثر شي عليكم ايات ربكم اي المحسن اليكم من القران وغيره وينذرونكم ويخوفونكم لقاء يومكم وقولهم هذا اشارة الي يوم البعث فان قيل لم اضيف اليهم اليوم اجيب بانهم ارادوا لقاء وقتكم هذا وهو وقت دخولهم النار يوم القيامة قال الزمخشري وقد جاء استعمال اليوم والايام مستفيضا في اوقات الشدة ويجوز ان يراد باليوم يوم البعث كله وجرا عليه البقاعي وهو اولي ولما قال لهم الخزنة كذا قالوا بلي اتونا وتلوا علينا وحذرونا ولكن حقت اي وجبت كلمة العذاب علي الكافرين تخصيصا باهل هذا الوصف وبيانا لانه موجب دخولهم وهو تغطيتهم الانوار التي اتتهم بها الرسل تنبيه في الاية دليل علي انه لا وجوب قبل مجي الشرع لان الملايكة بينوا انهم ما بقي لهم عذر ولا علة قبل مجي الرسل عليهم الصلاة والسلام فلم يكن مجي الرسل شرطا في استحقاق العذاب لما بقي في هذا الكلام فايدة وقيل كلمة العذاب هي قوله تعالي لاملان جهنم من الجنة والناس اجمعين كانه قيل فماذا وقع بعد هذا التقريع قيل وقع ان الملايكة قالت لهم ادخلوا ابواب جهنم اي طبقاتها المتجهمة لداخليها خالدين اي مقدرين الخلود فيها ولما كان سبب كفرهم بالايات هو التكبر قالوا لهم فبيس مثوي اي منزل ومقام المتكبرين اي الذين اوجب تكبرهم حقوق كلمة العذاب عليهم فلذا تعاطوا اسبابها ولما ذكر تعالي احوال الكافرين اتبعه احوال الاضداد فقال عز من قايل وسيق الذين اتقوا ربهم اي الذين كلما زادهم احسانا زادوا له هيبة الي الجنة وقوله تعالي زمرا حال اي جماعات اهل الصلاة المستكثرين منها علي حدة واهل الصوم كذالك الي غير ذالك من الاعمال التي تظهر اثارها علي الوجوه فان قيل السوق في اهل النار معقول لانهم لما امروا بالذهاب الي موضع العذاب لابد

وانه يساقوا اليه واما اهل الثواب فاذا امروا بالذهاب الى موضع السعادة
والراحة فاي حاجة فيه الى السوق اجيب بان المراد سوقهم اهل النار طردهم
اليها بالهوان والعنف كما يفعل بالاسارى والخارجين على السلطان
اذا سيقوا الى حبس او قتل والمراد بسوق اهل الجنة سوق مراكبهم
لانه لا يذهب بهم الا راكبين وحثها اسراعا الى دار الكرامة والرضوان
كما يفعل عن شرف ويكرم من الوافدين على بعض الملوك فشتان ما بين
السوقين هذا سوق تشريف واكرام وذاك سوق اهانة وانتقام
وهذا من بدايع انواع البديع وهو ان ياتي سبحانه بكلمة في حق الكفار
فتدل على هوانهم بعقابهم وياتي بلفظ تلك الكلمة بعينها و
هيئتها في حق المومنين فتدل على اكرامهم بحسن ثوابهم فسبحانه
من انزل معجز المباني متمكن المعاني عذب الموارد والمثاني وقيل
لان المحبة والصداقة باقية بين المتقين يوم القيامة كما قال
تعالى الاخلا يومئذ بعضهم لبعض عدو الا المتقين فاذا قيل لواحد
منهم اذهب الى الجنة فيقول لا ادخلها الا مع احبابي واصدقائي
فيتاخرون لهذا السبب فحينئذ يحتاجون الى السوق الى الجنة ولما
ذكر تعالى السوق ذكر غايته بقوله تعالى حتى اذا جاؤها اختلف في جواب
اذا على اوجه احدها قوله تعالى وفتحت ابوابها والواو زايدة وهو
راي الكوفيين والاخفش وانما جيء هنا بالواو دون التي قبلها لان
ابواب السجون مغلقة عادة الى ان يجيئها صاحب الجريمة فتفتح
له ثم تغلق عليه فيناسب ذلك عدم الواو فيها بخلاف ابواب
السرور والفرح فانها تفتح انتظارا لمن يدخلها فلعل هذا ابواب جهنم
تكون مغلقة لا تفتح الا عند دخول اهلها فيها واما ابواب الجنة ففتحها
مقدما على دخولهم اليها كما قال تعالى جنات عدن مفتحة لهم الابواب
فلذلك جيء بالواو فكانه قال حتى اذا جاؤها وقد فتحت ابوابها ثانيها
قوله تعالى وقال لهم خزنتها على زيادة الواو ايضا اي حين اذا

جاؤها

جاؤها قال لهم خزنتها ثالثها قال الزجاج القول عندي ان الجواب
محذوف تقديره ادخلوها بعد قوله تعالى حتى اذا جاؤها وفتحت ابوابها
وقال لهم خزنتها اي حين الوصول سلام عليكم تعجيله للمسرة بالبشارة
بالسلامة التي لا عطب فيها طبتم اي صلحتم لسكناها لانها دار طهرها
الله تعالى من كل دنس وطيبها من كل قذر فلا يدخلها الا مناسب لها
موصوف بصفتها فما ابعد احوال الناس تلك المناسبة وما ابعد سعينا
في اكتساب تلك الصفة الا ان يهب لنا الوهاب الكريم توبة نصوحا
تنقي انفسنا من درن الذنوب تنقيتا وتصفي هذه القلوب ثم سبوا
عن ذلك فادخلوها خالدين مقدرين الخلود وسمى بعضهم الواو
في قوله تعالى وفتحت واو الثمانية قال لان ابواب الجنة ثمانية و
كذا قالوا في قوله تعالى وثامنهم كلبهم وقيل تقدير الجواب حتى اذا
جاؤها وفتحت ابوابها يعني ان الجواب بلفظ الشرط ولكنه بزيادة
تقييده بالحال فلذلك صح وقدره الجلال المحلي بقوله دخلوها
وقال انه قوله تعالى وقالوا عطف على دخلوها المقدر الحمد اي الاحاطة
باوصاف لله اي الملك الاعظم الذي صدقنا وعده في قوله تعالى
تلك الجنة التي نورث من عبادنا من كان تقيا فطابق قوله الواقع
الذي وجدناه في هذه الساعة واورثنا كما وعدنا الارض اي الارض
التي لا ارض في الحقيقة غيرها وهي ارض الجنة التي لا كدر فيها بوجه
وفيها كل ما تشتهي الانفس وتلذ الاعين وقوله تعالى نتبوأ اي
ننزل من الجنة حيث نشاء جملة حالية وحيث ظرف على بابها وقيل
مفعول به وانما عبر عن ارض الجنة بالارض لوجهين احدهما ان
الجنة كانت في اول الامر لادم عليه السلام لانه تعالى قال فكلا منها رغدا
الى حين شئتما فلما عادت الجنة الى اولاد ادم عليه السلام كان ذلك
سببا للارث ثانيهما ان الوارث يتصرف فيما ورثه كيف يشاء
من غير منازع فكذلك المومنون يتصرفون في الجنة حيث شاؤوا واورادوا

فان قيل لم لم يتبوا احدهم مكان غيره اجيب بان لكل واحد منهم جنة لا تو
صف سعة وزيادة على الحاجة فيتبوا من جنته حيث شاء ولا يحتا
ج الى جنة غيره ولا يشتهي احد الا مكانه مع ان في الجنة مقامات معنو
ية لا يتمانع واردها ولما كانت بهذا الوصف الجليل تسبب عنه مدحها
بقوله فنعم اي اجرنا هكذا كان الاصل ولكنه قال اجر العاملين ترغيبا
في الاعمال وحثا على عدم الاتكال ولما ذكر سبحانه الذين ركب فيهم و
ما وصلوا اليه من المقامات اتبعهم اهل الكرامات الذين لا شاغل لهم
من العبادات فقال تعالى صارفا الخطاب لعلو الخبر الى اعلى الخلق لا
يقوم بحق هذه الروية غيره وترى الملائكة اي ايها المبين بجميع
ما عليهم من الحقوق وقوله تعالى حافين اي حال اي محدقين من
حول العرش اي من جوانبه التي يمكن الحفوف بها بالقرب منها يسمع
لحفوفهم صوت التسبيح والتحميد والتقديس لا يحصيه الا الله تعالى
فلا يملون حوله وهذا اولى من قول البيضاوي ان من زايدة وقوله
تعالى يسبحون حال من ضمير حافين بحمد ربهم اي متلبسين بحمده يقو
لون سبحان الله وبحمده فهم ذاكرون له بوصفي جلاله واكرامه تلذذا
به وفيه اشعار بان منتهى درجات العليين واعلى لذاتهم هو الا
ستغراق في صفات الحق وقضي بينهم اي بين جميع الخلق بالحق
اي العدل فيدخل المؤمن الجنة والكافر النار وبين الملائكة باقامتهم
في منازلهم على حسب تفاضلهم وقيل اي وقال المؤمنون من اهل
المقضي بينهم والملائكة وطوى ذكرهم لتعينهم وتعظيمهم الحمد
اي الاحاطة بجميع اوصاف الكمال وعدل بالقول الى من هو احق بهذا المقا
م فقال لله ذي الجلال والاكرام علمنا ذلك في هذا اليوم عين اليقين
كما كنا في الدنيا نعلمه علم اليقين ولما كان ذلك اليوم احق الايام
بمعرفة شمول الربوبية لاجتماع الخلايق وانفتاح البصاير و
سعة الضماير قال واصفا له سبحانه باقرب الصفات الى الاسم الاعظم

رب

رب العالمين اي الذي ابتداهم اولا من العدم واقامهم ثانيا بما ر
به من التدبير واعادهم ثالثا بعد افنايهم باكمل قضاء وتقدير وابقا
هم البقا لا الى اخير وقيل ان الله تعالى ابتدا ذكر الخلق بالحمد لله في قوله
سبحانه الحمد لله الذي خلق السموات والارض وختم بالحمد في اخر الامر
وهو استقرار الفريقين في منازلهم فنبه بذلك على تحميده في بداية
كل امر وخاتمته والله اعلم بمراده واسرار كتابه وقول البيضاوي
تبعا للزمخشري عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرا سورة الزمر لم يقطع
الله رجاه يوم القيامة واعطاه الله ثواب الخائفين حديث موضوع
وقوله عن عايشة رضي الله عنها وعن ابيها انه عليه الصلاة والسلام
يقرا كل ليلة بني اسرايل والزمر رواه الترمذي وغيره سورة
المؤمن مكية قال الحسن الا قوله وسبح بحمد ربك لان الصلوات نزلت
بالمدينة وقد قيل في الحواميم انها كلها مكية عن ابن عباس وابن
الحنفية وتسمى سورة الطول وسورة غافر وهي خمس وقيل اثنتان وثما
نون اية والف ومائة وتسع وتسعون كلمة واربعة الاف و
ثمانمائة وستون حرفا بسم الله الملك الاعظم الذي يعطي كلا من
عباده ما يستحقه فلا يقدر احد ان يناقض في شيء من ذلك ولا
يعارض الرحمن الذي عمهم برحمته في الدنيا بالخلق والرزق والبيان الذي
خفا معه الرحيم الذي يخص برحمته من يشاء من عباده فيجعله حكيما
وفي ملك الارض وملكوت السموات عظيما وقوله تعالى حم قرا
ابن ذكوان وشعبة وحمزة والكسائي بامالة الحاء محضة وورش وابو
عمرو بين بين والباقون بالفتح وقد سبق الكلام في حروف التهجي
وقال ابن عباس حم اسم الله الاعظم وعنه قال الر وحم ون حروف
الرحمن مقطعة وقيل حم اسم السورة وقيل الحاء افتتاح
افتتاح اسماء حليم وحميد وحي وحكيم وحنان والميم افتتاح
اسمائه ملك مجيد منان وقال الضحاك والكسائي معناه قضي

ماهو كائن كانهما اشار الي ان معني حم بضم الحاء وتشديد الميم و
هل يجوز ان يجمع حم علي حواميم نقل ابن الجوزي عن شيخه الجواليقي انه
خطاء وليس بصواب بل الصواب ان يقول قرات الحم وفي الحديث عن ابن
مسعود عنه صلي الله عليه وسلم اذا وقعت في الحم وقعت في روضات و
قال الكميت ٥ وجدنا لكم في الحم اية ٥ تاولها منا تقي ومعرب ٥
ومنهم من جوزه وروي ذلك في احاديث منها قوله صلي الله عليه وسلم
الحواميم ديباج القران وقوله صلي الله عليه وسلم الحواميم سبع وابواب
جهنم سبع جهنم والحطمة ولظي والسعير وسقر والهاوية والجحيم
فتجي كل حم منهن يوم القيامة علي باب من هذه الابواب فتقول ه
لا يدخل النار من كان يومن بي ويقرؤني وقوله صلي الله عليه وسلم لكل
شي ثمرة وثمرة القران ذوات حم هن روضات حسان مخصبات
متجاورات فمن احب ان يرتع في رياض الجنة فليقرا الحواميم وقوله صلي
الله عليه وسلم مثل الحواميم في القران كمثل الحبرات في الثياب وقال ابن عباس
لكل شي لباب ولباب القران الحواميم قال ابن عادل فان صحت هذه
الاحاديث فهي الفصل في ذلك اي فتدل علي جواز الجمع قال البيضا
وي في حم السجدة ولعل افتتاح هذه السبعة بحم وتسميتها به لكو
نها مصدرة ببيان الكتاب متشاكلة في النظم والمعني اي اخذا ه
مما قيل ان حم اسم من اسماء القران وقوله تعالي تنزيل الكتاب
اي الجامع من الحدود والاحكام والمعارف والاكرام امخبر لحم ان كانت
مبتدا واما خبر لمبتدا مضمر واما مبتدا وخبره من الله اي الجامع ه
لجميع الصفات الكمال وما كان النظر هنا من بين جميع الصفات
الي العزة والعلم اكثر لاجل ان المقام لاثبات الصدق وعدا ووعيدا
قال تعالي العزيز اي في ملكه العليم اي بخلقه فيبين تعالي
الله بقدرته وعلمه انزل القران الذي يتضمن المصالح والاعجاز
ولولا كونه عزيزا عالما لما صح ذالك غافر الذنب اي

بتوبة



بتوبة وغير توبة للمومن ان شاء واما الكافر فلا بد من توبة بالاسلا
وقابل التوب اي ممن عصاه وهو يحتمل ان يكون اسما مفردا مرادا به ه
الجنس كالذنب وان يكون جمعا للتوبة كتمر وتمرة شديد العقاب اي
علي الكافر فان قيل ان شديد صفة مشبهة فاضافته غير محضة فيكون حا
بخلاف اسم الفاعل اذا لم يرد به الحال ولا الاستقبال كغافر الذنب
وقابل التوبة فان اضافته محضة فتفيد التعريف قال سيبويه كلما
اضافته غير محضة جاز ان تجعل محضة وتوصف به المعارف الا الصفة
المشبهة ولم يستثني الكوفيون شيئا اجيب بان شديد معناه ه
مشدد كالاذين بمعني موذن فيتمحض اضافته او الشديد عقابه ه
فحذف اللام للازدواج او من الالتباس او بالتزام مذهب الكوفيين
وهو ان الصفة المشبهة يجوز ان تتمحض اضافتها ايضا فتكون
معرفة يقولون في نحو حسن الوجه يجوز ان تتمحض فتصير اضافته
محضة وقال الرازي لا نزاع في جعل غافر وقابل صفتان وانما كان
كذلك لانهما يفيدان معني الدوام والاستمرار وكذلك شديد
العقاب لان صفاته منزهة عن الحدوث والتجدد فمعناه كونه
بحيث يقال شديد عقابه وهذا المعني حاصل ابدا لا يوصف بانه حصل
بعد ان لم يكن قال ابو حيان وهذا امن لم يقف علي علم النحو ولا نظر
فيه ويلزمه ان يكون حكيم وعليم ومليك معتقدر معارف لتنز
صفاته عن الحدوث والتجدد ولانها صفات لم تحصل بعد ان لم تكن
ويكون تعريف صفاته بال وتنكيرها سواء وهذا لا يقوله مبتدي في
علم النحو فكيف من يصنف فيه ويقدم علي تفسير كتاب الله تعالي انتهي
قال الزمخشري فان قلت ما بال الواو في قوله وقابل التوبة قلت
فيها نكتة جليلة وهي افادة الجمع للمذنب التائب بين رحمتين بين
ان تقبل توبته فيكتبها له طاعة من الطاعات وان يجعلها محاة
للذنوب كان لم يذنب كانه قال جامع للمغفرة والقبول انتهي قال ابن

م
ل
ن
فته
به

عادل وبعد هذا الكلام الانق وابراز هذه المعاني الحسنة قال ابو حيان
وما اكثر تبجح هذا الرجل وشقشقته والذي افادته الواو الجمع وهذا معلوم
من ظاهر علم النحو انتهى وانشد بعضهم ٥ وكم من عايب قولا صحيحا
وافته من الفهم السقيم ٥ وقال اخر ٥ قد تنكر العين ضوء الشمس من رمد
٥ وينكر الفم طعم الما من سقم ٥ ولما اتم الترغيب بالعفو والترهيب
بالعقوبة اتبعه التشويق الى الفضل فقال تعالى ذي الطول اي سعة
الفضل والانعام والقدرة والغنا والسعة والمنة لا يماثله في شي من ذلك
احد ولا يدانيه وقال ابن عباس غافر الذنب لمن قال لا اله الا الله
وقابل التوبة ممن قال لا اله الا الله شديد العقاب لمن لا يقول لا اله الا
الله ذي الطول الغنا عمن لا يقول لا اله الا الله وقال الحسن ذو الفضل
وقال قتادة ذو النعم ثم علل تمكنه من كل شي من ذلك وحدانيته ٥
فقال تعالى لا اله الا هو اليه وحده المصير اي المرجع فلو جعل معه
الها اخر يشاركه في صفة الرحمة والفضل لما كانت الحاجة الى عبوديته
شديدة فكان الترغيب والترهيب الكاملين حاصلين بسبب
هذا التوجيه قوله تعالى اليه المصير مما يقوي الرغبة في الاقرار بالعبو
دية روي ان عمر رضي الله تعالى عنه افتقد رجلا ذا باس شديد من اهل
الشام فقيل له تتابع في هذا الشراب فقال عمر لكاتبه اكتب من عمر الى
الى فلان سلام عليك وانا احمد اليك الله الذي لا اله الا هو بسم الله
الرحمن الرحيم حم الى قوله تعالى اليه المصير وختم الكتاب وقال
لرسوله لا تدفعه اليه حتى تجده صاحيا ثم امر من عنده بالدعاء
له بالتوبة فلما اتته الصحيفة جعل يقراوها ويقول قد وعدني الله
ان يغفر لي وحذرني عقابه فلم يبرح يرددها حتى بكى ثم نزع فا
حسن النزوع وحسنت توبته فلما بلغ عمر امره قال هكذا فاصنعوا
اذا رايتم اخاكم قد زل زلة فسددوه ووفقوه وادعوا الله تعالى
ان يتوب عليه ولا تكونوا اعوانا للشيطان عليه ولما قرر تعالى ان

القران

ان القران كتاب انزله ليهتدي به في الدين ذكر احوال من يجادل ٥
لغرض ابطاله فقال ما يجادل اي يخاصم ويماري اذ يفتل الامور الى
مراده في الله اي في ابطال انوار الملك الاعظم المحيط بصفات الكمال
العال كالشمس على انه اليه المصير بان يغش نفسه بالشك في ذلك
الا الذين كفروا قال ابو العالية ايتان ما اشدهما على الذين يجادلون
في القران قوله تعالى ما يجادل في ايات الله الذين كفروا وقوله تعالى وان
الذين اختلفوا في الكتاب لفي شقاق بعيد وعن ابي هريرة عن النبي
صلى الله عليه وسلم ان جدالا في القران كفر وعن عمرو ابن شعيب عن
ابيه عن جده قال سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يتمارون فقوما في القرا
فقال انما هلك من كان قبلكم ضربوا كتاب الله بعضه ببعض فما علمتم
منه فقولوه وما جهلتم منه فكلوه الى عالمه وعن عبد الله ابن عمرو بن العاص
قال هاجرت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما فسمعت اصوات رجلين
اختلفا في اية فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم يعرف في وجهه الغضب فقال
فقال انما هلك من كان قبلكم باختلافهم في الكتاب تنبيه الجدال نوعان
جدال في تقرير الحق وجدال في تقرير الباطل اما الاول فهو حرفة الا
الانبيا عليهم الصلاة والسلام قال تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم وجادلهم
لهم بالتي هي احسن وحكى عن قوم نوح قولهم يا نوح قد جادلتنا فاكثرت
جدالنا واما الثاني فهو مذموم وهو المراد بهذه الاية تجدالهم
في ايات الله هو قولهم مرة هذا سحر ومرة هو شعر ومرة هو قول الكهنة
ومرة اساطير الاولين ومرة انما يعلمه بشر واشباه هذا وعلمت
ان الحق لابد منه وان الله تعالى قادر كامل القدرة لانه لا شريك له وهو
محيط بجميع اوصاف الكمال شي غني ذلك قوله تعالى فلا يغررك
تقلبهم اي تنقلهم بالتجارات والفوايد والجيوش والعساكر
واقبال الدنيا عليهم في البلاد كبلاد الشام واليمن فانهم ماخوذون
عما قريب بكفرهم اخذ من قبلهم كما قال تعالى كذبت قبلهم قوم نوح

مطلب في الجدال

وقد كانوا في غاية القوة والقدرة على القيام بما يجادلونه وكانوا حزبا
واحدا لم يفرقهم شي ولما كان الناس من بعدهم قد كثروا وفرقهم اختلاف
الالسنة والاديان وكان للاجمال من الردع في بعض المواطن ما
ليس للتفصيل قال تعالى والاحزاب اي الامم المتفرقة الذين لا يحصى
عددا ول على قرب زمان الكفر من الانجام من الفرق بقوله من بعدهم كعاد
وثمود وهمت كل امة اي من هولاء برسولهم اي الذي ارسلناه اليهم
لياخذوه اي ليتمكنوا من اصابته بما ارادوا من تعذيب او قتل و
يقال للاسير اخيذ وقال ابن عباس ليقتلوه ويهلكوه وجادلوا با
لباطل اي بالامر الذي لا حقيقة له وليس له من ذاته الا الزوال كما
تفعل قريش ومن ضاهاهم من العرب ثم بين علة مجادلتهم بقوله تعالى
ليدحضوا اي ليزيلوا به الحق اي الذي جاءت به الرسل فاخذتهم اي
اهلكتهم وهم صاغرون وقرا ابن كثير وحفص باظهار الذال والباقون
بالادغام فكيف كان عقاب لهم اي هو واقع موقعه وهم يمرون على
ديارهم ويرون اثره وهذا التقرير فيه معنى التعجب تنبيه حذف ياء
المتكلم اشارة الى ان ادنى شي من عذابه بادنى نسبة كاف في المراد و
لما كان التقدير فحقت عليهم كلمة الله تعالى عطف عليه وكذلك اي ومثل
ما حقت عليهم كلمتنا بالاخذ حقت عليهم كلمة ربك اي المحسن اليك
وهي لاملان جهنم الاية على الذين كفروا لكفرهم وقرا نافع وابن عامر
بالف بعد الميم على الجمع والباقون بغير الف على الافراد وقوله تعالى انهم
اصحاب النار في محل رفع بدل من كلمة ربك اي مثل ذلك الوجوب و
جب على الكفرة بكونهم من اصحاب النار ومعناها كما وجب اهلاكهم
في الدنيا بالعذاب المستاصل كذلك وجب اهلاكهم بعذاب النار في
الاخرة او في محل النصب بحذف لام التعليل وايصال الفعل ولما بين
تعالى ان الكفار بالغوا في اظهار العداوة للمومنين بقوله ما يجادل
في ايات الله وما بعده بين تعالى ان الملائكة الذين هم حملة العرش

والحافون

والحافون حوله بالغوا في اظهار المحبة والنصرة للمو
منين فقال تعالى الذين يحملون العرش وهو مبتدا وقوله ومن
حوله عطف عليه وقوله تعالى يسبحون خبره بحمد ربهم اي المحسن
اليهم قال شهر ابن حوشب حملة العرش ثمانية اربعة منهم يقولون
سبحانك اللهم وبحمدك لك الحمد على حلمك بعد علمك واربعة منهم
يقولون سبحانك اللهم وبحمدك لك الحمد على عفوك بعد قدرتك
قال وكانهم يرون ذنوب بني ادم وقيل انهم اليوم اربعة فاذا كان
يوم القيامة ايدهم الله تعالى باربعة اخرى كما قال تعالى ويحمل عرش ربك
فوقهم يومئذ ثمانية وهم من اشرف الملائكة وافضلهم لقربهم
من محل رحمة ربهم قال ابن الخازن وجاء في الحديث ان لكل ملك
منهم وجه رجل ووجه اسد ووجه ثور ووجه نسر ولكل واحد منهم
اربعة اجنحة جناحان منها على وجهه مخافة ان ينظر الى العرش
فيصعق وجناحان يهفو بهما في الهوا ليس لهم كلام غير التسبيح
والتحميد والتكبير والتمجيد ما بين اظلافهم الى ركبهم كما بين سماء وسماء
وقال ابن عباس حملة العرش ما بين كعب احدهم الى اسفل قدميه مسيرة
خمس مائة عام ويروى ان اقدامهم في تخوم الارضين والارضون و
السموات الى حجزتهم وهم يقولون سبحان ذي العزة والجبروت
سبحان ذي الملك والملكوت سبحان الحي الذي لا يموت سبوح قدوس
رب الملائكة والروح وقال ميسرة بن عرفة ارجلهم في الارض
السفلى ورؤوسهم خرقت العرش وهم خشوع لا يرفعون طرفهم وهم
اشد خوفا من اهل السماء السابعة واهل السماء السابعة اشد
خوفا من السماء التي تليها والتي تليها اشد خوفا من التي تليها
وقال مجاهد بين الملائكة والعرش سبعون الف حجاب من نور وسبعون
الف حجاب من ظلمة وعن جابر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
اذن لي ان احدث عن ملك من ملائكة الله من حملة العرش ان ما بين

نحه اذنه الي عاتقه مسيرة سبع مائة عام **واما صفة العرش** فقيل
انه من جوهرة خضرا وهو من اعظم المخلوقات خلقا وروي جعفر
ابن محمد عن ابيه عن جده انه قال بين القايمة من قوايم العرش والقايمة
الثانية خفقان الطير المسرع ثلاثين الف عام ويكسي العرش كل يوم
سبعين الف لون من النور لا يستطيع ان ينظر اليه خلق من خلق
الله تعالي كلها والاشياء كلها في العرش كحلقة في فلاة وقال مجاهد
بين السماء السابعة والعرش سبعون الف حجاب حجاب نور وحجاب ظلمة
وحجاب نور وحجاب ظلمة وقيل ان العرش قبلة اهل السماء كما ان الكعبة
قبلة اهل الارض واما من حول العرش فهم الكروبيون وهم سادات
الملائكة وقال وهب ابن منبه ان حول العرش سبعين الف صف من
الملائكة صف خلف صف يطوفون بالعرش يقبل هولاء ويقبل
هولاء فاذا استقبل بعضهم بعضا هلل هولاء وكبر هولاء ومن ورا
ئهم سبعون الف صف قيام ايديهم علي اعناقهم قد وضعوها علي عواتقهم
فاذا سمعوا تكبير هولاء وتهليلهم رفعوا اصواتهم فقالوا سبحانك
وبحمدك ما اعظمك واجلك انت الله لا اله غيرك انت الاكبر الخلق كلهم
راجعون اليك ومن وراء هولاء وهولاء مائة الف صف من الملائكة
وقد وضعوا اليمني علي اليسري ليس منهم احد الا يسبح بحمده لا يسبحه
الاخر ما بين جناحي احدهم مسيرة ثلثمائة عام وما بين شحمة اذنه الي
عاتقه اربع مائة عام واحتجب الله عز وجل من الملائكة الذين حول العرش
بسبعين حجابا من نار وسبعين حجابا من ظلمة وسبعين حجابا من نور وسبعين
حجابا من در ابيض وسبعين حجابا من ياقوت احمر وسبعين حجابا من
زبرجد اخضر وسبعين حجابا من ثلج وسبعين حجابا من ماء وسبعين حجابا
من برد وما لا يعلم علمه الا الله تعالي ومن استحاب له سبحانه هذا
الملك العظيم ولما كان تعالي لا يحيط به احد علما اشار الي انهم مع قربهم
كغيرهم لا فرق بذلك بينهم وبين من في الارض السفلي بقوله تعالي

ويؤمنون به

ويؤمنون به لان الايمان انما يكون بالغيب فهم يصدقون بانه واحد
لا شريك له ولا مثل له ولا نظير له فان قيل ما فائدة قوله تعالي ويؤمنون
به ولا يخفي علي احد بان حملة العرش ومن حوله من الملائكة الذين
يسبحون بحمده يؤمنون اجيب بان فائدته اظهار شرف الايمان
وفضله والترغيب فيه كما وصف الانبياء عليهم الصلاة والسلام في
في غير موضع من كتابه بالصلاح لذلك وكما عقب اعمال الخير بقوله تعالي
ثم كان من الذين امنوا بان بذلك فضل الايمان ولما كانوا اقرب
اسد الخلق خوفا لانه علي قدر القرب من تلك الحضرات يكون الخوف
من اقرب ما يقرب به الي الملك لتقربه الي اهل وده نبه سبحانه وتعالي
ويستغفرون اي يطلبون محو الذنوب عينا واثرا **للذين امنوا**
اي اوقعوا هذه الحقيقة فهم يستغفرون لمن في مثل حالهم وصفتهم
وفي ذلك تنبيه علي ان الاشتراك في الايمان يجب ان يكون ادعي
شيء الي النصيحة وابعث علي امحاض الشفقة وان تفاوتت الا
جناس وتباعدت الاماكن فانه لا تجانس بين ملك وانسان ولا بين
سماوي وارضي قط ولكن لما جاء جامع الايمان جامعه التجانس الكلي
والتناسب الحقيقي حتي استغفر من حول العرش لمن فوق الارض قال تعالي
ويستغفرون لمن في الارض واستغفارهم بان يقولوا **ربنا** اي ايها
المحسن الينا بالايمان وغيره فهو محول القول مضمر في محل النصب
علي الحال من فاعل يستغفرون وخبر بعد خبر **وسعت كل شيء رحمة
وعلما** اي وسع رحمتك كل شيء وعلمك كل شيء فازيل الكلام عن اصله
بان اسند الفعل الي صاحب الرحمة والعلم واخرجا منصوبين علي
التمييز في وصفه بالرحمة والعلم كان ذاته رحمة وعلما واسعان
كل شيء واكثر ما يكون الدعاء بذكر الرب لان الملائكة قالوا في
هذه الاية وقال ادم عليه السلام ربنا ظلمنا انفسنا وقال
نوح عليه السلام رب ان قومي كذبون وقال رب اغفر لي ولوالدي

وقال ابراهيم عليه السلام رب ارني كيف تحيي الموتى وقال ربنا
واجعلنا مسلمين لك وقال يوسف عليه السلام رب قد اتيتني
من الملك وقال موسى عليه السلام رب ارني انظر اليك وقال
رب اني ظلمت نفسي فاغفر لي وقال سليمان عليه السلام رب
اغفر لي وهب لي ملكا وقال عيسى عليه السلام ربنا انزل علينا
مائدة وقال تعالى لمحمد صلى الله عليه وسلم وقل رب اعوذ بك من
همزات الشياطين فان قيل لفظ الله اعظم من لفظ
الرب فلم خص لفظ الرب بالدعاء اجيب بان العبد يقول
كنت في العدم المحض والنفي الصرف فاخرجتني الى الوجود ور
بيتني فاجعل تربيتك واحسانك سببا لاجابة دعائي
فاغفر للذين تابوا اي رجعوا اليك عن ذنوبهم برحمتك
لهم بان تمحو اعينها واثرا فلا عقاب ولا عتاب ولا ذكر لها و
اتبعوا اي كلفوا انفسهم على ما لها من العوج ان لزموا سبيلك
المستقيم الذي لا لبس فيه ولما كان الغفران قد يكون لبعض
الذنوب وكان سبحانه وتعالى ان يعذب من لا ذنب له وان يعذب
من غفر ذنبه قالوا وقهم عذاب الجحيم اي اجعل بينهم وبينه
وقاية بان تلزمهم الاستقامة وتتم نعمتك عليهم فانك
وعدت من كان كذلك ولا يبدل القول لديك وان كان يجوز ان
تفعل ما تشاء فان الخلق عبيدك ولما طلبوا من الله سبحانه
وتعالى ازالة العذاب عنهم وكان ذلك لا يستلزم الثواب
قال مكررين صفة الاحسان لزيادة في الرقة في طلب
الامتنان ربنا اي ايها المحسن الينا وادخلهم جنات عدن
اي اقامة التي وعدتهم اي اياها وقوله ومن صلح معطوف على
هم في وعدتهم وقدموا قوله من ابائهم على قولهم وازواجهم وذرياتهم
لان الاباء احق الناس بالاجلال وقدموا الازواج في اللفظ

على الذرية

على الذرية لانهم اشد التصاقا بالشخص وطلبوا لهم ذلك لان
الانسان لا يتم نعيمه الا باهله وقال سعيد بن جبير يدخل الجنة
المؤمن فيقول اين ابي اين ولدي اين زوجتي فيقال لهم انهم لم يعملوا
مثل عملك فيقول اني اعمل لي ولهم فيقال ادخلوهم الجنة انك انت
اي وحدك العزيز اي فانت تغفر لمن شئت الحكيم فكل فعل
لك في اتم مواضعه فلا يتهيا لاحد نقضه ولا نقصه وقهم
السيئات اي بان تجعل بينهم وبينها وقاية بان تطهرهم
من الاخلاق الحاملة عليها فان قيل هذا مكرر مع قوله
وقهم عذاب الجحيم اجيب بان التفاوت حاصل من وجهين
احدهما ان يكون قولهم وقهم عذاب الجحيم دعا مذكورا للاصول
وقولهم وقهم السيئات دعاء مذكورا للفروع وهم الاباء والا
زواج والذريات ثانيهما ان يكون قولهم وقهم عذاب الجحيم
مقصورا على ازالة عذاب الجحيم وقولهم وقهم السيئات يتناول
عذاب الجحيم وعذاب موقف القيامة والسؤال والحساب فيكونا
تعميما بعد تخصيص وهذا اولى وقال بعض المفسرين ان الملا
ئكة طلبوا ازالة عذاب النار عنهم بقولهم عذاب الجحيم وطلبوا
ايصال الثواب اليهم بقولهم وادخلهم جنات عدن ثم طلبوا بعد
ذلك ان يصونهم الله تعالى في الدنيا من العقايد الفاسدة بقولهم
وقهم السيئات وقرا ابو عمرو في الوصل بكسر الميم والهاء وحمزة
والكسائي بضم الهاء والميم والباقون بكسر الهاء وضم الميم
ثم قالت الملائكة ومن تق السيئات اي جزاءها كلها يومئذ
اي يوم تدخل فريقا الجنة وفريقا النار المسببة عن السيئات
وهو يوم القيامة فقد رحمته اي الرحمة الكاملة التي لا يستحق
غيرها منها ان يسمى رحمة فان تمام النعيم لا يكون الا بها
لزوال التحاسد والتباغض والنجاة من النار باختيار السيئات

ولذلك قالوا وذلك هو اي الامر العظيم جدا هو الفوز العظيم اي النعيم
التي لا ينقطع في جوار ملك لا تصل العقول الى كنه عظمته
واجلاله هذا احد دعاء الملائكة للمؤمنين قال مطرف
انصح عباد الله للمؤمنين الملائكة واغش الخلق للمؤ
منين هم الشياطين ثم انه تعالى بعد ان ذكر احوال المؤ
منين عاد الى ذكر احوال الكافرين المجادلين في ايات الله
تعالى وهم المذكورون في قوله تعالى ما يجادل في ايات الله الا
الذين كفروا فقال تعالى مستانفا متوعدا لانكارهم ايات
الله تعالى ان الذين كفروا اي اوقعوا الكفر ولو لحظة
ينادون بسياتهم وعاينوا العذاب فيقال لهم لمقت الله اي
الملك الاعظم اياكم اكبر والتقدير لمقت الله انفسكم
اكبر من مقتكم انفسكم فاستغني بذكرها مرة وقوله تعالى
اذ تدعون الى الايمان فتكفرون منصوب بالمقت الاول
والمعنى انه يقال لهم يوم القيامة كان الله تعالى يمقت
انفسكم الامارة بالسوء والكفر حين كان يدعوكم الى الايمان
فتابون قبوله وتختارون عليه الكفر اشد ما تمقتونهن اليوم
وانتم في النار اذا وقعتم فيها باتباعكم هواهن وذكروا في تفسير
مقتهم انفسهم وجوها اولها انهم اذا شاهدوا القيامة
والجنة والنار مقتوا انفسهم على اصرارهم على التكذيب بهذه
الاشياء في الدنيا ثانيها ان الاتباع يشتد مقتهم للرؤسا
الذين يدعونهم الى الكفر في الدنيا والرؤساء ايضا يشتد
مقتهم للاتباع فعبر عن مقت بعضهم بعضا بانهم مقتوا انفسهم
كقوله تعالى اقتلوا انفسكم والمراد قتل بعضكم بعضا
ثالثها قال محمد ابن كعب اذا خطبهم ابليس وهو في النار يقول
ما كان لي عليكم من سلطان الى قوله ولوموا انفسكم ففي هذه

الحالة

الحالة مقتوا انفسهم واما الذين ينادون الكفار بهذا الكلام
فهم خزنة جهنم وعن الحسن لما راوا اعمالهم الخبيثة مقتوا
انفسهم فنودوا لمقت الله اكبر وقيل معناه لمقت الله
اياكم اكبر من مقتكم بعضكم بعضا كقوله تعالى يكفر بعضكم
ببعض ويلعن بعضكم بعضا واذ تدعون تعليل والمقت اشد
البغض وذلك في حق الله تعالى محال فالمراد منه ابلغ الانكار
واشده وعن مجاهد مقتوا انفسهم حين راوا اعمالهم ومقت
الله تعالى اياهم في الدنيا اذ يدعون الى الايمان فيكفرون اكبر
وقال الفراء معناه ينادون ان مقت الله تعالى يقال ناديت
ان زيدا قائم وناديت لزيد قائم وقرا ابو عمرو وهشام وحمزة
والكسائي بادغام الذال في التاء والباقون بالاظهار ثم انه
تعالى بين ان الكفار اذا خوطبوا بهذا الخطاب قالوا ربنا
اي ايها المحسن الينا بما تقدم في دار الدنيا امتنا اثنتين اي
اماتتين واحييتنا اثنتين اي احياءتين قال ابن عباس وقتادة
والضحاك كانوا امواتا في اصلاب ابائهم فاحياهم الله تعالى
في الدنيا ثم اماتهم الموتة التي لا بد منها ثم احياهم للبعث يوم
القيامة فهما موتتان وحياتان وهو كقوله تعالى كيف
تكفرون بالله وكنتم امواتا فاحياكم ثم يميتكم ثم يحييكم
وقال السدي اميتوا في الدنيا ثم احيوا في قبورهم للمسئلة
ثم اميتوا في قبورهم ثم احيوا في الاخرة وقيل واحدة عند
انقضاء الاجل في الحياة الدنيا واخرى بالصعق بعد
البعث والارقاد بعد السؤال في القبر وردبان الصعق
ليس بموت وما في القبر ليس بحياة حتى يكون عندهن
وانما هو اقدار على الكلام كما اقدر سبحانه الحصا على التسبيح
والحجر على التسليم والضب على الشهادتين فاعترفنا بذنوبنا

اي تكفرنا بالبعث **فهل الى خروج** من النار الى الدنيا فنصلح
اعمالنا ونعمل بطاعتك **من سبيل** اي طريق ونظيره هل الى
مرد من سبيل والمعنى انهم لما عرفوا ان الذي كانوا عليه في الدنيا
كان فاسدا باطلا تمنوا المرجوع الى الدنيا ليشتغلوا بالاعمال
الصالحة فان قيل المفاد في قوله تعالى فاعترفنا يقتضي ان
تكون الاماتة مرتين والاحيا مرتين سببا لهذا الاعتراف
فما وجه هذه النسبة اجيب بانهم كانوا منكرين
البعث فلما شاهدوا هذا الاحيا بعد الاماتة معه مرتين لم
يبق لهم عذر في الاقرار بالبعث فلا جرم وقع هذا الاقرار كا
لمسبب عن تلك الاماتة والاحيا ولما كان الجواب قطعا
لا سبيل الى ذلك علله بقوله تعالى **ذلكم** اي القضا النافذ
العظيم العالي بتخليدكم في النار مقتاصنه لكم **بانه** اي كان
بسبب انه **اذا دعي الله** اي الملك الاعظم من اي داع وفي اعراب
قوله تعالى **وحده** وجهان احدهما انه مصدر في موضع الحال
وجاز مع كونه لفظا لكونه في قوة النكرة كانه قيل منفردا ثانيهما
وهو قول يونس انه منصوب على الظرف والتقدير دعي على
حاله وهو مصدر محذوف الزوائد والتقدير اوحدته ايحادا
كفرتم بتوحيده **وان يشرك به** اي يجعل له تعالى شريك
تؤمنوا اي تصدقوا بالاشراك **فالحكم** اي فتسبب عن القطع
بانه لا رجعة لهم وان الكفار ما ضروا الا انفسهم مع
ادعائهم العقول الراجحة ونحو ذلك ان كل حكم **لله** اي
المحيط بصفات الكمال **العلي** اي عن ان يكون له شريك **الكبير**
اي الذي لا يليق الكبر الا له ولما قصر الحكم عليه دل على ذلك
قوله تعالى **هو** اي وحده **الذي يريكم** اي بالبصر والبصيرة

اياته

اياته اي علاماته الدالة على تفرده في صفات الكمال
وانه لا يجوز جعل هذه الاحجار المنحوتة والخشب المصور
شركاء لله في المعبودية ومن اياته الدالة على كمال القدرة
والعظمة قوله تعالى **وينزل لكم من السماء** اي جهة العلو الدالة
على قهر ما نزل منها بامساكه الى حين يحكم بنزوله **رزقا**
اي اسباب رزق كالمطر لاقامة ابدانكم لان اهم المهمات
رعاية مصالح الاديان ومصالح الابدان والله تعالى
راعى مصالح اديان العباد باظهار البينات والايات
الباهرات وراعى مصالح ابدانهم بانزال الرزق من السماء
فموقع الايات من الاديان كموقع الارزاق من الابدان وعند
حصولهما يحصل الانعام الكامل وقرا ابن كثير وابو عمرو بسكون
النون وتخفيف الزاي **وما يتذكر** ذلك تذكرا نافعا فيتعظ
بهذه الايات **الا من ينيب** اي يرجع الى الله تعالى في جميع
اموره فيعرض عن غير الله ويقبل بكليته على الله تعالى
~~اي الذي له صفات الكمال~~ ولهذا قال عز من قائل **فا
دعوا** وصرح بالاسم الاعظم فقال تعالى **الله** اي الذي له صفات
الكمال اي فاعبدوه **مخلصين له الدين** اي الافعال التي
يقع الجزاء عليها لمن كان يصدق بالجزاء وبان الله غنيا
لا يقبل الا الخالص فاجتهد في تصفية اعماله فياتي
بها في غاية الخلوص عن كل ما يمكن ان يكدرها من غير مشا
ببة شريك جلي او خفي كما ان معبوده واحد من غير

ثابتة نقص **ولو كره** اي الدعاء منكم **الكافرون** اي
الساترون لانوار عقولهم ولما ذكر تعالى من صفات كبريائه
كونه مظهرا للايات ذكر ثلاثة اخرى من صفات الجلال
والعظمة فهو قوله تعالى **رفيع الدرجات** وهو يحتمل ان
يكون المراد منه الرافع وان يكون المراد منه المرتفع فان
حملناه على الاول ففيه وجوه اولها انه تعالى يرفع درجات
الانبياء والاولياء ثانيها يرفع درجات الخلق في العلوم والا
خلاق الفاضلة فجعل لكل احد من الملائكة درجة معينة
كما قال تعالى عنهم وما منا الا له مقام معلوم وجعل لكل وحد
من العلماء درجة معينة فقال تعالى يرفع الله الذين امنوا
منكم والذين اوتوا العلم درجات وعين لكل جسم درجة
معينة فجعل بعضها سفلية كدرة وبعضها فلكية
كوكبية وبعضها من جواهر العرش والكرسي وايضا جعل لكل
واحد من ائمة معينة في الخلق والخلق والرزق والاجل فقال
تعالى هو الذي جعلكم خلائف في الارض ورفع بعضكم
فوق بعض درجات وجعل لكل احد من السعداء والاشقياء
في الدنيا درجة معينة من موجبات السعادة وموجبات
الشقاوة وفي الاخرة تظهر تلك الاثار وان حملنا الرفيع على
المرتفع فهو سبحانه وتعالى ارفع الموجودات في جميع صفات الكمال
والجلال تنبيه في رفيع وجهان احدهما انه مبتدا والخبر **ذو العرش**

اي

اي المالك الذي لا عرش في الحقيقة الا هو فهو محيط بجميع
الاكوان وعالية لكل جماد وحيوان وعال بجلاله وعظمته
عن كل ما يخطر في الاذهان وقوله تعالى **يلقي الروح** اي
الوحي سماه روحا لانه يحيى به القلوب كما يحيي الابدان
بالارواح **من امره** قال ابن عباس اي قضائه وقيل قوله
يجوز ان يكون خبرا ثانيا وان يكون حالا ويجوز ان
تكون الثلاثة لمبتدا محذوف ويجوز ان تكون الثلاثة
اخبارا لقوله تعالى هو الذي يريكم اياته ولما كان تعالى
غالبا على كل امر اشار الى ذلك باداة الاستقلال فقال
تعالى **على من يشاء** اي من يختاره **من عباده** للنبوة وفي هذا دليل
على انها عطائية وقوله تعالى **لينذر** غاية الالقاء والفاعل هو
الله تعالى او الروح او من يشاء او الرسول او المنذر وبه
محذوف تقديره لينذر العذاب **يوم التلاق** اي يوم القيامة
فان فيه يتلاقى الارواح والاجساد واهل السماء والارض
وقال مقاتل يلتقي الخلق والخالق وقال ميمون ابن مهران
يلتقي الظالم والمظلوم وقيل يلتقي العابدون والمعبودون
وقيل يلتقي فيه المرء مع عمله والاولى ان تفسير الاية بما
يشمل الجميع **يوم هم بارزون** اي خارجون من قبورهم
وقيل ظاهرون لا يسترهم شيء من جبل او حجر او تلال او غير
ذلك وقيل بارزون كناية عن ظهور حالهم وانكشاف

امره

اسرارهم كما قال تعالى يوم تبلى السرائر والاولى ايضا ان
تفسر الاية بما يشمل الجميع كما قال تعالى لا يخفى على الله
اي المحيط علما وقدرة منهم اي من اعمالهم واحوالهم شيء وان
دق وخفى ويقول الله تعالى ذلك اليوم بعد فناء الخلق لمن
الملك اليوم اي يا من كانوا يعملون اعمال من يظن انه لا يقدر
عليه احد فلا يجيبه احدٌ فيجيب نفسه فيقول لله اي الذي
له جميع صفات الكمال ثم دل على ذلك بقوله تعالى الواحد
اي الذي لا يمكن ان يكون له ثانيا بشركة ولا قسمة ولا غيرها
القهار اي الذي قهر الخلق بالموت وقيل يجيبونه بلسان الحال
او المقال فيقولون ذلك وقال الرازي لا يبعد ان يكون السائل
والمجيب هو الله تعالى ولا يبعد ايضا ان يكون السائل جمع
من الملائكة والمجيب جمع اخرون وليس على التعيين فان
قيل الله تعالى لا يخفى عليه منهم شيء في جميع الايام فما معنى
تقييد هذا العلم بذلك اليوم اجيب بانهم كانوا يتوهمون
في الدنيا انهم اذا استتروا بالحيطان والحجب ان الله تعالى لا
يراهم ويخفى عليه اعمالهم فهم ذلك اليوم صايرون من البروز والانكشاف
الى حال لا يتوهمون فيها مثل ما يتوهمون في الدنيا كما قال تعالى
ولكن ظننتم ان الله لا يعلم كثيرا مما تعملون وقال تعالى
يستخفون من الناس ولا يستخفون من الله وهو معهم وهو
معنى قوله تعالى وبرزوا لله الواحد القهار ولما اخبر تعالى عن
اذعان كل نفس بانقطاع الاسباب اخبرهم بما يزيد عنهم

ويبعث

ويبعث رغبتهم وهو نتيجة تفرده بالملك فقال تعالى اليوم
تجزى اي تقضى وتكافأ كل نفس بما اي بسبب ما كسبت
اي عملت لا تترك نفس واحدة لان العلم قد شملهم والقدرة
قد احاطت بهم وعمتهم والحكمة قد منعت من اهمال احد
منهم فيجزى المحسن باحسانه والمسيء باساءته لا ظلم
اليوم اي بوجه من الوجوه ان الله اي التام القدرة الشامل العلم
سريع الحساب اي بليغ السرعة فيه لا يشغله حساب احد
عن حساب احد غيره في وقت حسابه لذلك الغير ولا يشغله
شأن عن شأن لانه لا يحتاج الى تكلف عد ولا يفتقر الى
مراجعة كتاب ولا شيء فكان في ذلك ترجية وخوف الفريقين
لان المؤمن يرجو اسراع البسط بالثواب والظالم يخشى اسراع
الاخذ بالعذاب وعن ابن عباس اذا اخذ في حسابهم لم يقل
اهل الجنة الا فيها ولا اهل النار الا فيها ثم نبه بقوله تعالى
سبحانه وانذرهم يوم الازفة اي يوم القيامة على ان يوم القيامة
قريب نظيره قوله تعالى اقتربت الساعة قال الزجاج انما قيل
لها ازفة لانها قريبة وان استبعد لنا كما مرها الان ما هو
كائن قريب والازفة فاعلة من ازف الامر اذا دنا وحضر
كقوله تعالى في صفة القيامة ازفت الازفة اي قربت
قال النابغة • • • • • • •
ازف الشباب غير ان ركابنا • لما تزل برحالنا وكان قد • وقال
كعب بن زهير • • • • • • • • •
بان الشباب وهذا الشيب قد ازفا • ولا ارى لشباب بائن خلفا •
تنبيه الازفة نعت لمحذوف مؤنث كيوم القيامة الازفة
او يوم المجازاة الازفة قال القفال واسماء القيامة على التانيث

ع

مه

كالطامة والحاقة كانها مرجع معناها على الداهية ويوم القيامة
له اسماء كثيرة تدل على اهواله باعتبار مواقعه واحواله
منها يوم البعث وهو ظاهر ومنها يوم التلاق لما مر
ومنها يوم التغابن لغبن اكثر من فيه وحسراته
وقيل المراد بيوم الازفة مشارفتهم دخول النار
فان عند ذلك ترتفع قلوبهم عن مقارها من شدة الخوف
وقال ابو مسلم هو يوم حضور الاجل لان يوم الموت
بالقرب اولى من وصف يوم القيامة بالقرب ولما ذكر
اليوم هول امره بما يحصل فيه من المشاق بقوله تعالى
اذ القلوب اي من كل من حضره ترتفع **لدى** اي عند **الحناجر**
اي حناجر المجموعين فيه وهو جمع حنجور وهو الحلقوم يعني
انها زالت عن اماكنها صاعدة من كثرة الرعب حتى كادت
تخرج ثم اسند اليها ما يسند للعقلاء فقال تعالى **كاظمين**
اي ممتلئين خوفا ورعبا وحزنا مكروبين قد استدت
مجاري انفاسهم واخذ بجميع اجسامهم ولما كان من
المعهود ان الصداقات تنفع في مثل ذلك اليوم والشفا
عات قال تعالى مستانفا **ما للظالمين** اي الغريقين في
الظلم **من حميم** اي قريب صادق في مودتهم مهتم باموره
مزيل لكروبهم **ولا شفيع يطاع** فيستشفع لهم تنبيه
احتج المعتزلة بهذه الاية على نفي الشفاعة عن المذنبين
فقالوا نفى حصول شفيع لهم يطاع فوجب ان لا يحصل لهم هذا
الشفيع واجيبوا بوجوه اولها انه تعالى نفى ان يحصل لهم
شفيع يطاع وهذا لا يدل على نفي الشفيع كقولك ما عندي

كتاب

كتاب يباع ولا تقتضي نفي وهذا يبقى ان لهم شفيعا يطيعه
الله تعالى ما من شفيع الا من بعد اذنه ثانيهما ان المراد
بالظالمين بهذه الاية ههنا الكفار لانها وردت في زجر الكفار
قال تعالى ان الشرك لظلم عظيم ثالثها ان لفظ الظالمين
اما ان تفيد الاستغراق او لا فان كان المراد جميعهم فيدخل
فيه الكفار وعندنا انه ليس لهذا الجمع شفيعا لان
بعضه كفار وليس لهم شفيع فحينئذ لا يكون لهذا الجمع
شفيع وان لم يفد الاستغراق كان المراد بالظالمين بعض
الموصوفين لهذه الصفة وعندنا ان الموصوفين بهذه الصفة
ليس لهم شفيع ولما امر الله تعالى بانذار يوم الازفة وما يعرض
فيه من شدة الغم والكرب وان الظالم لا يجد من يحميه ولا يشفع
له ذكر اطلاعه على جميع ما يصدر من الخلق سرا وجهرا فقال
تعالى **يعلم خائنة الاعين** اي جنايتها التي هي اخفى ما يقع
من افعال الظاهر جعل جعل الخيانة خيانة مبالغة في الوصف
وهو الاشارة في العين قال ابو حيان من كسر عينا وغمز ونظر
لفهم ما يراد ولما ذكر اخفى افعال الظاهر اتبعه اخفى ما في
الباطن فقال تعالى **وما تخفي الصدور** اي القلوب فعلم من
ذلك ان الله تعالى عالم بجميع افعالهم لان الافعال على قسمين
افعال الجوارح وافعال القلوب فاما افعال الجوارح فاخفاها
خائنة الاعين والله تعالى عالم بها فكيف الحال في سائر الاعمال
واما افعال القلوب فهي معلومة لله تعالى لقوله عز وجل وما تخفي

الصدور وقوله تعالى والله اي المتصف بجميع صفات الكمال
يقضي بالحق اي الثابت الذي لا ينفي بوجب عظيم الخوف لان
الحاكم اذا كان عالما بجميع الاحوال ويثبت انه لا يقضي
الا بالحق من كل ما دق وجل كان خوف المذنب منه
في الغاية القصوى ولما عول الكفار في دفع
العقاب عن انفسهم على شفاعة هذه الاصنام بين
الله تعالى انه لا فائدة فيها البتة فقال تعالى والذين
تدعون اي تعبدون من دونه وهم الاصنام لا يقضون
لهم بشيء من الاشياء اصلا فكيف يكونون شركاء
لله تعالى وقرا نافع وهشام تدعون بتاء الخطاب
للمشركين والباقون بياء الغيبة اخبارا عنهم بذلك ولما اخبر
تعالى انه لا فعل لشركائهم وان الامر له وحده فقال
تعالى مؤكدا لاجل ان افعالهم تقتضي انكار ذلك ان الله
اي المنفرد بصفات الكمال هو اي وحده السميع اي لجميع
اقوالهم البصير اي بجميع افعالهم وفي ذلك تقرير لعلمه
بخائنة الاعين وقضائه بالحق ووعيد لهم ما يقولون
ويفعلون وتعريض بحال ما يدعون من دونه فثبت
ان الامر له وحده فما تنفعهم شفاعة الشافعين
ولا يقبل فيهم من احد شفاعة بعد الشفاعة العامة
التي هي خاصة بنبينا محمد صلى الله عليه وسلم

فيقول

فيقول انا لها انا لها ثم يذهب الى المكان الذي اذن له
فيه فيشفع فيشفعه الله تعالى فيفصل الله تعالى
بين الخلائق ليذهب كل احد الى دار جنته او ناره ولما
اوعدهم سبحانه بصادق الاخبار دعا قوم نوح ومن تبعهم
من الكفار وختمه بالانذار بما يقع في دار القرار للظالمين
الاشرار اتبعه الوعظ والتخويف والمشاهدة من تتبع الديار والا
عتبار بما كان لهم فيها من عجائب الاثار فقال تعالى اولم يسيروا
في الارض اي فحي اي ارض ساروا فيها فينظروا اي نظر
اعتبار كما هو شان اهل البصائر كيف كان عاقبة
اي اخر امر الذين كانوا اي سكانا للارض اي غريقين
في عمارتها من قبلهم اي قبل زمانهم من الكفار كعاد وثمود
كانوا هم اي المتقدمون لما لهم من القوة الظاهرة والباطنة
اشد منهم اي من هؤلاء من قوة اي ذواتا ومعاني واغنى جيء بالفصل
وحقه ان يقع بين معرفتين لمضارعة افعل من للمعرفة
في امتناع دخول اللام عليه وقرا ابن عامر منكم بكاف والبا
قون بهاء الغيبة واشد اثارا في الارض لان اثارهم
لم يندرس بعضها الى هذا الزمان وقد مضى عليه الوف من
السنين واما المتاخرون فتنطمس اثارهم في اقل من قرن
ومع قوتهم فاخذهم الله اي الذي له صفات الكمال اخذ
غلبة وقهر وسطوة بذنوبهم اي بسببها وما كان لهم اي من
شركائهم الذين ضلوا بهم كهؤلاء ومن غيرهم من الله اي المتصف
بجميع صفات الكمال من واق اي يقيهم عذابه والمعا

ان العاقل من اعتبر بغيره وان الذين مضوا من الكفار
كانوا اشد قوة من هولاء ولما كذبوا رسلهم اهلكهم
الله تعالى عاجلا وقرا ابن كثير باالوقف بالياء بعد
القاف والباقون بغير ياء واتفقوا على التنوين في الوصل
ثم ذكر تعالى سبب اخذهم بقوله تعالى ذلك اي الاخذ العظيم
بانهم اي الذين كانوا من قبل كانت تاتيهم رسلهم بالبينات
اي الايات الدالة على صدقهم دلالة هي من وضوع الامر
بحيث لا يسع منصفا انكارها ولما كان مطلق الكفر
كافيا في العذاب عبر بالماضي فقال تعالى فكفروا اي سببوا
عن اتيان الرسل عليهم السلام الكفر فاخذهم الله اي الملك
الاعظم اخذ غضب انه قوي اي متمكن مما يريد غاية التمكن
شديد العقاب لا يوبه بعقاب دون عقابه ولما سلى
تعالى رسوله صلى الله عليه وسلم بذكر الكفار الذين كذبوا الا
نبيا عليهم السلام قبله وبمشاهدة اثارهم سلاه
ايضا بذكر قصة موسى عليه السلام المذكورة في قوله تعالى ولقد
ارسلنا اي على ما لنا من العظمة موسى باياتنا اي الدالة
على جلالنا وسلطان اي بين في نفسه مناد لكل من
يمكن اطلاعه عليه انه ظاهر وذلك الامر هو الذي كان
يمنع فرعون من الاصول الى اذاه مع ما له من القوة والسلطان
الى فرعون اي ملك مصر وهامان اي وزيره وقارون
وقارون اي قريب موسى فقالوا اي هولاء ومن معهم

اي امرنا ظاهرا جدا لا حيلة لهم في مدافعة شيء منه مبين صح

هو

هو ساحر لعجزهم عن مقاهرته اما من عدا قارون فاولا
واخرا بالقوة والفعل واما قارون فحفعله لخرابيتي انه
مطبوع على الكفر وان امن اولا وان هذا كان قوله وان لم
يقله بالفعل في ذلك الزمان فقد قاله في امنيته فدل على
انه لم يزل قايلا به لانه لم يتب منه ثم وصفوه بقولهم كذاب
لخوفهم من تصديق الناس له فلما جاءهم بالحق اي بالامر
الثابت الذي لا طاقة لاحد بتغيير شيء منه كاينا من عندنا
على ما لنا من القهر فامن معه طايفة من قومه قالوا اي فرعون
واتباعه اقتلوا اي قتلا حقيقيا بازالة الروح ابناء الذين
امنوا اي به فكانوا معه اي بحضورهم بذلك واتركوا من عداهم
فلعلهم يكذبونه واستحيوا نساءهم اي اطلبوا احياءهن
بان لا تقتلوهن قال قتادة هذا غير القتل الاول لان فرعون
كان قد امسك عن قتل الولدان فلما بعث موسى عليه السلام اعاد
القتل عليهم فمعناه اعيد عليهم القتل ليلا ينشوا على دين
موسى فيقوى بهم وهذه العلة مختصة بالبنين فلهذا امر
بقتل الابناء واستحيا نساءهم وما اي والحال انه كيد الكافرين
تعميما وتعليقا بالوصف الا في ضلال اي مجانبة لسداد المو
صل الى الظفر والفوز لانه ما افادهم اولا في الحذر من موسى
عليه السلام ولا اخرا في صد من امن به مرادهم بل كان فيه
قيادهم وهلاكهم وكذا افعال الفجرة مع اوليايه تعالى ما حفر احد
منهم لاحد منهم حفرة مكر الا اركسه الله تعالى فيها وقال فرعون
اي اعظم الكفرة في ذلك الوقت لرؤساء اتباعه عندما علم انه عاجز
عن قتله وملاه ما راى منه خوفا دافعا عن نفسه ما يقال

من انه ما ترك عليه السلام مع استهانته به الا عجزا
عنه موهما ان آلهة هم الذين يردونه عنه وانه لولا ذلك
لقتله **ذروني** اي اتركوني على اي حالة كانت **اقتل موسى** وزاد
في الايهام عتوا والمناداة على نفسه عند البصر بقوله
وليدع ربه اي الذي يدعو ويدعي احسانه اليه بما يظهر على
يديه من هذه الخوارق وقيل كان في خواصة قوم فرعون
من يمنعه من قتل موسى وفي منعه من قتله وجوه اولها
لعله لعله كان فيهم من يعتقد بقلبه كون موسى صادقا
فيحتال في منع فرعون من قتله وثانيها قال الحسن ان
اصحابه قالوا له لا تقتله فانما ~~على الناس ويقولوا انه كا~~
~~ن محقا~~ هو ساحر ضعيف ولا يمكن ان يغلب سحرنا فان
قتله ادخلت الشبهة على الناس ويقولوا انه كان محقا
وعجزوا عن جوابه فقتلوه وثالثها انهم كانوا يحتالون
في منعه من قتله لاجل ان يبقى فرعون مشغولا القلب
بموسى فلا يتفرغ لتاديب اولئك الاقوام لان من شان
الامراء ان يشغلوا قلب ملكهم بخصم خارجي حتى يصيروا
مؤمنين من قلب ذلك الملك وقرا ابن كثير بفتح الياء
والباقون بالسكون ثم ذكر فرعون السبب الموجب
لقتل موسى وهو اما فساد الدين او فساد الدنيا فقال
اني اخاف اي ان تركته **ان يبدل دينكم او ان يظهر في الارض
الفساد** اي لا بد من وقوع احد الامرين اما فساد الدين
واما فساد الدنيا اما فساد الدين فلان القوم اعتقدوا ان

الدين

الدين الصحيح هو دينهم الذي كانوا عليه فلما كان موسى
ساعيا في افساده اعتقدوا انه ساعيا في افساد الدين الحق
واما فساد الدنيا فهو ان يجتمع عليه اقوام ويصير ذلك سببا
لوقوع الخصومات واثارة الفتن وبدا فرعون بذكر الدين
اولا لان حب الناس لاديانهم فوق حبهم لاموالهم
ولما توعد فرعون موسى عليه السلام بالقتل لم يات في دفع
شره الا بان استعاذ بالله واعتمد على فضله كما قال تعالى
وقال موسى اني عذت اي اعتصمت عند ابتداء الرسالة **بربي**
ورغبهم في الاعتصام به وتبعهم بقوله **وربكم** اي المحسن
الينا اجمعين وارسلني لاستنقاذكم من اعداء الدنيا والدين
من كل متكبر اي عات طاغ متعظم على الحق هذا وغيره **لا يؤمن**
اي لا يجدد له تصديق **بيوم الحساب** من ربه له وهو يعلم
انه لا بد من حسابه هو لمن تحت يده من رعاياه وعبيده
فيحكم على ربه بما لا يحكم به على نفسه وبهذين الامرين
يقدم الانسان على ايذاء الناس لان المتكبر القاسي القلب قد يحمله
طبعه على ايذاء الناس الا انه اذا كان مقرا بالبعث والحساب
صار خوفه من الحساب مانعا له عن الجري على موجب تكبره
فاذا لم يحصل له الايمان بالبعث والقيامة كان طبعه
داعيا له الى الايذاء ولا مانع وهو الخوف من السؤال
والحساب ذايل فلا جرم بعظم القسوة والايذاء واختلف
في الرجل المؤمن في قوله تعالى **وقال رجل مؤمن** اي راسخ الايمان
من ال فرعون اي من وجوههم ورؤسائهم **يكتم
ايمانه** اي يخفيه اخفاء شديدا خوفا على نفسه فقال
مقاتل والسدي كان قبطيا ابن عم فرعون وهو الذي حكي

او الحال وفي ذكره دلالة علي ان ما ذكر من النعيم لاهل الجنة بمنزلة ما تقدم
للنازل ولهم ماوراء ذالك ما تقصر عنه الافهام وكذا الزقوم لاهل النار
وهو اسم شجرة صغيرة الورق زفرة مرة تكون بتهامة ثم سميت به
الشجرة الموصوفة واذا عرف هذا فالحاصل من الرزق المعلوم لاهل الجنة
اللذة والسرور وحاصل شجرة الزقوم الالم والغم ومعلوم انه لا نسبة لاحدهما
الي الاخر في الخيرية الا انه جاء هذا الكلام علي سبيل السخرية بهم اولاجل
ان المؤمنين لما اختاروا ما اوصلهم الي الرزق الكريم والكافرون اختاروا
ما اوصلهم الي العذاب اليم قيل لهم ذالك توبيخا لهم علي اختيارهم **انا**
اي بما لنا من العظمة والقدرة البالغة **جعلناها فتنة** اي محنة وعذابا
للظالمين اي الكافرين قال الكلبي في الاخرة وابتلاء في الدنيا لما سمعو
بها في النار قالوا كيف ذالك والنار تحرق الشجر ولم يعلموا ان من قدر علي
خلق يعيش في النار ويلتذ بها فهو اقدر علي خلقه الشجر في النار وحفظه
من الاحراق ولما نزلت هذه الاية قال ابن الزبعري اكثر الله في بيوتكم
من الزقوم فان اهل اليمن يسمون التمر والزبد الزقوم ثم ادخلهم
ابو جهل بيته وقال لجاريته زقمينا فاتته بزبد وتمر وقال تزقموا
فهذا ما يوعدكم به محمد وهذا عناد منه وكذب فانه من العرب العربا
وهم انما يطلقونه علي شجرة مسمومة يخرج لها لبن متي مس جسم احد
تورم ومات والتزقم ابتلاع الشديد للاشياء الكريهة واما الزبد بالرطب
فيسمي الوقة قاله ابن الكلبي وانشد ه واني لمن باساتهم لا لوقة ه
واني لمن عاديتهم سم اسودي ه ثم ان الله تعالي وصف هذه
الشجرة بصفتين الاولي قوله تعالي **انها شجرة تخرج في اصل** قال الحسن
اصلها في قعر جهنم واغصانها ترتفع الي دركاتها الصفة الثانية قوله
تعالي **طلعها** اي ثمرها قال الزمخشري الطلع للنخلة فاستعير
لما طلع من شجرة الزقوم من حملها اما استعارة لفظية او معنوية
قال قتيبة يسمي طلعا لطلوعه كل سنة فلذالك قيل طلع النخل

الله تعالي عنه وجاء رجل من اقصي المدينة يسعي وقيل
كان اسرائيليا وعن ابن عباس لم يكن في ال فرعون غيره
وغير امراة فرعون وغير المؤمن الذي انذر موسي عليه السلام
الذي قال ان الملا يا تمرون بك ليقتلوك وروي عن النبي
صلي الله عليه وسلم انه قال الصديقون حبيب النجار مؤمن
ال يٰسين ومؤمن ال فرعون الذي قال اتقتلون رجلا
ان يقول ربي الله والثالث ابو بكر الصديق وهو افضلهم
وعن جعفر بن محمد ان مؤمن ال فرعون قال ذالك سرا وقال
ابو بكر جهارا اتقتلون رجلا ان يقول ربي الله وروي
عن عروة ابن الزبير قال قلت لعبد الله ابن عمرو ابن العا
ص اخبرني باشد ما صنعه المشركون برسول الله صلي
الله عليه وسلم قال جاء رسول الله صلي الله عليه وسلم بفناء
الكعبة اذ اقبل عقبة ابن ابي معيط فاخذ بمنكب رسول الله
صلي الله عليه وسلم فلوي ثوبه في عنقه فخنقه خنقا شديدا
وقال له انت الذي تنهانا عما كان يعبد اباؤنا قال انا ذاك
فاقبل ابو بكر فاخذ بمنكبه ودفع عن رسول الله صلي
الله عليه وسلم وقال اتقتلون رجلا ان يقول ربي الله
وقد جاءكم بالبينات من ربكم فكان ابو بكر اشد من ذلك
وعن انس ابن مالك قال ضربوا رسول الله صلي الله عليه وسلم
حتي غشي عليه فقام ابو بكر فجعل ينادي ويلكم اتقتلون
رجلا ان يقول ربي الله قالوا من هذا قالوا هذا ابن ابي
قحافة قال ابن عباس واكثر العلماء كان اسم الرجل حزقيل

الاول ما يخرج من ثمره ثم وصف ذلك الطلع بقوله تعالى كانه رؤس الشيا
طين وفيه وجهان احدهما انه حقيقة وان رؤس الشياطين شجرة معينة
بناحية اليمن وتسمى الاستن قال النابغة ٥ تحيد من استن سود اسا
فله منى الاما الغوادي تحمل الحزما ٥ وهو شجر منكر الصورة من تسميه
العرب بذلك تشبيها برؤس الشياطين في القبح ثم صار اصلا تشبيه به و
قيل الشياطين صنف من الحيات ولهذا عراف قال عجيزة ٥ تحلف حين احلف ٥
كمثل شيطان الحماط اعرف ٥ وقيل شجرة يقال له الصوم ومنه قول ساعدة
ابن جوية ٥ موكل بشدوف الصوم يرقبها ٥ من المعارف مخفوق الحشا ورم ٥
فعلى هذا خاطب العرب بما تعرفه وهذه الشجرة موجودة الكلام حقيقة و
الثاني انه من باب التخييل والتمثيل وذلك انه كلما يستنكر ويستقبح في
الطباع والصورة يشبه بما يتخيله الوهم وان لم يكن يره والشياطين و
ان كانوا موجودين غير مرئيين للعرب الا انه خاطبهم بما الفوه من الاستعا
رات التخييلية كقوله امرء القيس ٥ اتقتلني والمشرفي مضاجعي ٥
ومسنونة زرق كانياب اغوال ٥ ولم يرانيابها بل ليس موجودة البتة
قال الرازي وهذا هو الصحيح وذلك ان الناس لما اعتقدوا في الملائكة
كمال الفضل في الصورة والسيرة فكما حسن التشبيه بالملك يوسف عليه السلام
عند ارادة الكمال والفضيلة في قول النساء ان هذا الا ملك كريم فلذا
لك حسن التشبيه برؤس الشياطين بالقبح وتشويه الخلقة ويؤكد
هذا ان العقلاء اذا راوا شيأ شديد الاضطراب منكر الصورة قبيح الخلقة
قالوا انه شيطان واذا راوا شيأ حسنا قالوا انه ملك من الملائكة وقال ابن
عباس هم الشياطين باعيانهم فانهم اي الكفار لآكلون منها اي من الشجرة
او من طلعها فمالئون منها البطون والملؤ حشو الوعاء بما لا يحتمل الزيادة
عليه فان قيل كيف ياكلونها مع تناهيها نهاية خشونتها ونتنها ومرارة
طعمها اجيب بان المضطر ربما استروح من الضرر بما يقاربه في الضرر
فاذا جوعهم الله تعالى بجوع شديد فزعوا الى ازالة ذلك الجوع بتناول

هذا

هذا الشيء او يقال ان الزبانية يكرهونهم على الاكل من تلك الشجرة لعذابهم
ولما ذكر تعالى طعامهم بتلك الشناعة والكراهة وصف شرابهم بما هو اشنع
منه بقوله تعالى ثم ان لهم عليها اي بعد ما شبعوا منها وغلبهم العطش لشوبا
من حميم اي ماء حار يشربونه فيختلط بالماكول منها فيصير شوبا وعطف
بثم لاحد معنيين اما لانه اخر ما يظنونه يرويهم من عطشهم زيادة في عذابهم
فلذلك اتى بثم المقتضية للتراخي واما لان العادة تقتضي تراخي الشرب
عن الاكل فعمل على ذلك المنوال واما لملء البطن فيعقب الاكل فلذلك عطف على ما قبله
بالفا قال الزجاج الشوب اسم عام في كل ما خلط بغيره والشوب الخلط والمزج ومنه
شاب اللبن يشوبه اي خلطه ومزجه ثم ان مرجعهم لالى الجحيم قال مقاتل اي
بعد اكل الزقوم وشرب الحميم وهذا يدل على انهم عند شرب الحميم لم يكونوا في الجحيم
وذلك بان يكون الحميم في موضع خارج عن الجحيم فهم يردون الحميم لاجل الشرب
كما تورد الابل الماء ويدل عليه قوله تعالى يطوفون بينها وبين حميم ان وقوله
تعالى انهم الفوا اي وجدوا اباءهم ضالين فهم على اثارهم يهرعون تعليل لا
ستحقاقهم تلك الشدائد قال الفرا الاهراع الاسراع يقال هرع واهرع اذا
استحث والمعنى انهم يتبعون اباءهم في سرعة كانهم يزعجون الى اتباع اباءهم
وفيه اشعار بانهم بادروا الى ذلك من غير توقف على نظر وبحث ثم انه تعالى ذكر
لرسوله صلى الله عليه وسلم ما يسليه في كفرهم وتكذيبهم بقوله سبحانه وتعالى
ولقد ضل قبلهم اي قبل قومك اكثر الاولين اي من الامم الماضية ولقد ارسلنا
فيهم منذرين اي انبياء انذروهم من العواقب فبين الله تعالى ان ارسال الرسل
قد تقدم والتكذيب لهم قد سلف فوجب ان يكون له صلى الله عليه وسلم اسوة بهم حتى
يصبر كما صبروا ويستمر على الدعاء الى الله تعالى وان تمردوا فليس عليه الا البلاغ
وقرا قالون وابن كثير وعاصم باظهار الدال والباقون بالادغام ثم قال تعالى
فانظر كيف كان عاقبة المنذرين اي الكافرين كان عاقبتهم العذاب وهذا
خطاب وان كان ظاهره مع النبي صلى الله عليه وسلم الا ان المقصود منه خطاب الكفار
لانهم سمعوا بالاخبار ما جرى على قوم نوح وعاد وثمود وغيرهم من انواع العذاب

وان لم يعلموا ذلك فلا اقل من ظنه وخوفه يحتمل ان يكون زاجرا لهم عن
كفرهم وقوله تعالى **الا عباد الله المخلصين** استثناء من المنذرين استثناء
منقطعا لانه وعيدهم لا يدخلون في هذا الوعيد وقيل استثناء من قوله
تعالى ولقد ضل قبلهم اكثر الاولين والمراد بالمخلصين الموحدون نجوا من
العذاب وتقدمت القراءة في المخلصين ثم شرع تعالى في تفصيل القصص بعد
اجمالها بقوله تعالى **ولقد نادانا نوح** اي نادى ربه ان ينجيه مع من نجا
من الغرق بقوله رب اني مغلوب فانتصر فاجاب الله تعالى دعاه وقوله تعالى
فلنعم المجيبون جواب قسم مقدر اي فوالله ومثله ٥ لعمري لنعم السيدان
وجدتما ٥ والمخصوص بالمدح محذوف اي نحن اجبنا دعاه واهلكنا قومه
ونجيناه واهله من الكرب العظيم اي من الغرق واذى قومه وهذه الا
جابة كانت من النعم العظيمة وذلك من وجوه اولها انه تعالى عبر عن ذاته
بصيغة الجمع فقال ولقد نادانا نوح فالقادر العظيم لا يليق به الا الا
حسان العظيم وثانيها انه تعالى اعاد صيغة الجمع فقال تعالى فلنعم المجيبون
من ذلك ايضا ما يدل على تعظيم تلك النعمة لا سيما وقد وصف الله
تلك الاجابة بانها نعمة الاجابة وثالثها الفا في قوله تعالى فلنعم المجيبون
تدل على ان حصول تلك الاجابة مرتب على ذلك النداء وهذا يدل على ان النداء
بالاخلاص سبب لحصول الاجابة وقوله تعالى **وجعلنا ذريته هم الباقين**
يفيد الحصر وذلك يدل على ان كل من سواه وسوى ذريته قد فنوا فا
لناس كلهم من نسله عليه السلام قال ابن عباس ذريته بنوه الثلاثة
سام وحام ويافث فسام ابو العرب وفارس وحام ابو السودان ويافث
ابو الترك والخزر ويأجوج ومأجوج وما هنالك قال ابن عباس لما خرج
نوح من السفينة مات كل من كان معه من الرجال والنساء الا ولده ونسا
يهم **وتركنا عليه في الآخرين** اي ابقينا له ثناء حسنا وذكرا جميلا فيمن
بعده من الانبياء والامم الى يوم القيامة وقيل ان نصلي عليه الى يوم القيامة
وقوله تعالى **سلام على نوح** مبتدا وخبر وفيه اوجه احدها انه مفسر
لتركنا

١٠١

وقال ابن اسحاق جبريل وقيل حبيب ولما حكى الله تعالى عن
موسى عليه السلام انه ما زاد في دفع فرعون وشره على الاستعاذة با
الله تعالى بين انه تعالى قيض له انسانا اجنبيا حتى ذب عنه
باحسن الوجوه وبالغ في تسكين تلك الفتنة فقال **اتقتلون رجلا**
اي هو عظيم في الرجال حسا ومعنى ثم علل قتلهم له بما ينافيه فقال
ان اي لاجل ان **يقول** ولو على سبيل التكرار **ربي** اي المربي والمحسن
الي **الله** اي الجامع لصفات الكمال **وقد** اي والحال انه **قد جاءكم بالبينا**
اي الايات الظاهرات من غير لبس **من ربكم** اي الذي لا احسان عندكم
الا منه ثم ذكر ذلك المؤمن حجة ثانية على ان الاقدام على قتله
غير جائز وهي حجة مذكورة على طريق التقسيم فقال **وان يك** اي هذا
الرجل **كاذبا فعليه** اي خاصة كذبه اي ~~كذ وبال تكذيبه~~ كان وبال كذبه
عائدا عليه وليس عليكم منه ضرر فاتركوه **وان يك صادقا يصبكم بعض
الذي يعدكم** اي العذاب عاجلا وان صدقه ينفعه ولا ينفعكم شيئا
فان قيل لم قال بعض الذي يعدكم وهو نبي صادق لا بد لما يعدهم ان
يصيبهم كله اجيب بانه انما قال ذلك ليهضم موسى بعض حقه في
ظاهر الكلام فيريهم انه ليس بكلام من اعطاه حقه وافيا فضلا عن
ان يتعصب له وهذا اولى من قول ابي عبيدة وغيره ان بعض بمعنى
كل وانشد قول لبيد ٥ تراك امكنة اذا لم ارضها ٥ او ترتبط بعض
النفوس حمامها ٥ وانشد وا ايضا قول عمرو بن شييم ٥ قد يدرك المتأ
بعض حاجته ٥ وقد يكون مع المستعجل الزلل ٥ وقال الآخر ٥ ان الامو
ر اذا الاحداث دبرها ٥ دون الشيوخ ترى في بعضها خللا ٥ وقوله
ان الله اي الذي له مجامع العظمة **لا يهدي** اي الى ارتكاب ما ينفع
واجتناب ما يضر **من هو مسرف** اي باطنا بالفساد وبتجاوز الحدود
كذاب فيه احتمالات احدها ان هذا اشارة الى الرمز والتعر
يض بعلو شان موسى عليه السلام والمعنى ان الله تعالى هدى موسى الى

الاتيان بالمعجزات الباهرة من هداه الله الي الاتيان بالمعجزات لا يكون
مسرفا كذابا فدل علي ان موسي ليس من المسرفين الكذابين تاثيرهما ان يكو
المراد فرعون مسرف في عزمه علي قتل موسي كذاب في دعايه الالهية و
الله تعالي لا يهدي من هذا شانه وصفته بل يبطله ويهدم امره ولما
استدل مومن ال فرعون علي انه لا يجوز قتل موسي خوف فرعون وقومه
ذالك العذاب الذي توعدهم به في قوله يصيبكم بعض الذي يعدكم
فقال يا قوم وعبر باسلوب الخطاب دون التكلم تصريحا بالمقصو
فقال لكم الملك ونبه علي ما يعرفونه من تقلبات الدهر بقوله اليوم
واشار الي ما عهدوه من الخذلان في بعض الازمان بقوله ظاهر
ين اي غالبين علي بني اسرايل وغيرهم وما زال اهل البلا يتوقعون
الرخا واهل الرخا يتوقعون البلا ونبه بقوله في الارض اي ارض
مصر علي الاحتياج ترهيبا لهم وعرفها لانها كالارض كلها لحسنها
وجمعها المنافع ثم حذرهم من سخط الله تعالي فقال فمن ينصرنا اي
انا وانتم ادرج نفسه فيهم عند ذكر الشر بعد افراده لهم بالملك ابعادا
للتهمة وحثا علي قبول النصيحة من باس الله اي الذي له الملك كله ان
جاءنا اي عصيانا لهذا الذي يدعي ان الله ارسله فلا تفسدوا امركم و
لا تتعرضوا لباس الله تعالي بقتله فانه ان جاءنا لم يمنعنا منه احد
ولما قال المومن هذا الكلام قال فرعون اي لقومه جوابا لما قاله هذا
المومن ما اريكم اي من الاراء الا ما اري اي انه صواب علي قدر مبلغ
علمي ولا اري لكم الا ما اري لنفسي وقال الضحاك ما اعلمكم الا ما
اعلم وما اهديكم اي بما اشرت به من قتل موسي وغيره الا سبيل الر
شاد اي الذي اري انه صواب لا اظهر شيا وابطن غيره ولما ظهر لهذا
المومن ان فرعون ذل لكلامه ارتفع الي اصرح من الاسلوب الاول كما اخبر
الله تعالي بقوله وقال الذي امن اي بعد قول فرعون هذا الكلام الذي دل
علي عجزه وجهله وذلك يا قوم واكد لما راي عندهم من انكار امره وخاف منهم

النهامه

النهامه فقال اني اخاف عليكم اي من المكابرة في امر موسي عليه السلام
مثل يوم الاحزاب اي ايام الامم الماضية يعني وقايعهم وجمع الا
حزاب مع التفسير اغني عن جمع اليوم مع ان افراده اردع واقوي
في التخويف واقطع للارشاد الي قوة الله وانه قادر علي هلاكهم
في اقل زمان ولما اجمل فصل وبين او ابدل بعد ان هول بقوله
مثل داب اي عادة قوم نوح اي فيما دهمهم من الهلاك الذ
محقهم فلم يطيقوه مع ما كان بينهم من قوة الجدال له والمقا
لما يريدونه وعاد وثمود ما لقيه من جبروتهم تنبيه
لا بد من حذف مضاف يريد مثل جزاء دابهم ولما كان هولاء اقوي
الامم اكتفي بهم واجمل بعدهم فقال والذين من بعدهم اي بالقرب
من زمانهم كقوم لوط وما الله اي الذي له الاحاطة باوصاف الكما
يريد ظلما للعباد اي لا يهلكهم الا بعد اقامة الحجة عليهم ولا هو
يهلكهم بغير ذنب ولا يخلي الظالم منهم بغير انتقام وهو ابلغ
من قوله تعالي وما ربك بظلام للعبيد من حيث ان المنفي فيه حد
تعلق ارادته بالظلم ولما اشرق من افاق هذا الوعظ شمس
البعث ونور الحشر قال ويا قوم اني اخاف عليكم وقوله يوم التنا
اجمع المفسرون انه يوم القيامة وفي التسمية بهذا الاسم وجوه
اولها ان اصحاب النار ينادون اصحاب الجنة واصحاب الجنة
ينادون اصحاب النار كما حكي الله تعالي عنهم ثانيها قال
الزجاج هو قوله سبحانه وتعالي يوم ندعوا كل اناس بامامهم
ثالثها ينادي بعض الظالمين بعضا بالويل والثبور فيقولون
يا ويلنا رابعها ينادون الي المحشر خامسها ينادي المومن
هاؤم اقرؤا كتابيه والكافر يا ليتني لم اوت كتابيه سادسها
ينادي باللعنة علي الظالمين سابعها يجاء بالموت علي صورة
كبش املح ثم يذبح بين الجنة والنار ثم ينادي يا اهل الجنة

خلود فلا موت ويا اهل النار خلود فلا موت ثم منها ينادي بالسعاده
والشقاوة الا ان فلان ابن فلان سعد سعادة لا يشقي بعدها ابدا
وفلان ابن فلان شقي شقاوة لا يسعد بعدها ابدا وهذه الامور كلها
تجتمع في هذا اليوم فلا بعد في تسميته بها كلها ولما كان عادة
المتنادين الاقبال وصف ذلك اليوم بضد ذلك لشدة الا
هوال فقال تعالي مبدلا او مبينا يوم تولون اي عن الموقف مد
برين قال الضحاك اذا سمعوا زفير النار ندوا هربا فلا ياتون
قطرا من الاقطار الا وجدوا الملائكة صفوفا فيرجعوا الي مكانهم
فذلك قوله تعالي والملك علي ارجائها وقوله تعالي يا معشر
الجن والانس ان استطعتم وقال مجاهد فارين عن النار غير
معجزين وقيل منصرفين عن الموقف الي النار ثم اكد التهديد بقوله
تعالي ما لكم من الله اي الملك الجبار الذي لا يذل من عاصم اي من
فئة تحميكم وتنصركم وتمنعكم من عذابه ثم نبه علي قوة ضلالهم
وشدة جهالتهم فقال تعالي ومن يضلل الله اي الملك
المحيط بكل شي فما له من هاد اي الي شي ينفعه بوجه من الو
جوه تنبيه في قراءة هاد ما تقدم في قوله من واق ولما قال
لهم مومن ال فرعون ومن يضلل الله فما له ذكر لهم مثلا بقوله
تعالي ولقد جاءكم اي جاء اباكم يا معشر القبط ولكنه عبر
بذلك دلالة علي انهم علي مذهب الاباء كما جرت به العادة من
التقليد ومن انهم علي طبعهم لا سيما اذا كانوا لم يفارقوا مسا
كنهم يوسف اي نبي الله ابن نبي الله يعقوب ابن نبي الله
اسحاق ابن خليل الله ابراهيم عليهم وعلي نبينا محمد الصلاة و
السلام من قبل اي قبل زمن موسي عليه السلام بالبينات اي الا
يات الظاهرات ولا سيما في امر يوم التناد فما زلتم اي برحتم
انتم تبعا لابائكم في شك اي محيط بكم لم تصلوا الي رتبة

الظن

الظن مما جاءكم به من التوحيد قال ابن عباس من عبادة الله وحده
لا شريك له فلم تنتفعوا البتة بتلك البينات ودل علي تمادي
شككم بقوله تعالي حتي اذا هلك فهو غاية فما زلتم في شك فلما
هلك قلتم لن يبعث الله اي الذي له صفات الكمال من بعده
اي يوسف عليه السلام رسولا اي اقمتم علي كفركم وظننتم ان الله
لا يجدد عليكم الحجة وهذا ليس اقرارا منهم برسالته بل هو ضم منهم
الي الشك في رسالته التكذيب برسالة من بعده وقوله تعالي
كذلك خبر مبتدا مضمر اي الامر كذلك او مثل هذا الضلال يضل
الله اي بما له من صفات القهر من هو مسرف اي مشرك متعال في الا
مور خارج عن الحدود مرتاب اي شاك فيما تشهد به البينات
بغلبة الوهم والانهماك في التقليد ثم بين ما لاجله وقعوا في الشك
والاسراف فقال سبحانه الذين يجادلون وهو مبتدا اي يخا
صمون خصاما شديدا في ايات الله اي المحيط باوصاف الكمال لا
سيما الايات الدالة علي يوم التناد فانها اظهر الايات علي وجوده
سبحانه وعلي ما هو عليه من الصفات والافعال وما يجوز عليه
او يستحيل بغير سلطان اي برهان اتاهم وقوله تعالي كبر
اي جدا لهم مقتا خبر المبتدا ويجوز في الذي اوجه ايضا
منها انه بدل من قوله تعالي من مسرف وانما جمع اعتبارا بمعني
من ومنها ان يكون صفة له وجمع علي معني من ايضا ومنها ان
ينصب باضمار اعني وقال الزجاج قوله الذين يجادلون تفسير
المسرف المرتاب يعني هم الذين يجادلون في ايات الله اي في
ابطالها بالتكذيب بغير سلطان اتاهم كبر مقتا عند الله
اي الملك الاعظم وكبر مقتا ايضا عند الذين امنوا اي الذين
هم خاصته ودلالة الاية علي الله يجوز وصفه تعالي بانه مقت
بعض عباده الا انها صفة واجبة التاويل في الله تعالي كالغضب

والحيا والعجب وقوله تعالى كذلك اي مثل هذا الطبع العظيم يطبع
الله اي الذي له جميع العظمة بدل على ان الكل من عند الله كما هو
اهل السنة على كل قلب متكبر اي متكلف ما ليس له وليس لاحد غير
الله جبار اي ظاهر الكبر فوبه قهار وقال مقاتل الفرق بين المتكبر
والجبارات المتكبر عن قول التوحيد والجبار في غير حق قال الرازي
كما ان السعادة في امرين التعظيم لامر الله والشفقة على خلق
الله فعلى قول مقاتل المتكبر كالمضاد للتعظيم لامر الله والجبار كا
لمضاد للشفقة على خلق الله وقرا ابو عمرو وابن ذكوان بتنوين
البا الموحدة على وصف القلب بالتكبر والتجبر لانه منبعهما كقولهم
راث عيني ومعنى اذني او على حذف مضاف اي على كل ذي قلب
متكبر جبار فهو حينئذ مساوية لقراة الباقين بغير تنوين ثم ان
فرعون عليه اللعنة اعرض عن جواب المومن لانه لم يجد فيه
مطعنا وقال فرعون يا هامان وهو وزيره ابن وعرفه بشدة
اهتمامه بالاضافة اليه في قوله لي صرحا اي بنا مكشوفا عاليا
لا يخفى على الناظر وان بعد من صرح اذا ظهر لعلي ابلغ الاسباب
اي لا اسباب غيرها لعظمها وتعليله بالترجي الذي لا يكون
الا في الممكن دليل على انه كان يلبس على قومه وهو يعرف الحق فا
ن عاقلا لا يعد ما رامه في عداد الممكن العادي والماكن بلوغها
امرا عجيبا اوردها على نمط متوق اليه ليعطيه السامع حقه من
الاهتمام تفخيما لشانه ليتشوق السامع الى بيانها بقوله اسباب
السموات اي الامور الموصلة اليها وكل ما ادا الى شي فهو
سبب اليه وقرا الكوفيون بسكون اليا والباقون بالفتح وقرا
فاطلع حفص بنصب العين وفيه ثلاثة اوجه احدها انه
جواب الامر في ابن لي فنصب بان مضمرة بعد الفا في جوابه
على قاعدة البصريين كقوله يا ناق سيري عنقا فسيحا

الى سليمان فنستريحا وهذا وفق لمذهب البصريين ثانيها قال ابو
حيان انه منصوب على التوهم لان خبر لعل جا مقرونا بان كثيرا في النظم
وقليلا في النثر فمن نصب يوهم ان الفعل المرفوع الواقع خبرا منصوب بان
والعطف على التوهم كثيرا وان كان لا ينقاس ثالثها لشبهها على جواب
الترجي في لعلي وهو مذهب كوفي والى هذا نحا الزمخشري وتبعه البيضا
قال الاول تشبيها للترجي بالتمني والباقون بالرفع عطف على
ابلغ اي فلعله يتسبب عن ذلك ويتعقبه ان اتكلف الطلوع الى اله
موسى ولعله اراد ان يبني لي صرحا في موضع عالي يرصد فيه
احوال الكواكب التي هي اسباب سماوية تدل على الحوادث
الارضية فيرى هل فيها ما يدل على ارسال الله تعالى اياه او
ان يرى فساد قول موسى فان اخباره من اله السما يتوقف
على اطلاعه وصعوده اليه وذلك لا يتاتى الا بالصعود الى السما
وهو مما لا يقوى عليه الانسان وذلك لجهله بالله تعالى وكيفية
استنبايه واني لاظنه اي موسى كاذبا في دعوى الرسالة وان له
الها غيري قال فرعون ذلك تمويها وكذلك اي مثل ذلك